

العدد التاسع والخمسون - السنة الخامسة عشرة - رجب ١٤٤٥هـ - مارس ٢٠١٩م

الإمام الرضا عليه السلام

# رسالة الفصل

إسلامية . ثقافية . شاملة



الإمام الرضا عليه السلام حجة الخلق وواسطة الفيض  
حوار مع سماحة الشيخ يوسف أحمد السلطان

◆ مناظرات الإمام الرضا عليه السلام وحواراته

◆ حديث السلسلة الذهبية (دراسة في السنن والدلائل)

◆ دعوى تشيع المؤمنون في الميزان

◆ حكم المسبوقة من حيث القراءة

◆ اعتبار الفصل بين العُمرتين ومقداره وعدمه





مجلة طلابية فصلية  
تهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية  
تصدر عن طلاب البحرين في الحوزة العلمية  
بمدينة قم المقدسة

برعاية مكتب البيان للمراجعات الدينية

علمًا بأنّ المقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة



## الهيئة الاستشارية

الشيخ عبدالله علي الدقاد  
الشيخ علي فاضل الصددي

## المشرف العام

الشيخ عبدالرؤوف حسن الربيع

## رئيس التحرير

الشيخ محمد علي خاتم

## مدير التحرير

الشيخ عباس علي الصايغ

## المدير المساعد

الشيخ جعفر عبدالنبي الجبوري

## هيئة التحرير

الشيخ عزيز حسن سلمان  
الشيخ جاسم بدر المطوع  
الشيخ علي عقيل الجمري  
الشيخ منصور إبراهيم حسين  
السيد جلال عدنان علوبي

# رسانة القلم

## الرسالة والأهداف

- \* ترويج الفكر المحمداني الأصيل عبر البحوث العلمية والمقالات العامة والتخصصية.
- \* إعداد وتأهيل كتاب ومحققين من طلبة العلم البحرينيين في حوزة قم المقدسة.
- \* إبراز نتاج الطلبة البحرينيين والتعريف بمؤلفاتهم.
- \* مخاطبة قراء العالم الإسلامي أجمع، والتمسك بالثوابت الإسلامية والخط العلمائي الأصيل، مع الحفاظ على مبدأ الوحدة الإسلامية.
- \* مجابهة الأفكار الدخيلة والمنحرفة عن الدين.
- \* السعي للرقي والتقدم بشكل مستمر على مختلف المستويات، والاهتمام بتطوير الكفاءات وزيادة الخبرات.
- \* السعي للغاية الكبرى وهي التمهيد لدولة صاحب العصر والزمان.

الكتاب المقدس

العدد ٥٩

## المحتويات

### كلمة العدد

قصة المسير

رئيس التحرير

٥

### حوار العدد

الإمام الرضا عليه حجّة الخلق وواسطة الفيض

حوار مع سماحة الشيخ يوسف أحمد السلطان

١١

### محور العدد: الإمام الرضا عليه

مناظرات الإمام الرضا عليه وحواراته

السيد حسن السيد أحمد الغريفي

٦١

حديث السلسلة الذهبية (دراسة في السنن والدلائل)

الشيخ محمد علي الخاتم

٧٧

١٠٣ دعوى تشريع المأمون في الميزان

الشيخ عزيز حسن الخضران

## بحوث ومقالات أخرى

١٤١ شهر رمضان شهر تجدد الحياة المعنوية للأمة

الشيخ مجید عبد الرسول السهلاوي

١٥٩ مقاربة في المنهج التاريخي والسندي

الشيخ علي إبراهيم عبد العال

١٧٧ حكم المسبوق من حيث القراءة

الشيخ محمود حسن العالي

١٨٥ اعتبار الفصل بين الْعُمْرَتِينِ ومقداره وعدمه

الشيخ علي فاضل الصدقي

رئيس التحرير

## قصة المسير

يدرك حكّام الجور تمام الإدراك أنّهم لا يحكمون سوى الأجسام، وأما القلوب والأرواح فهي معلقة بمن يرشدهم إلى خالقهم بمعية فطرتهم وعقولهم وهم أئمة الخير والصلاح المتمثل وجودهم المبارك بأهل البيت عليهم السلام.

ولهذا يخطط حكّام الجور لتصفيّة حكّام القلوب وهم أهل البيت عليهم السلام معتقدين بأنّ ذلك يسّاهم في أن تخلو الساحة لهم جهلاً منهم وطغياناً.

والإمام الرضا عليه السلام لم يخرج حاله مع المؤمنون عن ذلك؛ فمع أنّ الدولة العباسية في زمانه توسيّعها إلى مساحات شاسعة جداً<sup>(١)</sup> وأنّ كلّ ما يوجد في هذه

(١) حيث إنّ الدولة العباسية تنتدّ من المغرب والجزائر مروراً بشبه الجزيرة العربية فالعراق وإيران وباكستان وأفغانستان وصولاً إلى مقدار من الهند وإلى تركمانستان. ولذا كان هارون الرشيد يردّد مقولته المعروفة مخاطباً السحّاب: "أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك".

المساحات الشاسعة تحت إمرة حكامها إلا أن هناك في وسط المدينة المنورة رجل لا جيش عنده ولا عدة مادّية ولا عتاد، بوجوده المبارك يخيف هذه الدولة ومن يقوم عليها!

فيصدر الأمر من المؤمن لإشخاص الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى عاصمة الدولة العباسية حيث يقيم المؤمن وهي مرو - الكائنة في زماننا بدولة تركمانستان - ولم يكن استضافة، بل كان ذلك اعتقالاً غرضه فصل الإمام عن قاعده الشعبية خوفاً من تأثيره عليهم ولأغراض سياسية مختلفة دعت إلى هذا الاستدعاء الذي لا سبيل للإمام إلا لقبوله، وكان ذلك في سنة ٢٠٠ هـ لتبداً قصة المسير للإمام عليه السلام.

إلا أن الإمام عليه السلام قبل المسير أجرى جملة من المراسم التي كان من شأنها أن تحبط مخطط المؤمن، ثم شرع في المسير فيما بعد. وكان فيه تكريم إعلامي شديد فلا تجد من الأخبار لهذا المسير إلا النذر اليسير الذي لا يحكي عن كل تفاصيله ونشرير إلى ذلك إن شاء الله تعالى.

### قبل المسير:

كانت مهمة إشخاص الإمام عليه السلام قد أُسندت إلى شخص يعرف بابن الضحاك ولم تسند إلى مثل الجلودي<sup>(١)</sup> وهذا أول إيهام من المؤمن كي يتصور الجميع أن الإمام

(١) قبل سنة من إشخاص الإمام عليه السلام بعث هارون الرشيد الجلودي للمدينة كي يستحلّ بيوت الطالبيين ويستبيحها ولا يُبقي عليهم إلا ثوباً واحداً فيسلب كلّ ما عندهم وما عليهم وهكذا كان.. انظر عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٧٢.



يخرج معززاً وليس معتقلأً مشخصاً. إلا أنّ خروج الإمام في واقعه كان فجيعاً.

فبعد العزم على الرحيل: ودّع قبر جدّه عليهما السلام وداعاً لم يكن مثله وداع حيث كان يتردد على ذلك القبر ويبكي عنده حتى يرتفع صوته بالبكاء، ف يأتيه من يهنته بسفره هذا فيجيئه عليهما السلام: «ذرني فإني أخرج من جوار جدي عليهما السلام وأموت في غربة وأدفن في جنب هارون»<sup>(١)</sup> وكان هذا بمرأى ومسمع ولا يخفى ما فيه من لوعة الحزن والأسى.

ثم فرق على عياله الثاني عشر ديناراً وقال: «أما إني لا أرجع إلى عيالي أبداً»<sup>(٢)</sup>. وأمر أهله بالبكاء عليه بعد إعلامهم أنّ سفره هذا لا يرجع منه أبداً، وخلدتها ابنته الإمام الجواد في الزيارة الرجبية للإمام الرضا عليهما السلام: «..السلام عليك أيها العالم النبّيه، والقدر الوجيه، النازح عن تربة جده وأبيه، السلام على من أمر أولاده وعياله بالنّياحة عليه قبل وصول القتل إليه..»<sup>(٣)</sup>.

ثم كان الوداع الخاص لبيت الله الحرام مع ابنته الجواد ذو الأربع سنوات حيث اصطحبه معه فلما عزم على الرحيل من مكة إلى خراسان ودّع ابنته بهم وغم شديدين<sup>(٤)</sup> ليرجع الجواد إلى المدينة ويسير الإمام إلى خراسان.

(١) عيون أخبار الرضا، الصدوق، ج ٢، ص ٢٣٤، ح ٢٦.

(٢) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٣٥، ح ٢٨.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٤، ص ٥٣.

(٤) وفيما قاله الإمام الجواد إلى والده عليهما السلام: «وكيف أُبرح وقد ودّعت البيت وداعاً لا ترجع إليه أبداً..»، مستند الإمام الرضا، الشيخ عطاردي، ج ١، ص ١٦٩، ح ٢٦١.

## أثناء المسير:

تبدأ رحلة المسير من المدينة إلى مكة ومنها إلى مرو، وكان السير كله بِرًّا والطريق طويلة جدًا، وكان يرافق ذلك تكتيم شديد على أسر الإمام الرضا عليه السلام.

وكيف يظهر شيء من الأحداث والإمام محاط بعيون المؤمن وعلى رأسهم ابن الضحاك المأمور بأن لا يغيب عنه الإمام ليلاً ولا نهاراً، ويحصي عليه كلّ أقواله وأفعاله، هذا أولاً، ثانياً: كان الطريق الذي اتخذ في المسير بوصاية من المؤمن طريقاً لا يمر بالمناطق التي تولى الإمام عليه السلام خشية المواجهة معهم، وبالتحديد (الكوفة، بلاد الجبل<sup>(١)</sup>، وقم).

ثم شرع المسير بوصاية المؤمن على أن يكون على طريق البصرة، ثم الأهواز ثم فارس<sup>(٢)</sup>—هي: شيراز—احترازاً عن المرور بتلك المناطق الموالية.

فبدأ المسير من مكة المكرمة حتى يصل إلى النّباج<sup>(٣)</sup> ثم البصرة—وبين هاتين النقطتين لم أجد حدثاً قد نقل في مسيرة الإمام—ومن البصرة إلى الأهواز مروراً بقرية أربق وصولاً إلى فارس—شيراز—ثم إلى كرمان ثم نيسابور ثم طوس ثم إلى سرخس—وهي موضع يقع بين إيران وتركستان وهي موضع سجن فيه الإمام

(١) ويراد بها (همدان وقزوين وقرمسيين وما والاها، وحدودها آذربيجان، و العراق العرب، و خوزستان، وفارس وبلاد الديلم) على ما في هامش البحار، ج ٥٠، ص ٢٧٨. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ج ١، ص ٣٤٢، تاج العروس، الزبيدي، ج ٥، ص ٢٨٩. وقد تطلق في المصادر بالجبل. ويقصد بها بلاد الجبل.

(٢) الكافي، الكليني، ج ١، ص ٤٨٩، باب مولد أبي الحسن الرضا، ح ٧.

(٣) قرية قبيل البصرة على النصف من طريق مكة. تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، ج ٥، هامش ص ٢٢٤.



قبيل استشهاده في ٢٠٣ هـ - فينتهي المسير في (مردو) أسيراً في واقعه وإن كان ظاهر التصرّف معه هو الاحترام والتبجيل والتقدير.

هذا بناءً على ما ورد في الروايات التي يحدّد بعض رواتها موقع لقاء الإمام من جهة - مثل: (قال لأهل الأهواز). (أيت الرضا وهو في قنطرة إربق). (شيعته إلى سرخس) - وبعضها معلوم من جهة وصاية المؤمن إلى ابن الضحاك كي يمرّ بها. أما تحديد المنازل بالدقة فلا بد من الرجوع إلى الجغرافيين كي يدرسو المنازل التي كانت معدّة آنذاك ليرتسم لنا خط مسیر الإمام علیه السلام.

وفي كثير من المواقع التي مرّ بها الإمام علیه السلام خرج أهلها - مع أئمّهم لا يواليونه - لاستقبال الإمام وللأخذ من حديثه الذي كان يرويه بسنده إلى النبي ﷺ، كما حدث في نيسابور فيخيب ما خطط له المؤمن، وليس لمرافقي الإمام إلا أن يقبلوا بهذه الاستقبالات الحافلة من الناس خدمة لهدف المؤمن علیه السلام.

والملاحظ أنّ الأخبار التي تروي من الإمام في هذه المواقع موجزة الألفاظ عظيمة المعنى، وما ذاك إلا حالة التضييق الشديدة التي كان يعيشها الإمام علیه السلام التي لا تسمح له إلا بقلّة الكلام وانعدام الاختلاط مع الناس.

هذا نظر من قصّة المسير المؤلمة للإمام علیه السلام التي لا بد من التنقيب فيها لإبراز ما جرى على الإمام منها حتى استشهاده.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

# الإمام الرضا عليه السلام حجّة الخلق وواسطة الفيض

في حوار مع سماحة الشيخ يوسف أحمد السلطان (١)

حاوره: الشيخ منصور إبراهيم الجبلي

إنّ من لطف الله علينا نحن البشر أن خلق لنا وسائل لنزول رحمته، ولأجل هداية الإنسان الذي بطبعه كفور وينسى شكر هذه النّعمة كغيرها، بل هناك من

(١) سماحة الشيخ يوسف أحمد السلطان، ولد في الأحساء بقرية الرّميلة، والتحق بحوزة قم في سنة ١٤١٤هـ وواصل دراسته بجدٍ حتى وصل للبحث الخارج وحضر عند كلٍّ من:

١- آية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى.

٢- آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراسانى.

٣- آية الله الشيخ باقر الأيروانى.

٤- آية الله الشيخ حسين نجاتى.

وهو مستمر حالياً في تدريس السطح العالى في حوزة قم، وقد صدر له مجموعة مؤلفات وتقريرات لأساتذته، منها:

١- البشارة في كتاب الإجارة، تقريراً للدروس الشيخ الأيروانى.

٢- فقه البنوك، تقريراً للدروس الشيخ الأيروانى.

٣- شرح الخطبة الفدكية.

وغيرها من الكتب، بالإضافة إلى تحقيق بعض المخطوطات المرتبطة بشرح زيارة عاشوراء.

البشر من يرفض تلك النعمة بل يحاربها جهلاً واتباعاً للهوى، ونعمه الإمامة من أعظم النعم الإلهية العظيمة التي لم يعرف كثير من البشر قيمتها، فحاربها الطغاة من الأمويين والعباسيين وغيرهم بشتى الوسائل والحيل، إلا أنهم لم يستطيعوا ولن يستطيعوا حجب نور شعاع هداية البشر الذي يشع من الأنتمة عليه السلام، ومن بين الطواغيت الذين حاولوا أن يقفوا دون وصول النور الإلهي هو المأمون عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنُ، واستطاع الإمام الرضا عليه السلام أن يقلب حيئه ومكائده حفرة يدفن فيها، ومهما حاول المأمون تشويه صورة الإمام الرضا عليه السلام إلا أن الإمام أعلى وأرفع من أن تشوه صورته، كيف لا وهو نور الله في أرضه وحجّته على خلقه.

وفي هذا الحوار مع سماحة الشيخ يوسف السلطان نسلط الضوء على عدد من الجنبات المتعلقة بالإمام الرضا عليه السلام، كما نوجّه للشيخ خالص الشكر على تلبية الدعوة لإجراء هذا الحوار.

### واسطة الفيض:

\* هل اختصت بركات وإفاضات الإمام الرضا عليه السلام بشيعته ومواليه أم أنها عمت حتى غيرهم؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم باسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـهـ الطـاهـرـينـ والـلـعـنـ الدـائـمـ علىـ أـعـدـائـهـمـ أـجـمـعـينـ إلىـ قـيـامـ يـوـمـ الدـيـنـ.

الكلام حول بركات الإمام الرضا عليه السلام على أنحاء متعددة نتكلم هنا عنها بنحو عام كمقدمة وكبرى تطبق على كل إمام بما فيهم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

فنقول: الحديث عن البركات بشكل عام، وذلك بلحاظ وجود هذا المعنى في كل إمام من الأئمة المعصومين عليهما السلام، فإنه مما لا شك فيه عندنا أن الإمام عليهما السلام واسطة في الفيض من قبل الله تعالى، باعتبار أن العالم - ولو بنحو الموجبة الجزئية - ليس فيه قابلية أن يتلقى الفيض الإلهي بشكل مباشر وبلا واسطة.

قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾ (المائدة: ٣٥).

وقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْدُوراً﴾ (الإسراء: ٥٧).

فإن لا عجز في ساحة الخالق الفاعل ﷺ أن يوصل الفيض مباشرة للمخلوق القابل، بل العجز من القابل لا من الفاعل سبحانه.

وهذا فيه بحث مفصل ذكرنا منه مقدار الحاجة فقط.

فالنتيجة: إن هذا المعنى من الفيض الإلهي المحتاج إلى واسطة في التلقى ثابت لكل الأئمة المعصومين عليهما السلام.

فقد روى الشيخ الكليني عليه في الكافي الشريف، في إحدى زيارات الإمام الحسين عليهما السلام، قوله: «...مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ، بِكُمْ يُبَيِّنُ اللَّهُ الْكَذِبَ، وَبِكُمْ يُبَاعِدُ اللَّهُ الْزَّمَانُ الْكَلِبَ، وَبِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ، وَبِكُمْ يَخْتِمُ اللَّهُ، وَبِكُمْ يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَبِكُمْ يُثْبِتُ، وَبِكُمْ يَفْكُرُ الدُّلُلُ مِنْ رِقَابِنَا، وَبِكُمْ يُدْرِكُ اللَّهُ تَرَةً كُلَّ مُؤْمِنٍ يُطْلَبُ بِهَا، وَبِكُمْ تُثْبَتُ الْأَرْضُ أَشْجَارَهَا، وَبِكُمْ تُخْرِجُ الْأَشْجَارُ أَنْهَارَهَا، وَبِكُمْ تُنْزَلُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا وَرِزْقَهَا، وَبِكُمْ يَكْشِفُ اللَّهُ الْكَرْبَ، وَبِكُمْ يُنَزَّلُ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ تَسْيِعُ الْأَرْضُ الَّتِي تَحْمِلُ أَبْدَانَكُمْ

وَتَسْتَقِرُّ جَبَاهُا عَنْ مَرَاسِيهَا، إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ وَتَصُدُّرُ مِنْ بُيُوتِكُمْ...»<sup>(١)</sup>.

وكذلك روى الشيخ الصدوق عليه السلام في من لا يحضره الفقيه، في الزيارة الجامعية المباركة قوله: «...بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ، وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزَّلُ الْغَيْثُ، وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّماءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنَفَّسُ الْهَمُّ، وَيُكْسِفُ الضُّرَّ، وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَّلْتُ بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ...»<sup>(٢)</sup>.

وهذا المعنى ثابت في كثير من الروايات والزيارات.

### الولاية التكوينية:

بل إن الله تعالى قد أعطى للإمام إماماً على الكون بإذن الله سبحانه جل شأنه، ففي عقيدتنا أن الإمام ليس فقط إماماً للتشریع بل هو إمام للتكوين، وهذا المعنى يتجلّي بوضوح في كثير من النصوص الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة. منها الروايات التي دلت على أن الأرض لو لا الإمام لساحت.

فقد روى الشيخ الكليني عليه السلام في الكافي الشريف في باب «أن الأرض لا تخلو من حجّة» مجموعة من الروايات تدل على هذا المعنى.

منها ما رواه بإسناده عن أبي حمزة قال: «قلت لـ أبي عبد الله عليه السلام أنت في الأرض بغير إمام؟ قال: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»»<sup>(٣)</sup>.

(١) فروع الكافي، الكليني، ج ٤، ص ٥٧٦، باب زيارة قبر الحسين عليهما السلام، ح ٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٥.

(٣) أصول الكافي، الكليني، ج ١، ص ١٧٩، باب أن الأرض لا تخلو من حجّة، ح ١٠.

فإن الرّحمة والفيض من الله، وممّا لا شكّ فيه أنّ رحمة الله يَعْلَمُهُ وسعت كلّ شيء، البشر وغيرهم، المطينون والعاصين، بل حتّى الكفار، وهذا ما يُعبّر عنه بـ(الرّحمة الرّحّمانية) وهي العامة، وـ(الرّحمة الرحيمية) وهي الخاصة.

إذا جئنا لتطبيق (وسائل الفيض) على الأئمّة وعلى الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ بالخصوص، الذي هو محلّ الكلام، فلا شكّ أنّ الإمام أحد هذه الوسائل ولا خلاف في ذلك، فالرّحمة الرّحّمانية الإلهيّة بواسطته تعمّ جميع البشر، وهذا ثابت في الروايات الكثيرة، وأنّ الرّحمة الرّحّمانية تصدر من الإمام لجميع الناس، الشّيعة وغيرهم، الموالين وغيرهم، العاصي وغير العاصي، بل حتّى الحيوانات، وتطبق ذلك كثير في الروايات وأنّ الإمام كان يتعامل مع المخالفين بمنتهى الرّحمة ومنتهى اللطف، وما ذلك إلا لأنّ الإمام مظهر لتجلي الرّحمة الرّحّمانية العامة لكلّ العالمين، قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنياء: ١٠٧).

والشواهد على ذلك كثيرة فيما وردَ عن بعض حالات بعض المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

منها ما روی في قضية الشامي الذي جاء للإمام الحسن المجتبى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان يلعن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك فيما رواه ابن شهراشوب في المناقب، ونقله عنه العلّامة المجلسي في البحار:

”أَنَّ شَامِيًّا رَأَاهُ رَاكِبًا فَجَعَلَ يُلْعِنُهُ وَالْحَسَنُ لَا يَرِدُ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَضَحِكَ.

فقال: «أَئِهَا الشّيخ، أَظُنُّكَ غَرِيبًا، وَلَعَلَّكَ شَبَهْتَ، فَلَوْ اسْتَعْتَبْتَنَا أَعْتَبْنَاكَ، وَلَوْ سَأَلْتَنَا أَعْطَيْنَاكَ، وَلَوْ اسْتَرْشَدْتَنَا أَرْشَدْنَاكَ، وَلَوْ اسْتَحْمَلْتَنَا أَحْمَلْنَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ جَائِعًا

أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوتك، وإن كنت محتاجاً أغتنيناك، وإن كنت طریداً أؤيناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حررت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك؛ لأن لنا موضع رحباً وجهاً عريضاً وملاً كثيراً.

فلما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلي! وألآن أنت أحب خلق الله إلي، وحول رحله إليه وكان ضيوفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبتهم<sup>(١)</sup>.

فبركة هذا الفيض وهذه الرحمة الـرحـانـيـة الإلهـيـة التي تجـلـت في الإمام عليه السلام جعل الطرف الآخر يقر بأن الإمام هو واسطة الفيض الإلهي.

ومنها ما روي في قضية العـمـري مع الإمام موسى بن جعفر عليهما وذلك فيما رواه الطـبـري الشـيـعـيـ في كتابه دلائل الإمامـة: إنـه كان بـالمـدـيـنـة رـجـلـ من وـلـدـ عمرـ بنـ الخطـابـ يـؤـذـيهـ وـيـسـتمـ عـلـيـهـ عليهـ السلامـ، وـكانـ قـدـ قـالـ لـهـ بـعـضـ حـاشـيـتـهـ: دـعـنـاـ نـقـشـلـهـ. فـنـهـاـمـ عـنـ ذـلـكـ أـشـدـ التـهـيـ، وـرـجـرـهـ أـشـدـ الرـجـرـ، وـسـأـلـ عـنـ العـمـريـ، فـذـكـرـ لـهـ أـنـهـ يـزـرـعـ بـنـاحـيـتـهـ مـنـ نـوـاحـيـ المـدـيـنـةـ، فـرـكـبـ إـلـيـهـ فـيـ مـزـرـعـتـهـ فـوـجـدـهـ فـيـهـ، فـدـخـلـ الـمـزـرـعـةـ بـحـمـارـهـ، فـصـاحـ بـهـ الـعـمـريـ: لـاـ تـطـأـ رـزـعـنـاـ. فـتـوـطـأـ بـالـحـمـارـ، حـتـىـ وـصـلـ إـلـيـهـ، فـنـزـلـ وـجـلـسـ عـنـهـ، وـضـاـحـكـهـ، وـقـالـ لـهـ: كـمـ غـرـمـتـ فـيـ رـزـعـكـ هـذـاـ؟ قـالـ لـهـ: مـائـةـ دـيـنـارـ.

قـالـ: فـكـمـ تـرـجـوـ أـنـ تـصـيـبـ فـيـهـ؟

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٣، ص ٣٤٤.

قال: لا أعلم الغيب.

قال: «إِنَّمَا قُلْتُ لَكَ: كَمْ تَرْجُو فِيهِ؟»

قال: أرجو أن يجيئني مائة دينار.

قال: فأعطيه ثلاثة مائة دينار، وقال: هذا زرعك على حاله.

قال: فقام العمري فقبل رأسه، وانصرف.

قال: فراح إلى المسجد فوجد العمري جالساً، فلما نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

قال: فوثب أصحابه فقالوا له: ما قضيتك؟ قد كنت تتقول خلاف هذا!

فخاصتهم وسابهم، وجعل يدعو لأبي الحسن موسى عليه كلما دخل وخرج.

قال: فقال أبو الحسن موسى عليه حاشيته الذين أرادوا قتل العمري: «أيها كان آخر: ما أردتم أو ما أردت؟ أردت أن أصلح أمره بهذا المدار»<sup>(١)</sup>.

وهذا لا يفرق في ثبوته بين إمام وإمام، فإن الكجرى ثابتة لكل الأئمة عليه، إلا أنه في الصغرى وما وصلنا هو بعض الأئمة عليه.

كما أنه لخصوص الإمام علي بن موسى الرضا عليه فيوضات عممت الشيعة وغير الشيعة.

تبقي الألطاف الإلهية الخاصة وهي (الرحمة الرحيمية) التي تجلّ في عالم الإمام بواسطه الفيض وهو الإمام، فهذه الألطاف لا شك أنها ليست عامة وإنما

(١) دلائل الإمامة، ص ٣٠٩، ورواه المفيد في الإرشاد، ص ٢٩٧، والخطيب في تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٨، والطبرسي في إعلام الورى، ص ٣٠٦، والذهبي في سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٢٧١.

تحتّصّ بنوع خاصّ من النّاس وهم الشّيعة، بل حتّى الشّيعة في هذه الرّحمة الخاصة والفيض الخاصّ على مراتب بحسب معرفتهم واعتقادهم الصّحيح في الإمام، فالرّحمة الرحيمية خاصة بالشّيعة ولكن الشّيعة بينهم تفاوت.

\* لا شكّ أنَّ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام مفترض الطّاعة عند الشّيعة الإمامية، فما الذي دعا بعض الشّيعة إلى إنكار إمامته، خصوصاً أنَّ ذلك الإنكار كان من بعض حواريي الإمام الرضا عليه السلام كما في رؤوس الوقف مثل علي بن أبي حمزة البطائني وغيره؟

هذا يرتبط بمسألة مهمة وهي أنَّ جانب المعصية ممكن أنْ يصدر حتّى من أقرب المقربين للإمام، ونحن نرى من المسلمين من يخرج عن الدين ويرتدّ ويكون ملحداً، فليس غريباً أنْ ينحرف بعض الناس، فالمعصية قد تصدر من الأشخاص الذين هم من أعبد العباد لله تعالى، كيف لا وهذا إبليس قد عبد الله تعالى آلاف السنين ومع ذلك كفر بالله، فثبتواً وإثباتاً لا إشكال في ذلك، كما هو واضح.

وأما إنكار إمامية الإمام الرضا عليه السلام فهو يرجع لعدة عوامل:

منها طابع التّعلق بالمادة والأموال، كما هو الغالب على حركة إنكار إمامية الإمام الرضا عليه السلام، فالحركة التي خرجت من داخل التشيع لمجاورة الإمام الرضا عليه السلام وهي حركة الوقف، وكانت الحركة البارزة التي وقفت ضدَ الإمام.

## رؤوس الوقف

ورؤوس الوقف هم الأساس في بروز هذه الحركة، حيث توجد مجموعة منهم يعلمون أن الإمام مفترض الطاعة وأنه هو خليفة الإمام الكاظم عليه السلام، ومع ذلك أنكروا إمامته، وذلك لأجل العامل المادي بالدرجة الأولى؛ باعتبار أن بعضهم كانت لديه وكالة من الإمام الكاظم عليه السلام وكانت تُحبَّى إليهم الأموال لأنهم وكلاء الإمام الكاظم عليه السلام، فمع تسلّم الإمام الرضا عليه السلام لمنصب الإمامة الظاهريّة لا بد أن تُسلّم تلك الأموال إليه أو تبقى عندهم برضاه، وهذا ما لم يرتكبوا، وبها أن حب الدنيا رأس كل خطيئة، فمن يتعلّق بالدنيا ينكر إمامته الإمام، بل ينكر حتى الله سبحانه.

وقد صرّحت بعض الروايات بأن التعلق بالدنيا والأموال هو سبب إنكارهؤلاء إمامية الإمام الرضا عليه السلام، وإن لم يكن ذلك هو تمام السبب فلا أقل أنه جزء أساسي في هذا الإنكار.

فلاحظ ما رواه الشّيخ الكشي رحمه الله بإسناده عن أبي القاسم الحسين بن محمد بن عمر بن يزيد، عن عمّه [عمر بن يزيد]، قال: "كان بدء الواقعفة أنَّه كان اجتمع ثلاثة ألف دينارٍ عند الأشاعرة زكاة أموالهم وما كان يجب عليهم فيها، فحملوا إلى وكيلين لموسى عليه السلام بالكونفه أخذهما حيّان السراج، والآخر كان معه، وكان موسى عليه السلام في الحبس، فاتّحدا بذلك ذوراً وعقداً العقودة وأشتريا الغلات، فلما مات موسى عليه السلام وانتهى الخبر إليهما أنكرا موته، وأذاعا في الشيعة أنَّه لا يموت؛ لأنَّه هو القائم، فاغتمدْت عليه طائفة من الشيعة وانتشر قولهما في الناس، حتى كان عند مؤتهما أوصيَا بدفع ذلك المال إلى



ورثة موسى عليه السلام، واستبان للشيعة أنهما قالا ذلك حرصاً على المال<sup>(١)</sup>.

فتشكلت حركة الوقف من هذا المبدأ المادي والتّعلق بالدنيا.

فإنّ من أسباب معصية الله تعالى هو التّعلق الشّديد بالأموال أو الأولاد أو الجاه وغيره، كما أشارت إلى ذلك مجموعة من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهْوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآب﴾ (آل عمران: ١٤). وهناك عوامل كثيرة تجعل الإنسان يخرج عن دائرة طاعة الله تعالى لسنا في صدد استقصائها.

فهؤلاء الواقفة وإن كانوا يعلمون بإمامية الإمام الرضا عليه السلام إلا أنهم مع ذلك أنكروا إمامته عليه السلام.

فمن حيث الإمكان ممكن أن يعصي شيعة الإمام الإمام، ومن حيث الواقع قد وقع ذلك وثبتت معصيتهم للإمام وخالفوه وتعذّروا عليه.

في الحال الذي شكل الإمام الرضا عليه السلام مواجهة لهذا الحركة بقوّة، وصدر من الإمام في حقّهم الشيء الكثير، ما يكشف أن هؤلاء لم يكونوا مشتبهين، وإنما كانت حركتهم وإنكارهم لإمامية الإمام الرضا عليه السلام عن علم ومعرفة بأنه الإمام الحق الموصوب من قبل الله سبحانه وأنه هو خليفة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، إلا أنّ حبّ الدنيا وتعلقهم بها جرّهم إلى إنكار الإمام الحق، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنْتُهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤).

(١) رجال الكشي - اختيار معرفة الرجال، ص ٤٥٥ / ٨٧١

لذلك كان موقف الإمام الرضا عليه شدیداً تجاههم.

فقد صدرت منه ومن الإمام الجواد عليه، مواقف شديدة جداً تجاههم.

منها ما رواه الكشي في رجاله بإسناده عن يُونس بن عبد الرحمن، قال: "دخلت على الرضا عليه فقال لي: «مات علي بن أبي حمزة؟»؟".

قلت: نعم.

قال: «قد دخل النار».

قال: ففرزعت من ذلك.

قال: «أما إنه سُئل عن الإمام بعده موسى أبي، فقال لا أَعْرِف إِمَامًا بَعْدَه... فَضَرِبَ فِي قُبْرِهِ ضَرْبَةً اشْتَعَلَ قُبْرُهُ نَارًا»<sup>(١)</sup>.

ومنها: ما رواه أيضاً بإسناده عن علي بن مهزيار، قال: سمعت أبا جعفر عليه يقول - وقد ذكر عنده أبو الخطاب -: «لعن الله أبا الخطاب ولعنة أصحابه ولعنة الشاكين في لعنه ولعنة من قد وقف في ذلك وشك فيه».

ثم قال: «هذا أبو الغمر وجعفر بن واقد وهاشم بن أبي هاشم استأكلا علينا الناس، وصاروا دعاة يدعون الناس إلى ما دعى إليه أبو الخطاب، لعنة الله ولعنة معاشر ولعنة من قيل ذلك منهم».

يا علي، لا تتحرّجن من لعنتهم، لعنة الله! فإن الله قد لعنتهم.

ثم قال: قال رسول الله: من تأثم أن يلعن من لعنه الله فعلمه لعنة الله<sup>(٢)</sup>.

(١) رجال الكشي - اختيار معرفة الرجال، ص ٤٤٤ / ٨٣٣.

(٢) رجال الكشي، ص ٥٢٨ / ١٠١٢.

وهذه الرواية وإن لم تكن في خصوص الواقفة إلا أنها تكشف عن حالة المواجهة التي انتهجها الأئمة عليهما السلام في مواجهة التيارات المنحرفة بما فيهم الواقفة وغيرهم.

وهذا قسم من الناس الذين هم أساس حركة الوقف التي تشكلت في مواجهة إمامية الإمام الرضا عليه السلام.

وقسم من الناس قد اشتبه عليهم الأمر وذهبوا إلى حركة الوقف وأنكروا إمامية الإمام الرضا عليه السلام، لشبهة دخلت عليهم، وهؤلاء على قسمين:

منهم من رجع بعد أن ثبت له الحق بجلسة مع الإمام أو كرامة أو بجلسة مع بعض أصحاب الإمام، وتبيّن لهم الحق وبطلان حركة الوقف فكانوا مضللين.

ومنهم من ليس عنده القابلية لتقبيل الحق، وبقي على القول بحركة الوقف ونكران إمامية الإمام عليه السلام؛ فإنَّ قسماً من الناس عندما تدخل عليه الشبهة يكون من الصعب جداً خروجها منه، وب مجرد جعله في دائرة الشك تستحكم عنده الشبهة؛ فإنَّ إخراجها يحتاج إلى قابلية ذهنية ونفسية ووراثية وحتى أخلاقية؛ لأنَّ قابلية تقبيل الحق تحتاج إلى أرضية صالحة وتحتاج إلى عدم المانع من تقبيل الحق، فإنَّ بعض المعاصي تشكّل مانعاً من تقبيل الحق.

فقسم منهم بقوا على هذه الشبهة إلى أنْ ماتوا، من رؤوس الوقف وغيرهم.

وهنا تجدر الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أنَّ الإمامة في تلك الأزمنة لم تكن بذلك الوضوح الذي هو عندنا الآن، فلم يكن واضحاً عند بعضهم أنَّ الإمام مفترض الطاعة؛ لعدة عوامل:

منها: ابتعادهم عن الإمام جغرافيًّا وقلة اتصالهم بالإمام.

ومنها: أنَّ الإمام بسبب ظرف التقى لا يستطيع أن يبيّن مكانة الإمامة في كل مكان، بل وصل الأمر عند بعض الأئمَّة عليهم السلام إلى درجة أنَّه يقول لأصحابه لا تسلِّموا علىَّ كم روى ذلك عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام وذلك فيما رواه الرواندي في الخرائج والجرائح، ورواه عنه في البحار: عَنْ عَلَيِّ بْنِ جَعْفَرِ الْحَلَبِيِّ، قَالَ: "اجْتَمَعْنَا بِالْعُسْكَرِ وَتَرَضَّدْنَا لِأَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام يَوْمَ رُكُوبِهِ، فَخَرَجَ تَؤْقِيْعَهُ «أَلَا لَا يُسَلِّمَنَ عَلَيَّ أَحَدٌ، وَلَا يُشِيرُ إِلَيَّ بِيَدِهِ، وَلَا يُوْمِئُ أَحَدُكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَأْمُنُونَ عَلَى أَنفُسِكُمْ».

فَالَّذِي جَاءَنِي شَابٌ، قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنَ الْمَدِينَةِ. قُلْتُ: مَا تَضَعُ هَاهُنَا؟ قَالَ: اخْتَلَفُوا عِنْدَنَا فِي أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام فَجِئْتُ لِأَرَاهُ وَأَسْمَعْتُهُ أَوْ أَرَى مِنْهُ دَلَالَةً لِيُسْكُنَ قَلْبِي، وَإِنِّي مِنْ وُلْدِ أَبِي ذَرٍ الْعَفَارِيِّ. فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام مَعَ خَادِمِهِ فَلَمَّا حَادَنَا نَظَرَ إِلَيَّ الشَّابُ الَّذِي بِجَنْبِيِّ.

فَقَالَ: «غِفارِيُّ أَنْتَ؟»

قَالَ نَعَمْ.

فَالَّذِي فَعَلْتُ أَمْكَنَ حَمْدُوِيَّهُ [حَمْدُوَتَهُ]؟

فَقَالَ: صَالِحَةً.

وَمَرَّ فَقْلُتُ لِلشَّابِ: أَكُنْتَ رَأَيْتَهُ قُطُّ وَعَرَفْتَهُ بِوْجِهِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ؟

قَالَ: لَا.

قُلْتُ: فَيُقْبِعُكَ هَذَا؟

قال: ومن دون هذا<sup>(١)</sup>.

فهذه وغيرها من العوامل التي شكلت أرضية لهذه الظاهرة التي استغلت من قبل رؤوس الوقف حيث روجوا لهذه الدعوى في مواجهة إمامية الإمام الرضا عليه السلام.

\* كيف واجه الإمام الرضا عليه السلام حركة الوقف؟

واجههم الإمام عليه السلام بشكل عامٍ وخاصّ.

فمن جهة ظهرت على يدي الإمام الرضا عليه السلام معاجز وكرامات كثيرة لإثبات إمامته، وهذا واضح لا كلام فيه.

وكذلك من جهة الروايات والاستدلالات والبراهين في الإمامة بشكل عام قد صدر عنه كثير من الروايات في هذا الشأن، لا يسع المجال لذكرها، ويإمكان من أراد الاطلاع على ذلك مراجعة كتب الحديث المعدّة لذلك، كأصول الكافي للشيخ الكليني عليهما السلام، وعيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق عليهما السلام، وغيرهما.

وأمامًا في إثبات إمامته بالخصوص فقد صدرت عنه روايات كثيرة، موجودة في كتب الحديث عن الإمام الرضا وعن الإمام الكاظم عليهما السلام. فالإمام من ناحية علمية قد أقام الحجّة عليهم.

وفي جانب مواجهته بالخصوص لحركة الوقف ورؤوس الوقف أو من تبّين

(١) الخرائج والخرائح، الرواندي، ج ١، ص ٤٣٩، الباب ١٢ في معجزات الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، وعنه في بحار الأنوار، المجلسي، ج ٥٠، ص ٢٦٩، ح ٣٤.

له الحق وأصر على العناد، فقد صدرت مواجهة شديدة من الإمام في شأن هؤلاء واستمررت المواجهة حتى من الإمام الجواد علیه السلام، وقد تقدم نقل بعض تلك الروايات، حيث أعطى الإمام علیه السلام قاعدة كافية لمواجهة هذه التيارات، وهذا نوع حرب إعلامية أعلنتها الإمام بصراحة.

وهؤلاء ما كانوا يقبلون كلام الإمام علیه السلام، بل كانوا يلقنون أنفسهم ومن يسمع منهم أن الإمام موسى بن جعفر الكاظم علیه السلام، هو الإمام المهدي، وأن الإمام الرضا علیه السلام ليس إماماً.

وقد صدرت روايات عديدة تبطل مقولات الواقفة بأن الإمام الكاظم علیه السلام حي لم يمت:

منها: ما رواه الشيخ الكشي في رجاله بإسناده عن يونس بن يعقوب، قال: قلت لأبي الحسن الرضا علیه السلام: "أُعطي هؤلاء الذين يرغمون أن أباك حي من الزكاة شيئاً؟".

قال: «لَا تُعْطِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ مُشْرِكُونَ زَنَادِقَةٌ».

ومنها: ما رواه أيضاً بإسناده عن عدّة من أصحابنا عن أبي الحسن الرضا علیه السلام قال: "سِمِعْنَاهُ يَقُولُ «يَعِيشُونَ شُكَّاكاً وَيَمُوتُونَ زَنَادِقَةً» [يعني الواقفة].

قال: فَقَالَ بَعْضُنَا: أَمَا الشُّكَّاكُ فَقَدْ عَلِمْنَاهُ، فَكَيْفَ يَمُوتُونَ زَنَادِقَةً؟

قال: فَقَالَ: «خَضَرْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ وَقِدْ احْتَضَرَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: هُوَ كَافِرٌ إِنْ مَاتَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرَ».

قال فقلت: هَذَا هُوَ.

ومنها: ما رواه أيضاً بإسناده عن عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الرّضَا عَلَيْهِ السَّلَامَ يَقُولُ: «مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟»

فَقُلْتُ: جَعَلْتُ فِدَاكَ وَأَيُّ آيَةٍ؟

قَالَ: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ عُلِّتُ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بِأَيْدِيهِمْ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٍ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

فَقُلْتُ: اخْتَلَفُوا فِيهَا.

قَالَ أَبُو الْحَسَن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَلَكِنِي أَقُولُ نَرَأَتِ فِي الْوَاقِفَةِ؛ أَنَّهُمْ قَالُوا: لَا إِمَامَ بَعْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٍ، وَالْيَدُ هُوَ الْإِمَامُ فِي بَاطِنِ الْكِتَابِ، وَإِنَّمَا عَنِّي بِقَوْلِهِمْ لَا إِمَامَ بَعْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ».

ومنها: ما رواه أيضاً بإسناده عن الحَكَمِ بْنِ عِيسَى [عيص بن القاسم]، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ خَالِي سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: «يَا سُلَيْمَانُ مَنْ هَذَا الْغُلَامُ؟

فَقَالَ: ابْنُ أَخْتِي.

فَقَالَ: «هَلْ يَعْرِفُ هَذَا الْأَمْرُ؟»

فَقَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْلِقْهُ شَيْطَانًا.

ثُمَّ قَالَ: يَا سُلَيْمَانَ عَوْذْ بِاللَّهِ وَلُدُكَ مِنْ فِتْنَةِ شِيعَتَنَا!»

فَقُلْتُ: جَعَلْتُ فِدَاكَ، وَمَا تُلْكَ الْفِتْنَةُ؟

قَالَ: «إِنْكَارُهُمُ الْأَئمَّةَ وَغَرْضُهُمْ [ووقوفهم وعرضهم] عَلَى ابْنِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ».

قال: «يُنْكِرُونَ مَوْتَهُ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ لَا إِمَامَ بَعْدَهُ، أُولَئِكَ شُرُّ الْخُلُقِ».

ومنها ما رواه أيضاً بإسناده عن ابن أبي عمير، عن رجلٍ مِنْ أَصْحَابِنَا قال: قُلْتُ لِلرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: "جَعَلْتُ فِدَاكَ، قَوْمٌ قَدْ وَقَفُوا عَلَى أَيْسِكَ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ!"  
قال، قال: «كَذَبُوا وَهُمْ كُفَّارٌ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَوْ كَانَ اللَّهُ يَمُدُّ فِي أَجَلٍ أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ لِحَاجَةِ الْخُلُقِ إِلَيْهِ مَدَّ اللَّهُ فِي أَجَلِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

هذه طائفة من الروايات التي مؤداها أن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يمت.

وتوجد طائفة من الروايات مؤداها أنهم يزعمون بأن الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الإمام المهدي، نذكر واحدة منها كي لا يطول بنا المقام:

وهي ما رواه الشيخ الكشّي عَلَيْهِ السَّلَامُ في رجاله بإسناده عن عَلَيْهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال:  
جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَخِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: «جَعَلْتُ فِدَاكَ مَنْ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ؟»  
فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ يُفْتَنُونَ بَعْدَ مَوْتِي، فَيَقُولُونَ هُوَ الْقَائِمُ، وَمَا الْقَائِمُ إِلَّا بَعْدِي  
بِسِينَنَ».

وتقديم نقل ما رواه الكشّي بإسناده عن عمر بن يزيد في بيان سبب نشوء حركة الوقف وفيه أنهم ادعوا بأن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الإمام المهدي.

### ولاية العهد

\* ما هي الأسباب التي دفعت المؤمن عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى إكراه الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ،  
لكي يقبل ولاية العهد؟

وهل إكراهه له لأجل ميله إلى التشيع، كما ذهب بعضهم إلى ذلك؟ أم أن ذلك من ألاعيب السياسة؟

هذه شبهة حاول المأمون من خلالها أن يتحقق غرضه، وهي أنه شيعي وموالٍ للإمام الرضا عليه السلام في الإعلام وبحسب الظاهر.

ولأجل كشف هذه الشبهة نقول:

عندنا أصل مسلم وهو أنه «لا يجوز الركون إلى الظالم»، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ التَّأْرُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلَاءِ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ (هود: ١١٣).

ولا شك أن الإمام عليه السلام هو المطبق الأول لهذا الأصل ولا يمكن أن يخالف هذا الأصل، فإن هذا أصل إسلامي.

ومن جهة أخرى المأمون يعلم أن الإمام الرضا عليه السلام يعتقد بهذا الأصل وأنه لا يركن إلى الظالم، والمأمون يعلم أنه ظالم.

فإليكم يا علماء من المفترض ألا يركن إليه.

وحينئذ يريد المأمون أن يقفز على هذا الأصل، ويبين للناس أنه ليس بظلم، ولا يمكنه أن يتحقق ذلك بالكلام، بل لا بد أن يثبت ذلك بالفعل، بحيث لا يمكن أن ينكر ذلك أحد.

فيجعل الإمام يركن إليه بحسب الظاهر وإعلامياً.

فتكون النتيجة أنه ليس بظلماً، وهذه من السياسات الخبيثة التي ارتكبها المأمون، حتى شبه ذلك على بعض الشيعة في هذا الأمر فضلاً عن غيرهم.

وهذه نقطة مهمة استفاد منها المؤمنون إعلامياً، حتى يُبيّنَ للناس أنَّه ليس بظالم، باعتبار أنَّ الإمام عَلِيًّا لا يمكن أن يخالف الأصل المذكور، فلا يرکن إلى الظالم، وإذا رأى الناسُ الإمامَ قد رکن إلى المؤمنون، فسيقولون إنَّ المؤمنون ليس بظالم، فإذا نجح المؤمنون في ذلك فيكون قد حَقَّ مكاسبًا كبيرةً بالنسبة إليه.

ومن جهة ثالثة أنَّ الأرضية في تلك الفترة الْزَّمْنِيَّة في الدُّولَة العباسية، أي فترة ما قبل المؤمنون وزمان المؤمنون وما بعده، كانت فترة ثورات، بل إنَّ نفس المؤمنون وصل إلى سدَّة الحكم بالثورة على أخيه الأمين وقتلها، فكانت الساحة ميدانياً وعسكرياً مضطربة ومهيَّة لأنْ تحصل ثورة على المؤمنون، خصوصاً من القسم الأكبر الذين يشكّلون خطراً أكبر عليه وهم العلوّيون وأنصارهم، حيثُ حصلت في تلك الفترة ثورات وأحمدوها بالقوَّة، وبقيت هذه النار تشتعل تحت الرّماد، فتوجد في الأرضية قابليَّة خروج ثورة على المؤمنون، فإذا ما خرجت ثورات متعددة في أقطار مختلفة فسوف تسقط الدُّولَة العباسية، وطريق تجاوز هذه الأزمة وهذه الأخطار سياسياً وعسكرياً هو السيطرة على القسم الأكبر من الناس وهم العلوّيون، الذين يشكّلون خطراً كبيراً على حكومة المؤمنون، فإذا استطاع المؤمنون إعلامياً وسياسيًّا أن يخدع الرأي العام وأن يبيّن لهم أنَّه على وفاق مع الإمام الرضا عَلِيًّا، فيكون بذلك قد نزع فتيل الأزمة، ويكون في مأمن من الثورات المتوقَّع حصولها عليه من قبل العلوّيين أو أتباعهم ممَّن ينادون بالرضا من آل محمد، وذلك لا يكون بالكلام؛ إذ لن يجد من يصدقه، فيليب عليهم أنَّ الإمام الرضا عَلِيًّا بجانب المؤمنون، فلا حُجَّة لهم أنْ يثوروا عليه.

وهذا من دعاء المؤمن الذي عُرف به من بين خلفاء بنى العباس، بل عُدد من

دواهي العرب، فمن الطبيعي أن تصدر منه هذه الحيلة لخداع الرأي العام، وبيان أنه ليس بظالم وحينئذ لا يجوز الثورة عليه.

ومن هنا اشتبه بعضهم وقال بتشيعه!

مع أنه ليس عنده حتى ميل للتشيع في الواقع، وهو على غير التشيع.

ثم من جهة أخرى حاول أن يُبيّن نفسه للرأي العام عالماً وفقيهاً، وهذا يظهر من خلال الروايات المتعددة التي تتضمن أسئلة وجّهها إلى الإمام الرضا عليه مباشرة، وهي موجودة اليوم بعنوان أجوبة الإمام الرضا عليه على المأمون، ومن خلال هذه الرسائل حاول أن يكشف لعامة الناس بأنه لم يكن شخصاً عادياً.

فقد روى الشيخ الصدوق عليه الرواية المعروفة برواية محض الإسلام، المتضمنة سؤالاً من المأمون للإمام الرضا عليه، في حديث طويل، بإسناده عن الفضل بن شاذان قال: سأله المأمون علي بن موسى الرضا عليه أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار.

فكتب عليه له: «أنَّ محضَ الْإِسْلَامِ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِلَهًا وَاحِدًا أَحَدًا فَرْدًا صَمَدًا قَيُومًا سَمِيعًا بَصِيرًا قَدِيرًا قَدِيمًا قَائِمًا عَالِمًا لَا يَجْهَلُ قَادِرًا لَا يَعْجِزُ غَنِيًّا لَا يَخْتَاجُ عَدْلًا لَا يَجُورُ، وَأَنَّهُ خَالقُ كُلِّ شَيْءٍ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا شِبْهَ لَهُ وَلَا ضِدَّ لَهُ وَلَا نِدَّ لَهُ وَلَا كُفْءَةَ لَهُ... الخ»<sup>(١)</sup>.

ولذلك استفاد من هذه الجهة وأنه عالم وفقيه ومن جهات أخرى، وبالتالي لا يمكن أن يقتل الإمام الرضا عليه، فقتله ومشي في جنازته وذرف عليه دموع

(١) عيون أخبار الرضا عليه، الصدوق، ج ٢، ص ٢١٢.

الّهـاـسـيـحـ، وـمـشـىـ فـيـ جـنـازـتـهـ حـافـيـاـ، وـأـقـامـ العـزـاءـ عـلـىـ الإـمـامـ، حـتـىـ تـسـتـمـرـ هـذـهـ  
الـحـيـلـةـ وـيـظـهـرـ آـنـهـ بـرـيـءـ، وـالـحـالـ آـنـ تـارـيـخـهـ مـلـيـءـ بـالـظـلـمـ وـالـعـدـوـانـ، وـمـنـ الشـوـاهـدـ  
عـلـىـ ذـكـ قـتـلـهـ لـأـخـيـهـ الـأـمـيـنـ، لـأـجـلـ فـسـادـ أـخـيـهـ، بـلـ هـوـ أـفـسـدـ مـنـ أـخـيـهـ، وـإـنـهـ  
لـأـجـلـ السـلـطـةـ، فـهـوـ مـنـ أـهـلـ الـمـجـونـ وـالـخـمـورـ، فـأـيـنـ هـوـ مـنـ التـشـيـعـ؟ـ!  
نـعـمـ هـوـ يـحـاـولـ أـنـ يـظـهـرـ بـمـظـهـرـ الـمـتـنـسـكـ الـمـتـدـيـنـ الـعـالـمـ وـالـقـرـيـبـ مـنـ الإـمـامـ!

ولـذـلـكـ اـشـتـبـهـ عـلـىـ بـعـضـهـمـ وـقـالـ بـتـشـيـعـهـ.

فـالـمـأـمـونـ أـرـادـ أـنـ يـوـقـعـ النـاسـ فـيـ هـذـهـ الشـبـهـةـ لـيـسـتـفـيدـ مـنـهـ إـعـلامـيـاـ وـسـيـاسـيـاـ،  
لـكـيـ تـبـقـىـ دـوـلـتـهـ؛ لـأـنـ دـوـلـتـهـ مـهـدـدـةـ بـثـورـاتـ حـتـىـ مـنـ قـبـلـ نـفـسـ الـعـبـاسـيـيـنـ؛ لـأـنـهـ  
حـيـنـاـ قـتـلـ أـخـاـهـ الـأـمـيـنـ – الـذـيـ هـوـ اـبـنـ زـيـدـ الـعـرـيـةـ الـعـبـاسـيـةـ، وـالـمـأـمـونـ اـبـنـ  
فـارـسـيـةـ، فـهـمـاـ أـبـنـاءـ ضـرـرـةـ – أـدـرـكـ أـنـ أـخـوـالـ الـأـمـيـنـ لـنـ يـسـكـنـواـ عـنـ ذـكـ؛ وـلـذـلـكـ  
أـبـعـدـهـمـ عـنـ مـفـاـصـلـ السـلـطـةـ، وـغـيـرـ الـتـرـكـيـةـ الـوـزـارـيـةـ، كـمـ يـعـبـرـ الـيـوـمـ، فـأـزـالـ  
الـفـضـلـ بـنـ الرـبـيعـ، الـذـيـ كـانـ وزـيـرـ الـأـمـيـنـ، وـنـصـبـ مـكـانـهـ الـفـضـلـ بـنـ سـهـلـ.

ولـذـلـكـ أـرـادـ أـنـ يـحـصـنـ نـفـسـهـ سـيـاسـيـاـ فـأـكـرـهـ الـإـمـامـ عـلـىـ قـبـولـ وـلـاـيـةـ الـعـهـدـ،  
وـلـمـ يـظـهـرـ إـعـلامـيـاـ آـنـهـ بـصـورـةـ الـإـكـراهـ، بـلـ كـانـ ذـلـكـ مـنـ وـرـاءـ السـتـارـ.

\* كـيـفـ اـسـطـاعـ الـإـمـامـ الرـضـاـ عـلـىـ أـنـ يـرـدـ كـيـدـ الـمـأـمـونـ عـلـىـ وـيـبـطـلـ حـيـلـهـ  
وـيـجـعـلـهـ لـأـيـقـقـ ماـ يـصـبـوـ إـلـيـهـ مـنـ تـوـلـيـتـهـ الـإـمـامـ لـوـلـاـيـةـ الـعـهـدـ أوـ عـلـىـ الـأـقـلـ  
جـعـلـهـ لـأـيـقـقـ كـلـ أـهـدـافـهـ؟

بـعـدـ أـنـ اـتـضـحـ أـنـ هـدـفـ الـمـأـمـونـ مـنـ تـوـلـيـتـهـ الـإـمـامـ عـلـىـ لـيـسـ إـلـاـ لـتوـطـيـدـ مـلـكـهـ،  
خـوـفـاـ مـنـ خـرـوجـ ثـورـاتـ مـتـوـقـعـةـ آـنـذاـكـ مـنـ قـبـلـ الـعـلـوـيـيـنـ وـأـنـصارـهـمـ وـمـنـ الـطـرـفـ

المناوئ له من العباسيين، وحيث إنَّ الأكثَر خطورة عليه هُم العلوَيون كما هو واضح، فلو ثاروا لسقطت الدُّولة العباسية بأكملها و كان الحُكم علوِيًّا، فحاوَل المأمون أنْ يتجاوز مسألة ثورة العلوَيون ليستتبَّ الوضع الدَّاخلي له.

وقد واجه الإمام الرضا عليه السلام هذا المخطط، فإنه لا يمكن أنْ تخفي عليه حِيلَّة المأمون، وقد روى في بعض الأخبار أنَّ الإمام عليه السلام رفض ولادة العهد، وأنَّ المأمون دعا إعلامياً لتولي منصب الخليفة، وحاجَه الإمام في ذلك محااجة شديدة، ثمَّ تنَزَّل إلى طلب تولي الإمام ولادة العهد، ورفض الإمام ذلك، وبعد أن أكرَه الإمام على قبولها، شرط عليه الإمام شروطاً وأعلنها لـكُلِّ النَّاس، منها أنه لا يحلُّ ولا يربط، وبين الإمام بذلك أنَّ ولادته ولادَة صوريَّة وشكليَّة؛ لكي يسأل الناس أنَّه لماذا جعل الإمام الولاية صوريَّة ولم يجعلها حقيقة وبالتألي يكون خليفة للمأمون بعد موته طبق المعمول به في ولادة العهد؟ فيبيَّن بذلك للناس أنَّ هذه الولاية التي أكرَه المأمون عليها وقبلها صورة وشكلاً لا حقيقة، وهذا يفسد مخطط المأمون الذي يريد أن يبيَّن للناس أنَّ الولاية حقيقة، حتَّى يحصل هدفه، فإذا ما أثبت الإمام عليه السلام أنَّ الولاية صوريَّة بطل الهدف.

فلاحظ ما رواه الشيخ الصدوق عليه السلام في كتابه عيون أخبار الرضا عليه السلام بإسناده عن أبي الصَّلت الهروي، قال: "إِنَّ الْمَأْمُونَ قَالَ لِرَضَاَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتَ عِلْمَكَ وَفَضْلَكَ وَرُزْهَدَكَ وَوَرَعَكَ وَعِبَادَتَكَ، وَأَرَاكَ أَحَقَّ بِالْخِلَافَةِ مِنِّي".

فَقَالَ الرَّضَاَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بِالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى أَفْتَخِرُ وَبِالْزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا أَرْجُو النَّجَاهَ مِنْ شَرِّ الدُّنْيَا وَبِالْوَرَعِ عَنِ الْمَحَارِمِ أَرْجُو الْفَوْزَ بِالْمَغَانِيمِ وَبِالتَّوَاضُّعِ فِي الدُّنْيَا أَرْجُو الرَّفْعَةَ عِنْدَ الله عَزَّلَهُ». .

فقال له المأمون: "فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَغْزِلَ نَفْسِي عَنِ الْخِلَافَةِ وَأَجْعَلَهَا لَكَ وَأَبْا يَعْكَ".

فقال له الرّضا عليه السلام: «إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْخِلَافَةُ لَكَ وَالله جَعَلَهَا لَكَ فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَخْلُعَ لِبَاسًا أَلْبَسَكَ الله وَتَجْعَلَهُ لِغَيْرِكَ، وَإِنْ كَانَتِ الْخِلَافَةُ لَيْسَتْ لَكَ فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ لِي مَا لَيْسَ لَكَ».

فقال له المأمون: يا ابن رسول الله فَلَا بُدَّ لَكَ مِنْ قَبْوِلِ هَذَا الْأَمْرِ.

فقال: «لَسْتُ أَفْعُلُ ذَلِكَ طَائِعًا أَبْدًا».

فَمَا زَالَ يَجْهَدُ بِهِ أَيَّامًا حَتَّى يَئِسَ مِنْ قَبْوِلِهِ.

فَقَالَ لَهُ: فَإِنْ لَمْ تَقْبِلِ الْخِلَافَةَ وَلَمْ تُجْبِ مُبَايِعَتِي لَكَ فَكُنْ وَلِيَ عَهْدِي لِتَكُونَ لَكَ الْخِلَافَةُ بَعْدِي.

فَقَالَ الرّضا عليه السلام: «وَالله لَقَدْ حَدَثَنِي أَبِي عَنْ آبَائِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنْ رَسُولِ الله عليه السلام: أَنِّي أَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَكَ مَسْمُومًا مَقْتُولًا بِالسَّمِّ مَظْلُومًا، تَبْكِي عَلَيَّ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَمَلَائِكَةُ الْأَرْضِ، وَأَدْفَنُ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ إِلَى جَنْبِ هَارُونَ الرَّشِيدِ».

فَبَكَى الْمُأْمُونُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يا ابن رسول الله، وَمَنِ الَّذِي يُقْتُلُكَ أَوْ يُقْدِرُ عَلَى الإِسَاءَةِ إِلَيْكَ وَأَنَا حَيٌّ؟

فَقَالَ الرّضا عليه السلام: «أَمَا إِنِّي لَوْ أَشَاءْ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ مَنِ الَّذِي يَقْتُلُنِي».

فَقَالَ الْمُأْمُونُ: يا ابن رسول الله إنَّمَا تُرِيدُ بِقَوْلِكَ هَذَا التَّحْكِيفَ عَنِ نَفْسِكَ وَدَفْعَ هَذَا الْأَمْرِ عَنِكَ لِيُقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ رَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا.

فَقَالَ الرّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَاللهِ مَا كَذَبْتُ مُنْذُ خَلَقَنِي رَبِّي يَعْلَمُ وَمَا زَهَدْتُ فِي الدُّنْيَا لِلَّدُنْيَا وَإِنِّي لَأَعْلَمُ مَا تُرِيدُ».

فَقَالَ الْمُؤْمِنُ: وَمَا أُرِيدُ؟

قَالَ: «الْأَمَانَ عَلَى الصَّدْقِ»؟

قَالَ: لَكَ الْأَمَانُ.

قَالَ: «تُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّ عَلَيَّ بْنَ مُوسَى الرّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا بَلْ زَهَدَتِ الدُّنْيَا فِيهِ، أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ قَبِيلَ وَلَا يَةُ الْعَهْدِ طَمَعاً فِي الْخِلَافَةِ».

فَغَضِبَ الْمُؤْمِنُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ تَسْلَقَانِي أَبْدَا بِمَا أَكْرَهْتُ وَقَدْ أَمْثَثَ سَطْوَتِي، فَبِإِلَهِ أَقْسِمُ لَئِنْ قَبِيلَ وَلَا يَةُ الْعَهْدِ وَإِلَّا أَجْبُرْتُكَ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنْ فَعَلْتَ وَإِلَّا ضَرَبْتَ عَنْكَ!

فَقَالَ الرّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قُدْ نَهَانِيَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أُقْرِي بِدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَافْعُلْ مَا بَدَأْتَكَ، وَأَنَا أَقْبِلُ ذَلِكَ عَلَى أَنِّي لَا أُوَلِّي أَحَدًا وَلَا أَعْزِلُ أَحَدًا وَلَا أَنْقُضُ رَسِمًا وَلَا سُنَّةً، وَأَكُونُ فِي الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِ مُشِيرًا». فَرَضَيَ مِنْهُ بِذَلِكَ، وَجَعَلَهُ وَلِيَ عَهْدِهِ عَلَى كَرَاهِيَّةِ مِنْهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

وَأَمّا عدم التفات الناس إلى أن الولاية كانت صورية، فإنه قد انطلت حيلة المؤمن على مجموعة من الناس، ولكن لم تنطل هذه الحيلة على باقي الناس.

ولأجل ذلك صدرت مجموعة من التساؤلات حتى من بعض المقربين من الإمام عَلَيْهِ السَّلَامِ وأجابهم الإمام عَلَيْهِ السَّلَامِ بأجوبة مختلفة.

(١) عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَام، الصدوق، ج ٢، ص ١٣٩.

منها ما رواه الشيخ الصّدوق رحمه الله بإسناده عن الرّيّان بن الصّلّت قَالَ: "دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى الرِّضا عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، النَّاسُ يَقُولُونَ إِنَّكَ قَبِيلٌ وِلَايَةُ الْعَهْدِ مَعَ إِظْهَارِكَ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا!"

فَقَالَ عليه السلام: «قَدْ عَلِمَ اللَّهُ كَرَاهِتِي لِذَلِكَ، فَلَمَّا خُيِّرْتُ يَنْقُولُ ذَلِكَ وَبَيْنَ الْقَتْلِ اخْتَرْتُ الْقَبْوَلَ عَلَى الْقَتْلِ، وَيَحْمُمُهُمْ أَمَا عَلِمُوا أَنَّ يُوسُفَ عليه السلام كَانَ نَبِيًّا وَرَسُولًا، فَلَمَّا دَفَعْتُهُ الضَّرُورَةُ إِلَى تَوْلِي خَزَائِنِ الْعَرِيزِ ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظٌ عَلَيْمٌ﴾، وَدَفَعْتُهُنِي الضَّرُورَةُ إِلَى قَبْوَلِ ذَلِكَ عَلَى إِكْرَاهٍ وَإِجْبَارٍ، بَعْدَ الْإِشْرَافِ عَلَى الْهَلاَكِ، عَلَى أَيِّ مَا دَخَلْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا دُخُولَ خَارِجِ مِنْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ الْمُشْتَكِي وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ» <sup>(١)</sup>.

ومنها ما رواه أيضاً بإسناده عن محمد بن عرفة قال: قلت للرّضا عليه السلام: "يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا حَمَلَكَ عَلَى الدُّخُولِ فِي وِلَايَةِ الْعَهْدِ؟

فَقَالَ: «مَا حَمَلَ جَدِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى الدُّخُولِ فِي الشُّورَى» <sup>(٢)</sup>.

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة الواردة في بيان وجه قبول الإمام عليه السلام لولاية العهد.

ولذلك بالرجوع إلى التاريخ نجد أنه خرجت عدة ثورات على المؤمنون حتى من العلوبيين في زمن توليه ولاية العهد للإمام عليه السلام، وهذا يكشف أن الإمام عليه السلام أفشل مخطط المؤمنون.

(١) عيون أخبار الرّضا عليه السلام، الصّدوق.

(٢) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٣٩.

وكيف كان فإنَّ غرض المأمون من تولية الإمام هو تصوير أنَّ هذه الولاية حقيقةً.

والإمام عليه السلام نقض غرض المأمون بجعله ولاية العهد شكليَّة وصوريَّة، فهذه الشروط التي وضعها الإمام جعلت الولاية صوريَّة ظاهريَّة، كما هو المذكور في الرواية آنفة الذكر وغيرها.

ومن هنا لا يأتي الإشكال بأنَّ الإمام قبل ولاية العهد، فلو دار الأمر بين أن يقتل الإمام أو يقبل بولاية صوريَّة، لا شك أنَّ حفظ الإمام أولى، ومن خلال هذه الولاية الصوريَّة يمرُّ الإمام مجموعة من الأمور التي تفسد على المأمون مخططه، وليس للناس حقٌّ أن يُشكِّلوا على الإمام وأنَّه ليس له حقٌّ في جعل الولاية صوريَّة؛ لأنَّه من خلال هذه الولاية الصوريَّة يُحفظ الإمام ومن خلاها يمرُّ الإمام أهدافه ويفسد على المأمون تمام مخططه.

وفيها جاء من الروايات والأحداث التي حصلت في سير الإمام إلى خراسان، فكان كُلُّ تصرُّف من الإمام في طول طريقه هو مسار في نعش مخطط المأمون؛ باعتبار أنَّه يثبت إمامته وأنَّه مفترض الطاعة وأنَّ المأمون ليس له ولاية وليس له الحقُّ أنْ ينصب نفسه خليفة للمسلمين، بل وليس له الحقُّ أنْ يجعلني خليفة؛ لأنَّ الإمامة هي جعل إلهيٌّ.

\* هل أنَّ هذه الولاية الصوريَّة لم تتضح لبعض الشيعة، ولذلك استنكروا على الإمام قبوله لهذه الولاية الصوريَّة؟

نعم، بعضهم اشتبه عليهم الأمر، ولكنهم أقلّية من بين باقي الشيعة، فإنه بشكل عام عند الشيعة الصورة كانت واضحة، وأن هذه الولاية صورية، نعم قليل من الأشخاص على مر التاريخ اشتبه عليهم الأمر، ومن الطبيعي أن يكون هناك بعض الأشخاص تنطلي عليهم هذه الشبهة فيقعون في خطط المأمون.

\* ينسب إلى بعض العلماء كالسيد علي ابن طاووس والإربلي في كشف الغمة، أن الإمام علي مات حتف نفسه، فكيف تقول الشيعة بأن الإمام علي استشهد، وقتل مسموماً؟

الرأي المشهور عند الشيعة ومن روى حادثة استشهاد الإمام علي من العامة، أنه مات مسموماً شهيداً.

وقد دلت على ذلك بعض الأخبار، كما صرّح به جمّع من أعلام الطائفة وتقاد الأخبار، من المتقدمين والمتاخرين، أمثال الشيخ الصدوق عليه السلام، حيث روى مجموعة من الروايات تدل على ذلك في كتابه عيون أخبار الرضا عليه السلام الشیخ المفید عليه السلام في كتابه الإرشاد، والعلامة المجلسي عليه السلام في كتابه بحار الأنوار.

فمن الأخبار لاحظ ما رواه الشيخ الصدوق عليه السلام بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهرمي، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «إني سأقتل بالسم مظلوماً، وأقرب إلى جنب هارون، ويجعل الله تربتي مختلفاً شيعتي وأهل محبتي، فمن زارني في غربتي وجئت له زيارتي يوم القيمة، والذى أكرم محمد عليه السلام بالنبوة واصطفاه على جميع الخلائق»

لَا يُصْلِّي أَحَدٌ مِنْكُمْ عِنْدَ قَبْرِي رَكْعَتَيْنِ إِلَّا اسْتَحْقَقَ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَالَّذِي أَكْرَمَنَا بَعْدَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْإِمَامَةِ وَخَصَّنَا بِالْوَصِيَّةِ إِنَّ زُوَّارَ قَبْرِي لَأَكْرَمُ الْوُفُودَ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَزُورُنِي فَيُصِيبُ وَجْهُهُ قَطْرَةً مِنَ الْمَاءِ إِلَّا حَرَمَ اللَّهُ تَعَالَى جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

وغيرها من الروايات.

وكذلك لاحظ ما ذكره الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب الإرشاد، في الفصل الذي عقده لبيان شهادة الإمام الرضا عليه السلام:

(باب ذكر وفاة الرضا علي بن موسى عليهما السلام وسببها وطرف من الأخبار في ذلك) "وَكَانَ الرِّضَا عَلَيْهِ بْنُ مُوسَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُكَثِّرُ وَعْظَ الْمَأْمُونِ إِذَا خَلَّ بِهِ وَيَخْوُفُهُ بِاللَّهِ وَيَقْبِحُ لَهُ مَا يَرَكِبُهُ مِنْ خَلَافَهُ، فَكَانَ الْمَأْمُونُ يُظْهِرُ قَبُولَ ذَلِكَ مِنْهُ وَيُبَطِّنُ كَرَاهَتَهُ وَاسْتِقْرَأَهُ".

وَدَخَلَ الرِّضَا عَلَيْهِ يَوْمًا عَلَيْهِ فَرَآهُ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ وَالْغَلَامُ يَضْبَطُ عَلَى يَدِهِ الْمَاءَ.

فَقَالَ: «لَا تُشْرِكْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ أَحَدًا».

فَصَرَفَ الْمَأْمُونُ الْغَلَامَ وَتَوَلََّ تَمَامًا وَضُوئِهِ بِنَفْسِهِ، وَزَادَ ذَلِكَ فِي غَيْظِهِ وَوَجْدِهِ.

وَكَانَ عَلَيْهِ يُزْرِي عَلَى الْحَسَنِ وَالْفَضْلِ ابْنَي سَهْلٍ عِنْدَ الْمَأْمُونِ إِذَا ذَكَرَهُمَا وَيَصِفُ لَهُ مَسَاوِيَهُمَا وَيَهْمَهُهُمَا عَنِ الإِصْغَاءِ إِلَيْ قَوْلِهِمَا، وَعَرَفَا ذَلِكَ مِنْهُ فَجَعَلَا

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق، ج ٢، ص ٢٢٦.

يُحطِّبَانِ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ وَيُدْكِرُانِ لَهُ عِنْهُ مَا يُبَعِّدُهُ مِنْهُ وَيُخَوِّفَانِهِ مِنْ حَمْلِ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرَالَا كَذَلِكَ حَتَّى قَلَبَا رَأْيَهُ. وَعَمِلَ عَلَى قَتْلِهِ عَلِيَّ، فَاتَّقَ أَنَّهُ أَكَلَ هُوَ وَالْمُؤْمِنُ يَوْمًا طَعَامًا فَاغْتَلَ مِنْهُ الرِّضَا عَلِيَّ، وَأَظْهَرَ الْمُؤْمِنُ تَمَارِضًا.

ثم ذكر الشيخ المفيد رواية تبين كيفية سمّ الإمام عَلِيَّ، عن منصور بن بشير عن أخيه عبد الله بن بشير قال: "أمرني المؤمن أن أطول أظفارِي عن العادة ولا أظهر لأحد ذلك ففعلت، ثم استدعاني فأخرج إلى شيشاً شبة التمر الهندي، وقال لي: أعيجن هذا بيديك جميماً، ففعلت، ثم قام وتركني، فدخل على الرضا عَلِيَّ، فقال: له ما خبرك؟ قال: «أرجو أن أكون صالحًا». قال: له أنا اليوم بحمد الله أيضاً صالح، فهل جاءك أحد من المترفين في هذا اليوم؟ قال: «لا». فغضب المؤمن وصاح على علماني، ثم قال: خذ ماء الرمان الساعة؛ فإنه مما لا يستغنى عنه، ثم دعاني فقال: أتيت برمان، فأتيته به، فقال لي: اغصره بيديك. ففعلت وسقاه المؤمن الرضا عَلِيَّ بيده، فكان ذلك سبب وفاته، فلم يلبث إلا يومين حتى مات عَلِيَّ".

ثم ذكر الشيخ المفيد عن أبي الصلت الهروي أنه قال: "دخلت على الرضا عَلِيَّ و قد خرج المؤمن من عنده. فقال لي: يا أبو الصلت، قد فعلوها، وجعل يوماً و يمجده".

ثم ذكر رواية أخرى يبيّن فيها أن الإمام سم في عنبر، عن محمد بن الجهم أنه قال: "كان الرضا عَلِيَّ يعجبه العنبر فأخذ له منه شيء فجعل في موضع أثماعه الإبر أيامًا ثم نزعه منه وجيء به إليه، فأكل منه وهو في عليلة التي ذكرناها فقتلها وذكر أن ذلك من لطيف السموم".

وَلَمَّا تُوْفِيَ الرِّضَا عَلَيْهِ كَتَمَ الْمَأْمُونُ مَوْتَهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً، ثُمَّ أَنْفَذَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَجَمَاعَةِ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ فَلَمَّا حَضَرُوهُ نَعَاهُ إِلَيْهِمْ وَبَكَى وَأَظْهَرَ حُزْنًا شَدِيدًا وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ صَحِيحَ الْجَسْدِ، وَقَالَ: يَعِزُّ عَلَيَّ يَا أَخِي أَنْ أَرَاكَ فِي هَذِهِ الْحَالِ، قَدْ كُنْتُ آمِلُ أَنْ أُقْدَمَ قَبْلَكَ فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا مَا أَرَادَ.

ثُمَّ أَمَرَ بِغُشْلِهِ وَتَكْفِينِهِ وَتَحْبِطِهِ وَخَرَجَ مَعَ جَنَازَتِهِ يَحْمِلُهَا حَتَّى انتَهَى إِلَى المَوْضِعِ الَّذِي هُوَ مَدْفُونٌ فِيهِ الْآنَ...<sup>(١)</sup>.

نعم هناك من اشتبه عليهم الأمر، وقالوا بأنّ المؤمن لم يسم الإمام عليه السلام وإنما مات حتف أنفه.

ويظهر من تصريح الإربلي في كشف الغمة أنّ سبب الشّبهة أنّه لو فرض أنّه قتل مسموماً فمن يتجرّأ على قتله غير المؤمن، والمؤمن -عندهم- لا يمكن أن يصدر منه ذلك؛ باعتبار بعض تصرفات المؤمن الظّاهريّة، من احترامه للإمام وإعطائه ولایة العهد، فقالوا: بأنّ الإمام عليه السلام مات حتف أنفه ولم يمت مسموماً.

كما أنّ نسبة القول بأنّ الإمام مات حتف أنفه إلى السّيد رضي الدين بن طاووس عليه السلام هي في كلام الإربلي في كتابه كشف الغمة.

حيث إنّه نقل كلام الشيخ المفيد عليه السلام في الإرشاد، الذي فيه إثبات أنّ الإمام عليه السلام مات مسموماً وأنّ الذي سمه هو المؤمن، حيث قال ما نصّه:

[قَالَ الشَّيْخُ الْمُفِيدُ لِلَّهِ بَابُ ذِكْرِ الْإِمَامِ الْقَائِمِ بَعْدَ أَبِي الْحَسِنِ مُوسَى عَلَيْهِ

(١) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، ج ٢، ص ٢٦٩.

وَتَارِيخُ مَوْلِدِهِ وَذَلِيلُ إِمَامَتِهِ وَمَبْلَغُ سِنِّهِ وَمُدَّةُ خِلَافَتِهِ وَوَقْتِ وَفَاتِهِ وَسَبَبِهَا  
وَمَوْضِعُ قَبْرِهِ وَعَدَدُ أَوْلَادِهِ وَمُخْتَصِّرٌ مِّنْ أَخْبَارِهِ.

وَكَانَ الْإِمَامُ بَعْدَ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عَلَيْهِ ابْنَةُ -أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ بْنَ مُوسَى  
الرِّضَا عَلَيْهِ لِفَضْلِهِ عَلَى جَمَاعَةِ إِخْوَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَظَهُورِ عِلْمِهِ وَحِلْمِهِ وَوَرَعِهِ  
وَاجْتِمَاعِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ عَلَى ذَلِكَ فِيهِ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِهِ مِنْهُ وَلِتَصْ أَبِيهِ عَلَى إِمَامَتِهِ  
مِنْ بَعْدِهِ وَإِشَارَتِهِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ دُونَ جَمَاعَةِ إِخْوَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ... الخ<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ استمرَّ في نقل كلام الإرشاد ببطوله، ثُمَّ عَقَبَهُ بتعليق منه عليه بقوله:

”قال العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله علي بن عيسى جامع هذا الكتاب  
أثابه الله تعالى: بلغني ممن أثق به أنَّ السَّيِّد رضي الدين علي بن الطاووس عليه السلام  
كان لا يوافق على أنَّ المأمون سقى علياً عليه السلام ولا يعتقد، وكان عليه السلام كثير المطالعة  
والتنقيب والتفتيش على مثل ذلك، والذي كان يظهر من المأمون من حنوه عليه  
وميله إليه واختياره له دون أهله وأولاده مما يؤيد ذلك ويقرره. وقد ذكر  
المفید عليه السلام شيئاً ما يقبله نceği ولعلني واهم، وهو أنَّ الإمام عَلَيْهِ ابْنَةُ كان يعيي ابنه  
سهيل عند المأمون ويقبح ذكرهما.. إلى غير ذلك. وما كان أشغله بأمور دينه  
وآخرته واستغفاله بالله عن مثل ذلك. وعلى رأي المفید عليه السلام أنَّ الدولة المذكورة  
من أصلها فاسدة وعلى غير قاعدة مرضية، فاهماماً عليه السلام بالواقعة فيهما حتى  
أغراهما بتغيير رأي الخليفة عليه فيه ما فيه.“

ثُمَّ إنَّ نصيحته للمأمون وإشارته عليه بما ينفعه في دينه لا يوجب أنْ يكون

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط -القدية)، ج ٢، ص ٢٦٩.

سبباً لقتله وموجاً لركوب هذا الأمر العظيم منه، وقد كان يكفي في هذا الأمر أن يمنعه عن الدخول عليه أو يكفله عن وعده.

ثم إننا لا نعرف أنَّ الإبر إذا غرسَتْ في العنب صار العنب مسموماً ولا يشهد به القياس الطبي، والله تعالى أعلم بحال الجميع وإليه المصير وعند الله تجتمع الخصوم<sup>(١)</sup>.

ثم عقب ذلك بنقل كلام من كتاب يعرف بكتاب النديم، ونقل منه ما يؤيد ما ذهب إليه من عدم سُمِّ الإمام الرضا عليه السلام على يد المأمون، فقال:

"وَرَأَيْتُ فِي كِتَابٍ يُعْرَفُ بِكِتَابِ النَّدِيمِ لَمْ يَحْضُرْنِي عِنْدَ جَمْعِ هَذَا الْكِتَابِ: أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ كَتَبُوا إِلَى الْمُأْمُونِ يُسَفِّهُونَ رَأْيَهُ فِي تَوْلِيهِ الرِّضَا عَلَيْهِ الْعَهْدَ بَعْدَهُ وَإِخْرَاجِهِ عَنْهُمْ إِلَى بَنِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ اللَّهُ تَعَالَى اسْمُهُ وَبَنِي الْعَوْنَانِ فِي تَحْطِيَتِهِ وَسُوءِ رَأْيِهِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ جَوَابًا غَلِيلًا سَيِّئَهُمْ فِيهِ وَنَالَ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ وَقَالَ فِيهِمُ الْقَبَائِحَ، وَقَالَ مِنْ جُمِلَةِ مَا قَالَ: وَبَقِيَ عَلَى خَاطِرِي أَنْتُمْ نُكْفُ السُّكَارَى فِي أَرْحَامِ الْقِيَانِ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَذَكَرَ الرِّضَا عَلَيْهِ وَنَبَّهَ عَلَى فَضْلِهِ وَشَرْفِهِ وَنَفْسِهِ وَبَيْتِهِ"<sup>(٢)</sup>.

وهذا وأمثاله مما ينفي عن المأمون الإقدام على إزهاق تلك النفس الطاهرة والسعى فيها يوجب خسران الدنيا والآخرة، والله أعلم.

ثم إنَّ العلامة المجلسي<sup>رحمه الله</sup> تعرَّض لهذا الكلام بالنقض والرد ببيان ذكره في بحار الأنوار تحت عنوان تذليل:

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط - القديمة)، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٨٤.

[تذيل:]

اعلم أن أصحابنا والمخالفين اختلفوا أن الرضا عليه هل مات حتف نفسه أو مضى شهيداً بالسم؟

وعلى الأخير هل سمه المؤمن لغسله أو غيره.

والأشهر بيننا أنه عليه مضى شهيداً بسم المؤمن.

وينسب إلى السيد علي بن طاووس أنه أنكر ذلك.

وكذا أنكره الإربلي في كشف الغمة، ورداً ما ذكره المفید بوجوه سخيفة، حيث قال بعد إيراد كلام المفید:

ونقل كلام الإربلي المتقدم في كشف الغمة ثم علق عليه بقوله:

”ولا يخفى ونهن إد الوقيعة في ابني سهل لم يكن للدنيا حتى يمنعه عنه الاستغال بعبادة الله تعالى، بل كان ذلك لما وجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورفع الظلم عن المسلمين مهما أمكن، وكون خلافة المؤمن فاسدة أيضاً لا يمنع منه، كما لا يمنع بطلان خلافة الغاصبين إرشاد أمير المؤمنين إياهم لمصالح المسلمين في الغزوات وغيرها.

ثم إنه ظاهر أن نصيحة الأشقياء ووعظهم بمحضر الناس لا سيما المدعين للفضل والخلافة مما يشير حقدهم وحسدهم وغيظهم، مع أنه عليه كان أول أمره مبنيناً على الحيلة والخدعة لإطفاء نائرة الفتنة الحادثة من خروج الأشراف والسادة من العلوتين في الأطراف فلما استقر أمره ظهر كيده.



فالحقُّ ما اختاره الصدوق والمفید وغيرهما من أجياله أصحابنا أنَّه عليه السلام مضى شهيداً بِسْمِ المأمون اللعين عليه اللعنة وعلى سائر الغاصبين والظالمين أبد الآبدين<sup>(١)</sup>.

### خصوصية الإمام الرضا عليه السلام

\* ما هي الخصوصية التي اختص بها الإمام الرضا عليه السلام، من بين المعصومين عليهما السلام التي جعلت زيارته توازي أو قد تفضل على زيارة سيد الشهداء الإمام الحسين عليهما السلام؟

السؤال عن الخصوصية إنْ كان المراد هو علة الحكم، فهذا مرتبط بملاکات الأحكام وعللها، وهذا الأمر لا يعلم إلا الله سبحانه أو من أطلعه الله على ذلك، وإن كان عن الحكمة من ذلك، فيمكن أن نحوم حول الحمى ونتحمل عدة احتمالات، كما سوف نقل ذلك عن بعض شرائح الحديث، أمثال العلامة المجلسي رحمه الله.

نعم توجد روایة عن الإمام الجواد عليه السلام في هذا الشأن بالخصوص، حيث سُئل عليهما السلام أيهما أفضل زيارة أبيك الرضا عليهما السلام أو زيارة الحسين بن علي عليهما السلام؟

ووهذه الروایة قد رواها الشيخ الكليني رحمه الله بإسناد معتبر عن علي بن مهزيار قال: قلت لأبي جعفر عليهما السلام: "جعلت فداك زيارة الرضا عليهما السلام أفضل أم زيارة أبي عبد الله الحسين عليهما السلام؟"

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٩، ص ٣١١.

فَقَالَ: «رِيَارَةُ أَبِي أَفْضَلُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَزُورُهُ كُلُّ النَّاسِ وَأَبِي لَا يَزُورُهُ إِلَّا الْخَوَاصُ مِنَ الشِّعْعَةِ» وروها عن الكليني ابن قولويه في كامل الزيارات، والشيخ الطوسي في التهذيب<sup>(١)</sup>.

فإن فهم واستظهر من قوله «وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَزُورُهُ كُلُّ النَّاسِ وَأَبِي لَا يَزُورُهُ إِلَّا الْخَوَاصُ مِنَ الشِّعْعَةِ» عموم التعلييل - كما استظهره بعض الأعلام -<sup>(٢)</sup> فيقال بأفضلية زيارة الرضا على زيارة الحسين عليهما مطلاً. وإن فيقال: باختصاص الأفضلية بذلك الزمان الذي صدر فيه النص، كما احتمل ذلك العلامة المجلسي في شرحه على التهذيب والكافي، فذكر أكثر من احتمال، حيث قال في كتابه ملاد الأخيار:

”لعل هذا كان مختصاً بذلك الزمان، فإن الشيعة كانوا لا يرغبون في زيارته إلا الخواص منهم الذين يعرفون فضل زيارته. فعلى هذا التعلييل في كل زمان يكون إمام من الأئمة أقل زائراً يكون ثواب زيارته أكثر.

أو المعنى: أن المخالفين أيضاً يزورون الحسين عليهما، ولا يزور الرضا<sup>إلا</sup> الخواص وهم الشيعة، فتكون «من» بيانية.

أو المعنى: أن من فرق الشيعة لا يزوره إلا من كان قائلاً بإماماة جميع الأئمة عليهما، فإن من قال بالرضا<sup>إلا</sup> لا يتوقف في من بعده، والمذاهب النادرة التي حدثت بعده زالت بأسرع زمان ولم يبق لها أثر.

(١) فروع الكافي، ج ٤، ص ٥٨٤. كامل الزيارات، ص ٣٠٦. تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٨٤.

(٢) كما هو المعروف عن سيد الطائفـةـ الخوئـيـ عـطـرـ اللـهـ تـرـيـتـهـ في جواب استفتـاءـ.

فالوجه في التعليل: إما قلة الزائرين أيضاً، أو أن حضور المخالفين يصير سبباً لقلة فضل الزيارة، كما يومي إليه التعليل المتقدم في نظره تعالى إلى زوار الحسين عليهما السلام قبل نظره إلى أهل الموقف<sup>(١)</sup>.

وقال في كتابه مرآة العقول، الذي هو شرح للكافي ما نصه: "لا يبعد اختصاص هذا بذلك الزمان؛ فإن الشيعة كانوا لا يرغبون في زيارته عليه السلام إلا الخواص منهم الذين يعرفون فضل زيارته، فعلى هذا كل إمام يكون في زمان من الأزمنة أقل زائراً يكون ثواب زيارته أكثر، أو المعنى أن المخالفين أيضاً يزورون الحسين عليهما السلام ولا يزورون الرضا عليهما السلام إلا الخواص الذين هم الشيعة بأن تكون «من» بيانية، أو لا يزوره إلا خواصهم فإن من قال بإمامته عليهما السلام قال بإمامته سائرهم عليهما السلام<sup>(٢)</sup>.

وأما بالنسبة إلى أهمية زيارة الإمام الرضا عليه السلام، وعنابة الأنفة بزيارته عليهما السلام بالخصوص؛ فإن ذلك يتجلّى من خلال الروايات الكثيرة الواردة عن الأنفة المعصومين عليهما السلام في الحث على زيارته عليهما السلام.

فقد روي في فضل زيارته عن أبيه الكاظم عليهما السلام «من زاره كمن زار الله في عرشه» هذا المعنى والمضمون المعروف اشتهره في زيارة الحسين عليهما السلام.

فقد روى الشيخ الكليني عليه السلام بإسناده عن يحيى بن سليمان المازني، عن أبي الحسن موسى عليهما السلام قال: «من زار قبر ولدي عليٍّ كان له عند الله كسبعين حجّة مبروراً».

(١) ملاد الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، المجلسي، ج ٩، ص ٢١٦.

(٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المجلسي، ج ١٨، ص ٣١٢.

**قَالَ قُلْتُ: سَيِّعِينَ حَجَّةً!**

قَالَ: «نَعَمْ، وَسَبْعِينَ أَلْفَ حَجَّةً».

قَالَ قُلْتُ: سَعْيَنَ أَلْفَ حَجَّةَ!

قَالَ: «رُبَّ حَجَّةَ لَا تُقْبَلُ.

مَنْ زَارَهُ وَبَاتَ عِنْدَهُ لَيْلَةً كَانَ كَمَنْ زَارَ اللَّهُ فِي عَرْشِهِ.

ويُمكِن أن يقال: الظاهر -احتى لا جزماً؛ لعدم علمنا بمقاصد الأحكام- أنَّ فترة الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَام كانت فترة مفصلية، فإنما أنْ يقُن التَّشِيع أو لا يقُن، كما كانت نهضة سيد الشهداء الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام في فترة مفصلية، فيُمكِن أن تكون مرحلة الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَام شبيهة بمرحلة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام من هذه الجهة؛ باعتبار أنَّ هناك أخطاراً واجهت التَّشِيع داخلياً من قبل الواقفة، وأخطاراً من الخارج، وهي قوَّة ودهاء ومكر المؤمن.

فإن هذه الأخطار وغيرها من شأنها أن تكون معلوّم هدم تدمير الدين وتقضي على التشريع.

فيمكن أن تكون أهمية زيارة الإمام الرضا عليه السلام هذه الخصوصيات وغيرها.

(١) فروع الكافي، الكليني، ج ٤، ص ٥٨٥.

فيكون التّركيز على زيارته عليه السلام، لأنّه يربط هذه الحلقة في سلسلة الإمامة، ما قبل إماماً الإمام الرضا عليه السلام بما بعدها، ويقطع الطريق على تيار الوقف الذي قد يضلّ الناس بسبب هذا الانحراف عن خطّ الإمامة، وإذا ما انتشر مكر المؤمن وانطلت على الناس خططه وحيله، فإنه تقطع حركة الإمامة، فالإمام عليه السلام استطاع في هذه الفترة الحرجة أن يبطل تلك المخططات من الداخل والخارج، لتستمرّ حركة الإمامة في الأئمّة الذين جاؤوا من بعده، ولذلك ورد التّأكيد على زيارته.

ويبقى ما ذكرناه هنا تحليلاً؛ إذ إنّا لا نعرف ملوكات الأحكام.

### كتاب الفقه الرّضوي

\* هل أنَّ كتاب الفقه الرّضوي المنسوب للإمام الرضا عليه السلام هو معتبر عند العلماء، بحيث تُبنى على روایاته الأحكام؟

أصل الكتاب مختلف في اعتباره وعدمه، بقطع النظر عن كونه عن الإمام الرضا عليه السلام أو عن غيره، فبعضهم قال باعتباره وعده من مصادر الحديث، وبعضهم قال بعدم اعتباره.

ومن قال باعتباره انقسموا إلى أقسام في درجة الاعتبار.

وأما بالنسبة إلى نسبة إلى الإمام الرضا عليه السلام أو لغيره أو هو مشترك فكذلك انقسموا إلى أقوال.

المشهور عند المحققين من الأعلام عدم ثبوت نسبة إلى الإمام الرضا عليه السلام.

وقد كُتِبَت في تحقيق الحال في هذا الكتاب عدّة رسائل إما منفردة أو مدرجة ضمن كتاب.

ومنْ أَجُود مَنْ اسْتَقْصَى الْأَقْوَالِ وَالْوُجُوهِ فِي شَأنِ هَذَا الْكِتَابِ مَا ذَكَرَهُ  
الْمُحَدِّثُ التَّوْرِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُكَ مُسْتَدِرًا فِي كِتَابِهِ خَاتَمَةِ الْمُسْتَدِرِكِ:

"فقه الرضا اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُكَ مُسْتَدِرًا: وقف عليه الأصحاب في عصر المجلسيين، واختلفوا في صحته، واعتباره، وحجّيته غاية الاختلاف، وصار معركة لآراء الناظرين، وإنكار المتبّحرين النقادين: فبین من صحّه وجعله حجّة، ومن عده من الضعاف المفتقرة إلى جابر ذي قوة، وثالث أخرجه من صنوف الأخبار، وأدرجه في مؤلفات أصحابنا الآخيار.

ولهم في تحقيق الحق كلمات في رسائل منفردة، وغير منفردة، ونحن نلخص ما ذكروه، ونذكر ما عندنا مما يؤيّده أو يشينه، فنقول للأصحاب: فيه أقوال:

الأول: القول بالحجّية والاعتماد.

ذهب إليه العلامة المجلسي، ووالده المعظم فَلَئِنْ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ أَنَّهُ مُسْتَدِرٌ فَقُلْ لَهُ مَا قُلْتُ لِجَاهِ الْمُسْتَدِرِ .

ثم نقل كلام العلامة المجلسي في بحار الأنوار، ولم نقله رعاية للاختصار.

إلى أن قال:

"الثاني: عدم الاعتبار، لعدم كونه منه اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُكَ مُسْتَدِرًا، وجهالة مؤلفه .

ذهب إليه صاحب الوسائل، وتقدم أنه عدّه من الكتب المجهولة، وجماعة من الفقهاء، كالسيّد السندي الجليل صاحب تحفة الأبرار. والمحقق صاحب الفصول... وبعض السادة الأجلاء من العلماء المعاصرين اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُكَ مُسْتَدِرًا وقد كتب في عدم حجّيته ما هو كرسالة مستقلة .

ثم نقل كلام صاحب الفصول.



ومراده من بعض السادة الأجلاء السيد الخونساري.

إلى أن قال:

"الثالث: أنه مندرج تحت الأخبار القوية، التي يحتاج التمسك بها إلى عدم وجود معارض أقوى منها، أو انجبارها بالشهرة ونحوها، حسب اختلاف الأنظار في مراتب القوة الحاصلة له بمحاجة القرائن التي ذكروها، من الشدة الى ما يقرب الاطمئنان بصدوره، والضعف إلى حد يدخله في سلك الضعفاء..." .

وهذا القول نسبه إلى صاحب المفاتيح، ابن صاحب الرياض، المعروف بالسيد السندي، وكذلك نسبه إلى الشيخ الأعظم الأنباري.

إلى أن قال:

"الرابع: أنه بعينه رسالة علي بن بابويه إلى ولده الصدوق، وهو المعروف بشرائمه..." .

ونقل عن صاحب رياض العلماء بأن هذا الكتاب هو بعينه رسالة ابن بابويه إلى ولده الصدوق.

ثم ذكر ملخص هذه الأقوال الأربع وذكر ما يعتقد في هذا الكتاب، حيث قال ما نصّه:

"وملخص هذه الأقوال: إن هذا الكتاب للرسول عليه السلام تأليفا، أو إملاء، أم لا؟ وعلى الثاني هل هو داخل في جملة الأخبار القوية أو الضعف، أو لا؟ وعلى الثاني هل يعرف مؤلفه أم لا؟ ذهب إلى كل واحد منها ذاهب، على حسب اختلافهم في الكثرة والقلة، والذي أعتقد أن إملاء بعض الكتاب منه عليه السلام،

والباقي لأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، وهو داخل في نوادره...".

إلى أن قال:

"الخامس: ما في رياض العلماء، وتذكرة الشعراء، في ترجمة ناصر خسرو، الحكيم الشاعر المعروف، المدعى انتهاء نسبه إلى الرضا عليهما السلام، هكذا: ناصر بن خسرو بن حارث بن علي بن حسن بن محمد بن علي بن موسى الرضا عليهما السلام... إلى أن قال: وكتاب الشامل، الذي صنفه جدي علي بن موسى الرضا عليهما السلام... إلى أن قال: وقرأت نسخاً كثيرة من كتب الفقه، والأخبار المتداولة، انتهى.

قال في الرياض -بعد نقل تمام الرسالة- ثم أقول: مراده من الكتاب الشامل -الذي نسبه نفسه إلى جده الرضا عليهما السلام- على الظاهر في الفقه، ليس إلا كتاب الفقه الرضوي المشهور، كما قيل...".

إلى أن قال:

"السادس: إن هذا الكتاب إما للإمام عليهما السلام تأليفاً أو إملاء، أو موضوع اختلقه بعض الواضعين، ولا ثالث لهما، فإن بطل الثاني تعين الأول.

بيان ذلك: أن فيه ما لا ينبغي صدوره إلا من الحجج عليهما السلام، وما هو كالتصريح في أنه منه عليهما السلام، وهو أمر...".

ثم ذكر أحد عشر مورداً مما فيه دلالة عن كون الكتاب ليس صادراً عن المعصوم.

ثم حاول نفي دعوى الوضع عن الكتاب بقوله:

"ثم أنه بعد ظهور ما نقلناه، أو صراحته في كون الكتاب من تأليفه أو



إملائه عليه عليه السلام، يدور الأمر بين كونه منه فهو المطلوب، أو كونه موضوعاً. واحتمال الوضع فيه بعيد، لما يلوح عليه من حقيقة الصدق والحق، ولأنّ ما اشتمل عليه من الأصول والفروع والأخلاق أكثرها مطابق لمذهب الإمامية، وما صحّ عن الأئمّة عليهما السلام، ولا يخفى أنّه لا داعي للوضع في مثل ذلك، فإنّ غرض الواضعين تزييف الحقّ وترويج الباطل، والغالب وقوعه من الغلاة والمفوضة، والكتاب حال عما يوهم ذلك...”.

ثم ذكر موافقة السيد الخونساري لما استظرفه من كون الكتاب ليس موضوعاً.

إلى أن قال:

”السابع من القرائن: ما ذكره بعضهم من مناسبته لما ورد في مواضع عديدة من كتب الرجال، من كون الرواية ممن له مسائل عن الرضا عليه السلام، أو ممن له كتاب عن الرضا عليه السلام، أو صاحب كتاب الرضا عليه السلام، وقد تقدم كلام الشيخ منتجب الدين...”.

ثم ذكر مجموعة من القرائن من بعض الترجم في رجال النجاشي وفهرست الشيخ، ما فيها دلالة على كون الكتاب للإمام الرضا عليه السلام.

إلى أن قال:

”الثامن: ما ذكره بعضهم من موافقة أكثر فتاويه لفتاوي الصدوقيين، والمفيد، في رسالة الشرائع، والمعنى، والمعنعة، وشدة قربه من الرسالة، فإنّ أكثر عباراته عباراتها، بل ظنّ بعضهم أنّه هو بعينه رسالة الشرائع...”.

ثم ذكر ما يؤيد ذلك عن صاحب الفصول، واعتراضه عليه.

إلى أن قال:

"الّاسع: ما ذكره في الفصول أيضاً قال: وأيضاً مأخذ جملة من فتاوى القدماء، التي لا دليل عليها ظاهراً موجود فيه، فيظهر أنه كان مرجعهم في تلك الفتاوى، ومستندهم فيها، فيسقط عنهم ما أورده المتأخرون عليهم من عدم الدليل عليها.

وردّه بما احتمله سابقاً في عبائر الصّدوقيين، الغير المنافي للظّهور المذكور...".

إلى أن قال:

"هذا، واحتاج أرباب القول الثاني بوجوه من الاستبعاد، وقرائن تدل على عدم كونه من تأليفاته عليه" <sup>(١)</sup>.

وذكر سبعة وجوه احتج بها القائلون بعدم حجّية الكتاب وعدم كونه من تأليف الإمام عليه، وناقشها.

ويظهر منه أن يتبني القول الأوّل القائل بحجّية الكتاب.

فالنتيجة أنّ المحدث النوري عليه السلام ذكر تسعة أقوال وتبني القول الأوّل منها، كما يظهر من كلامه.

وهناك من قال - مضافاً إلى الأقوال التسعة - بقول عاشر، وهو أنّ كتاب فقه الرّضا، هو كتاب التّكليف للشّلمغاني، وهو محمد بن علي الشّلمغاني،

(١) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، المحدث النوري، ج ١٩، ص ٢٣٠ - ٢٦٦.

المعروف بابن أبي العزاقر. كما نسب ذلك إلى السيد حسن الصدر في رسالة فصل  
القضاء<sup>(١)</sup>.

### منهج المعصومين عليهما السلام في مواجهة الظالمين

\* ما هو أسلوب ومنهج أهل البيت عليهما السلام في مواجهة الظالمين، وكيف  
جاههم الإمام الرضا عليه السلام؟

عندنا أصalan ومبدان:

الأول: لا يجوز الركون إلى الظالم.

والثاني: مبدأ التقىّة.

فهذا المبدان ينبغي أن نأخذهما بعين الاعتبار في معرفة تعامل الأئمة مع  
الحكام الظالمين، فجانب التقىّة مختلف بحسب الظروف، فتارة الإمام لأجل ظرف  
التقىّة يسكت، وتارة يرتفع جانب التقىّة فيتكلّم ويواجهه، فالنظر إلى هذين  
العنصرين الأساسيين، والإمام لا يمكن أن يركن إلى الظالم، فإذا وجدنا مفردة أن  
الإمام - بحسب الظاهر - ركن لهم، فهو ليس ركوناً للظالم، وإنما لظرف التقىّة.

ومن جهة أساسية في تصرفات الأئمة عليهما السلام لدينا أصل لا يختلف فيه اثنان،  
وهو أن الإمام المعصوم المفترض الطاعة لا يمكن أن يصدر منه الخطأ.

إذا رأينا بعض التصرفات من الإمام ولم نتمكن أن نعرف كنهها وسببها، فلا  
يجوز لنا أن نسب الخطأ للإمام، وإنما نقول نحن لم نعرف كنه ذلك التصرف من

(١) رسالة فصل القضاء، ص ٤٠٧.

الإمام، ووظيفتنا حينئذ هي التسليم، وليس لنا أن نحاكم الإمام عليه السلام على بعض التصرّفات التي لم نتمكن - لقصور عقولنا - من فهم حقيقتها، التي قد تبدو لنا أنها تصرّفات غير صحيحة.

وشواهد ذلك متعددة في حياة الأئمة عليهم السلام.

منها: ما تقدّم ذكره من قبول الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد من قبل المؤمن، الذي أجا الإمام عليه السلام أن يبيّن لمن سأله سبب ذلك.

ومنها: ما ذكر في القضية المعروفة بصلاح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية عليه، حيث حصلت بعض الاعتراضات حتّى من المقربين من الإمام، وما ذلك إلا لعدم معرفة الناس به معرفة صحيحة.

فلاحظ ما رواه الشّيخ الصّدوق عليه في كتابه العلل، بإسناده عن أبي سعيد عقيصا، قال: "قلت للحسين بن علي بن أبي طالب: يا ابن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته؛ وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ!

فقال: «يا أبي سعيد، ألسْتُ حُجَّةَ الله تَعَالَى ذِكْرُهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَإِمَاماً عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَبِي عليه؟»؟  
قلت: بلى.

قال: «أَلَسْتُ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَاخِي: الحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ إِمَامَانِ قَاماً أَوْ قَعَداً؟»؟  
قلت: بلى.

قال: «فَإِنَّا إِذْنُ إِمَامٍ لَوْ قُمْتُ وَأَنَا إِمَامٌ إِذْ لَوْ قَعَدْتُ»<sup>(١)</sup>.

يا أبا سعيد، علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرفا من الحديبية، أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل.

يا أبا سعيد، إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره، لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجده الحكم فيه أتيته ملتبساً.

ألا ترى الخضر عليه لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه فعله؛ لاشتياه وجده الحكم عليه حتى أخبره فرضي.

هكذا أنا سخطتم علي بجهلكم بوجده الحكم فيه، ولو لا ما أتيت؛ لما تركت من شيعتنا على وجده الأرض أحد إلا قيل<sup>(٢)</sup>.

وغيره من النصوص المترفرقة يجدها المتبع في حياة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

\* هل المجا بهة هي الأصل أو التقى ية هي الأصل؟

لا يوجد أصل ثابت في كل الأحوال، فلا التقى دائم ولا المجا بهة دائم، واتضح من جواب السؤال السابق وضوح ذلك.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن بعضهم يخلط في مسألة التقى، ويقول: بأن كل شيء عندنا واضح عند العامة والخالفين، فلا مكان للتقى فيه، فموضوع التقى ارتفع.

(١) هكذا في علل الشرائع المطبوع، ولكن في البحار ج ٤٤، ص ٢ عن العلل: «وأنا إمام إذا قعدت».

(٢) علل الشرائع، ج ١، ص ٢١٠.

وهذا اشتباه واضح، إن لم يكن عن عناصر، ومن يقول ذلك لم يتضح لديه موضوع التقىة المستفاد من الآيات والروايات؛ فإنَّ موضوع التقىة: الخطر على نفس شخص المؤمن أو على عرضه أو ماله، أو على نفس مؤمن آخر أو عرضه أو ماله، هذا هو موضوع التقىة، فمتى ما وُجدَ هذا الخطر تحقق موضوع التقىة، وتمام تفصيل ذلك موكول إلى محله في البحوث الفقهية.

فقد يخالف الإمام مبدأ التقىة، كما إذا حصل تزاحم، كما إذا دار الأمر بين إما أن يحفظ الدين وبين أن يُقتل مؤمناً، ولا شك أنَّ حفظ الدين أهم، وتشخيص الأهم على المهم، أو المهم على غير المهم إنما هو للمعصوم بالمرتبة الأولى، ثم للفقيه الجامع للشريائط.

فمن خلال هذين العنصرين (عدم الركون إلى الظلم مع مبدأ التقىة) تدور الحركة في تصرف الإمام، وهو العالم وهو من يشخص، وليس لنا حق أن نحاكم الإمام أو ننتقد الإمام في أي تصرف يقوم به؛ باعتبار أنه إمام معصوم ولا يتصور في حقه الخطأ والاشتباه.

نعم هناك من هم ضعاف العقيدة في ذلك الزمان، وكذلك في هذا الزمان، حيث يُطلقون لأنفسهم العنان بانتقاد بعض تصرفات الإمام التي لا تكون واضحة لهم.

ولذا نرى بعض الأقلام تضع تصرفات وأفعال الإمام تحت دائرة النقد واللاملة، وأنه إذا صدر من الإمام ما يخالف فكره المعوج فله حق الاعتراض والانتقاد والملحوظة!

وهذا اشتباه كبير كان موجوداً من زمن الأئمة عليهما السلام بل كان من زمن النبي عليهما السلام، وإلى يومنا هذا.

ألم يعترض بعض الصحابة على النبي عليهما السلام على بعض أفعاله؟ وكذلك زمن أمير المؤمنين عليهما السلام، وكذلك زمن الحسن عليهما السلام بل هناك من المقربين للإمام الحسن عليهما السلام قد اعترض عليه، والحال أن الإمام الحسن عليهما السلام مفترض الطاعة فليس لهم أن يعترضوا عليه في مسألة الصلح، ولا أن يعترضوا على الإمام الرضا عليهما السلام في مسألة ولادة العهد، كما تقدّم ذكر ذلك.

وهذا كلّه بسبب ضعف معرفتهم بمقام الإمامة.

فكـل إمام وظرفـه، فـما يـشـخـصـه ويـتـصـرـفـ عـلـى طـبـقـه هو الصـحـيـحـ، فـلو كـانـ الإمامـ الحـسـنـ العـسـكـرـيـ عليهـ السـلـيـلـ مـكـانـ الإـمـامـ الحـسـنـ عليهـ السـلـيـلـ لـقاـمـ بـنـفـسـ الدـورـ الـذـي قـامـ بـهـ الإـمـامـ الحـسـنـ عليهـ السـلـيـلـ، وـلـوـ كـانـ الإـمـامـ الحـسـنـ عليهـ السـلـيـلـ مـكـانـ الإـمـامـ الرـضاـ عليهـ السـلـيـلـ لـقاـمـ بـهـ

قامـ بـهـ الإـمـامـ الرـضاـ عليهـ السـلـيـلـ، وـهـذـهـ هـيـ عـقـيـدـتـنـاـ فـيـ الـأـئـمـةـ عليهـ السـلـيـلـ.

والحمد لله رب العالمين وصلي الله على سيدنا محمد وآلته الطيبين الطاهرين.

\* نشكركم سماحة الشيخ على قبول هذه الدعوة وجزاكم الله خير الجزاء  
ونسأل الله أن يجعله في ميزان حسناتكم.

بارك الله بكم، تابعت بداية تأسيس مجلتكم المباركة، وأيتها لتنشيط الأقلام في  
الحالية البحرينية، واستخراج مكنون الأفكار التي تبقى حبيسة الذهن لو لا ذلك،  
فبالكتابة تخرج من الذهن، وهذه الفكرة جدًا ممتازة، ومن طرق نشر العلم ما

تفعلونه، فكُلُّ لديه أفكار حاصلة من مطالعات وتدريسيات وكتابات، فإذا لم تخرج من القوّة إلى الفعل تبقى في الذهن، بل قد تذهب وتضمحلّ شيئاً فشيئاً مع مرور الزّمن.

أشدُّ على أيدي القائمين عليها، وأقول لهم: استخرجوa الطّاقات الفكرية الكامنة في الجالية، فإنّها لا تنقص عن غيرها، ولا تكون فقط مستهلكين لأفكار الآخرين، كما هو حال بعض الشعوب فقط مستهلكة ولا تفكّر، فالم المنطقة فيها طاقات فكريّة كبيرة، وتاريخ المنطقة يشهد بذلك في مختلف المجالات وعلى مختلف العصور ومرور الدّهور، فلا تكون عالة فكريّة على الآخرين فإنّ ذلك غير صحيح، ومن هذه المشاريع تبرز هذه الطّاقات ونسجّل رقمًا في الساحة الفكرية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ

# مناظرات الإمام الرضا عَلَيْهِ الْسَّلَامُ وحواراته

السيد حسن السيد أحمد الغريفي

## الملاخص:

وأشار الكاتب في مقالته إلى بعض آداب المناظرة، ثم استعرض بعضًا من المناظرات التي جرت بين الإمام الرضا عَلَيْهِ الْسَّلَامُ وعلماء ذلك الزمان من مختلف الأديان. ثم وقف على أهم المناظرات العلمية التي جرت بين الإمام عَلَيْهِ الْسَّلَامُ وبين خالفيه في ذلك الزمان، وختم مقالته بذكر السبب في تسمية الإمام الرضا عَلَيْهِ الْسَّلَامُ بـ(الرضا).

كما هي حياة أهل البيت عليهما السلام زاخرة في جوانبها العملية والأخلاقية فهم أصول الكرم وقادة الأمم وساسة العباد وقدوات على طريق الله عزّل، كذلك علينا أن نتلمّس حياتهم العلمية والفكريّة؛ فهي تشكّل منبعاً أصيلاً لمعرفة الإسلام والدّعوة إليه، و-أيضاً- في فهم العقيدة الحقة وإزالة الشبهات الفكرية والعقدية التي تواجه عقائد الناس وأفكارهم ، ومن هذه السيرة العلمية لهم عليهما السلام، والتي كان لها الأثر البالغ في ثبيت العقيدة وتشييد أركانها إضافة لدفع الشبهات والتشكيكات عنها، هو اعتمادهم أسلوب (المجادلة الحسنة) مع الآخر أيّاً كان الآخر من أيّ ديانة أو ملة أو مذهب، سواء كان ملحداً أو معانداً أو طالباً للحقيقة... وهو تأصيل لمبدأ قرآنی مستمدّ من قوله تعالى ﴿إِذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥) فالمجادلة والمناظرة والاحتجاج تمثل إحدى أهمّ الأدوات الرسالية في الدّعوة إلى الله وكشف الحقائق بالأدلة والبراهين الساطعة، و-أيضاً- في دحض الشبهات والافتراضات التي تتسلّل عادةً لبساطة الناس، بل وحتى المعتقد منهم.

في هذا البحث نحاول أن نسلط الضوء على هذا الجانب الذي ربما ظلّ خافياً عن ساحتنا الفكرية والعلمية، وهو منهج المناظرات والمحاورات العلمية وعلى وجه الخصوص عند الإمام الرضا عليهما السلام، هذا المنهج العلمي يقوم على أساس تجلية الحقيقة وإثبات الحقائق، ودحض الأباطيل والشبهات لدى الخصم والمقابل على مستوى الفكر والعقيدة، بأسلوب حواريّ جدلّيّ وعقلانيّ هادئ.

وللأسف، إنّ مؤرّخي التّاريخ لم ينقلوا الكثير من تراث أهل البيت ﷺ في هذا الجانب، وإن كان الذي بين أيدينا كنُزْ ثرّ من معارفهم وعلومهم سواء في مسائل التّوحيد أو النّبوة والإمامية وغيرها ... ويوجد مصنّف جمع مناظرات للنبي ﷺ والأئمّة الأطهار وهو كتاب (الاحتجاج) للشيخ الطّبرسي<sup>(١)</sup>.

وبما أنّا أصبحنا في عصر يسود فيه الانفتاح بين الأفكار والثقافات، وتتدفق فيه المعلومات من كلّ حدب وصوب، إذ هو شبيه بعصر الإمام الرّضا علّه السلام، حيث نجد حالة الإرباك الفكريّ والعقديّ منتشرة عند بعض من مجتمعاتنا؛ نتيجة التّأثير بالثقافات الأخرى، إضافة لوسائل التّواصل الاجتماعيّ المفتوحة والإعلام الموجّه، كذلك تصديّي بعض من ليس أهلاً للمحاورة والمناظرة في الإعلام وغيره.

لذا أصبح لزاماً إيجاد أطر منهجيّة يقوم على أساسها أيّ حوار سليم ومنتج من وحي مدرسة أهل البيت علّه السلام.

ولا بدّ للمتصدّي للحوار والنقاش العلميّ أن يكون متّمكّناً خبيراً عارفاً بأساليب الاحتجاج والمناظرة من جهةٍ، ويكون مؤهلاً علمياً بموضوع الحوار ومضمونه من جهةٍ أخرى.

وهنا لا بأس أن نشير إلى مقدمة حول أهمّ (آداب المناظرة) والتي لا بدّ أن يتوفّر عليها المناظر:

أولاً: لا بدّ أن يقصد وجه الله تعالى والسعى لإيصال الحقيقة للغير لا أن يقصد المراء والجادلة للمجادلة.

(١) كتاب الاحتجاج للشيخ الطّبرسي.

ثانياً: أن يتسلّح بالعلم والمعرفة والمنطق العلمي الموضوعي لا أن يعتمد على التهريج والإثارات الجانبية.

ثالثاً: أن يهارس الأسلوب الهدىء بعبارات مهذبة ورصينة قائمة على الأدلة والبراهين المعتمدة.

### ومن أهم الأسس المنهجية للمناظرة:

- لا بد للمناظر - مهما أمكن - أن يسند كلامه إلى كتاب الله المتفق عليه عند الشيعة والسنة مستفيداً من كلام المفسّرين المعتمدين عند المناظر المخالف له في الرأي.

- ويجب أيضاً أن يستفيد من الكتب المعتبرة عند الطرف المقابل ولا يتبع نفسه بالنّقل عن الكتب التي لا قيمة لها عنده.

- كما يجب على المناظر أن يستدلّ بالروايات الواردة في السنة المتافق عليها بين الطرفين، أو يحتاج من السنة بما هو حجّة عند المخالف - وإن لم يكن حجّة عنده - كالاستدلال بالأحاديث التي صرّح علماء الجرح والتعديل عندهم بوثاقة رواتها أو حكم علمائهم وفقها لهم بصحتها لكي يلتزم بتلك الروايات، وقد أشار إلى هذا الأساس ابن حزم في قوله: "لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا، فهم لا يصدقونها، ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدقها، وإنما يجب أن يحتاج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجّة به"<sup>(١)</sup>، ولا يخفى أن المخالف الذي لا يقبل برواية قد فرض صحتها على ضوء كلمات علماء

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج ٤، ص ٩٤.

الجرح والتعديل من أئمّة مذاهبه، فلا مجال للتّكلم مع هذا الشخص أبداً، فلا بدّ من تركه؛ لأنّ الجدال معه عقيم ولغو، ونحن منهيّون عن اللغو فيترك..

فإذاً لا معنى لاستدلال المناظر الشّيعيّ على العاميّ بكتاب الكافي والتّهذيب وأمثالها، كما أنه لا معنى لاحتجاج العاميّ على الشّيعيّ ب الصحيح البخاريّ ومسلم وأشباههما.

- ويجب ألا يقاطع أحدهما كلام خصمه في المناظرات الكلامية المباشرة؛ لأنّ ذلك يوجب عدم وصول كلّ من الطرفين إلى ما قصد من كلامه، ويشوّش الفكر وينحرج البحث عن المِحْور الصّحيح، فلا يكون ناجحاً.<sup>(١)</sup>

ويمكن الاطّلاع بشكل أوسع على الجوانب الفنية والاستدلالية في صناعة الجدل من كتاب المنطق للشيخ المظفر للله.

### اطلالة على بعض مناظرات الإمام الرضا عليه السلام وحواراته

مع مجيء الخليفة العباسي (المأمون) عمل من أجل تثبيت حكمه على سياسة تختلف نوعاً ما عن أسلافه من الخلفاء العباسيين القائم حكمهم على أساس من القهر والبطش، فقد مارس سياسة تقوم على المكر والخداع والاحتواء ، وبعد أن عرض على الإمام الرضا عليه السلام ولاده العهد من جهة، فتح المناظرات والاحتجاجات أمام الملل والنحل والأديان والمذاهب وغيرها من جهة أخرى، لمواجهة فكرية مع الإمام الرضا عليه السلام، وغرضه أن ينال من مقام الإمام العلمي الشامخ ويهز ثقة الناس بالإمام عليه السلام بعد أن حقق مآربه السياسيّة، وفي نفس

(١) قصة الحوار الهدى، السيد محمد حسين القزويني، ص ١٤.

الوقت يريد خلق اهتزاز فكريّ تجاه كيان التشيع الذي أخذ في التّوسيع والامتداد الفكريّ والشعبيّ، وأيضاً صرف الإمام والنّاس عن الوضع السياسيّ... ولكن خططات المؤمن السياسيّ كلّها باعت بالفشل، بل تفاجأ ورأى أنّ التّائج جاءت عكسيّة وعلى خلاف ما كان يأمل فكانت في صالح الإمام عليه السلام.

وسنحاول استعراض بعض مناظرات الإمام الرضا عليه علّنا نقف على شيء من علمه الغزير ونوره الساطع في كيفية عرضه للبراهين والحقائق الساطعة من القرآن والسنة الطّاهرة.

### ١- دليل: صانع العالم واحد

روى الصّدوق عن الفضل بن شاذان: سأله رجلٌ من الشّوّيّة أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام وأنا حاضر فقال له: إني أقول: إنّ صانع العالم اثنان فما الدليل على أنه واحد؟ فقال عليه السلام: «قولك: إنه اثنان دليل على أنه واحد لأنك لم تدع الثاني إلاّ بعد إثباتك الواحد، فالواحد بجمع عليه وأكثر من واحد مختلف فيه»<sup>(١)</sup>.

### ٢- بيان فضل العترة من خلال القرآن الكريم

لما حضر الإمام علي بن موسى الرضا عليه مجلس المؤمن وقد اجتمع فيه جماعة علماء أهل العراق وخراسان أخذ المؤمن يسأل الإمام عليه السلام بأمثلة منها:

هل فضل الله العترة على سائر النّاس؟

فقال الرضا عليه السلام: «إنَّ الله العزيز الجبار فضل العترة على سائر النّاس في محكم كتابه».

(١) التوحيد، الصدوق، ص ٢٥٠.

قال المؤمنون: "أين ذلك من كتاب الله؟"

فقال الرّضا عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣٣-٣٤)، وقال الله في موضع آخر: ﴿أَمْ يَخْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٥٤)، ثم رد المخاطبة في أثر هذا إلى سائر المؤمنين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولُو الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)، يعني الذين أورثهم الكتاب والحكمة وحسدوا عليهم بقوله: ﴿أَمْ يَخْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٥٤)، يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين والملك هنا الطاعة لهم.

قال العلماء: "هل فسر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب؟"

فقال الرّضا عليه السلام: «فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثنى عشر موضعًا. فأول ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) - ورهط المخلصين - هكذا في قراءة أبي بن كعب وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود فلما أمر عثمان زيد بن ثابت أن يجمع القرآن خنس هذه الآية وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله بذلك الأل فهذه واحدة».

والآية الثانية: في الاصطفاء قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ إِيمَانَهُبَ عَنْكُمُ الرِّجَسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظْهِرُكُمْ تَظْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣) وهذا الفضل الذي لا يمحوه معاند لأنّه فضل بين.

والآية الثالثة: حين ميَّز الله الطَّاهرين من خلقه أمر نبيه في آية الابتهاج فقال: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدَ - تَعَالَوْنَا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَتَّهُلُ فَتَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِيَيْنَ﴾ (آل عمران: ٦١) فأبرز النبي عليه السلام علياً والحسن والحسين وفاطمة عليها السلام فقرن أنفسهم بنفسه. فهل تدرؤن ما معنى قوله: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾؟

قالت العلماء: عنى به نفسه. قال أبو الحسن عليه السلام: «غلطتم، إنما عنى به علياً عليه السلام. وما يدل على ذلك قول النبي عليه السلام حين قال: ليتهن بنو وليعة أو لأبعشن إليهم رجلاً كنفسي يعني علياً عليه السلام. وهذه خصوصية لا يتقدّمها أحد. وفضل لا يختلف فيه بشر. وشرف لا يسبقه إليه خلق؛ إذ جعل نفس علي عليه السلام كنفسه وهذه الثالثة...»<sup>(١)</sup>.

وهكذا أخذ الإمام عليه السلام يسرد الأدلة تلو الأخرى ويمكن الرجوع إليها مفصلاً في المصدر.

### ٣- فضل الإمامة وبيان مقام الإمام

عن القاسم بن مسلم، عن أخيه عبد العزيز بن مسلم قال:

”كنا في أيام علي بن موسى الرضا عليه السلام بـ(مَرْوَ)، فاجتمعنا في مسجد جامعها في يوم جمعة في بدء مقدمنا، فأدار الناس أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي ومولاي الرضا عليه السلام فأعلمه ما خاض الناس فيه، فتبسم ثم قال:

«يا عبد العزيز! جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، إن الله تعالى لم يقبض نبيه عليه السلام حتى

(١) تحف العقول، ابن شعبة الحرااني، ٣١٣

أكمل له الدّين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلّ شيء، بين فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه كاملاً فقال ﷺ: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (آلأنعام: ٣٨)، وأنزل في حجّة الوداع وهو آخر عمره: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

فأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض ﷺ حتى بين لأمته معلم دينهم وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد الحق، وأقام لهم علياً عليه السلام علمًا وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بيته، فمن زعم أنّ الله ﷺ لم يُكمل دينه فقد ردّ كتاب الله ﷺ، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر.

هل تعرفون قدر الإمامة ومحلىها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم؟!  
 إنَّ الْإِمَامَةَ أَجَلٌ قَدْرًا وَأَعْظَمُ شَأْنًا وَأَعْلَى مَكَانًا وَأَمْنَعْ جَانِبًا وَأَبْعَدْ غُورًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعْقُولَهُمْ، أَوْ يَنَالُوهَا بِآرَائِهِمْ، فَيَقِيمُوا إِمَاماً بِاخْتِيَارِهِمْ.  
 إِنَّ الْإِمَامَةَ خَصَّ اللَّهُ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ بَعْدَ النَّبُوَّةِ وَالْخُلُّةِ، مَرْتَبَةً ثَالِثَةً وَفَضْيَلَةً شَرِّفَهُ اللَّهُ بِهَا، وَأَشَادَ بِهَا ذَكْرُهُ فَقَالَ ﷺ: إِنِّي جَاعَلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً، فَقَالَ الْخَلِيلُ - سَرُورًا بِهَا -: وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ اللَّهُ ﷺ: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ، فَأَبْطَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِمَامَةَ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَصَارَتْ فِي الصَّفَوَةِ، ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللَّهُ ﷺ بِأَنْ جَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ أَهْلَ الصَّفَوَةِ وَالطَّهَارَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلَّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾.

فلم تزل في ذرّيّته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً، حتّى ورثها النبي ﷺ، فقال الله ﷺ: ﴿إِنَّ أُولَى التَّأْسِ يَإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَيُ

**المؤمنين**، فكانت له خاصةً فقلّدها النبي عليه السلام بأمر الله عزّ وجلّ على رسم ما فرضها الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثَةِ﴾، فهي في ولد على عليه السلام خاصةً إلى يوم القيمة، إذ لا نبيّ بعد محمد عليهما السلام، فمن أين يختار هؤلاء الجهّال؟!

**إنَّ الْإِمَامَةَ:** هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء.

**إنَّ الْإِمَامَةَ:** خلافة الله عزّ وجلّ، وخلافة الرسول عليهما السلام، ومقام أمير المؤمنين، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام.

**إنَّ الْإِمَامَةَ:** زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين.

**إنَّ الْإِمَامَةَ:** أُسّ الإسلام النامي، وفرعه الساميّ.

**بِالْإِمَامِ:** تمام الصلاة والزكاة والصيام، والحجّ والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع التّغور والأطراف.

**الإِمامِ:** يُحلّ حلال الله ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والوعظة الحسنة والحجّة البالغة.

**الإِمامِ:** كالشّمس الطالعة للعالم وهي في الأفق، بحيث لا تناها الأيدي والأبصار.

**الإِمامِ:** البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياب الدّجى والبيداء القفار ولحجّ البحار.

**الإِمامِ:** الماء العذب على الظماء، والدّائل على المهدى، والمنجي من الرّدى.

**الإِمامِ:** النار على اليفاع الحارّ لمن اصطلّ، والدليل في المھالك، من فارقه فھالك.

**الإِمامِ:** السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشّمس المضيء، والأرض البسيطة،

والعين الغزيرة، والغدير والروضة...»<sup>(١)</sup> وأخذ يبين مقام الإمام الشامخ ما يعجز اللسان وصفه...

#### ٤- من أدلة التوحيد

عن صفوان بن يحيى قال: سأله أبو قرعة المحدث صاحب شبرمة أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاستأذنه فأذن له، فدخل فسأله عن أشياء من الحلال والحرام، والفرائض والأحكام، حتى يسأله في مسائل التوحيد..

قال أبو قرعة: أين الله؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: «الاين مكان، وهذه مسألة شاهد عن غائب، فالله تعالى ليس بغايب، ولا يقدمه قادم، وهو بكل مكان موجود، مدبر صانع حافظ مسك السموات والأرض».

فقال أبو قرعة: أليس هو فوق السماء دون ما سواها؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: «هو الله في السموات وفي الأرض، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، وهو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء وهو معكم أينما كتم، وهو الذي استوى إلى السماء وهي دخان، وهو الذي استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سموات، وهو الذي استوى على العرش، قد كان ولا خلق وهو كما كان إذ لا خلق، لم ينتقل مع المتنقلين».

فقال أبو قرعة: فما بالكم إذ دعوتم رفعتكم إلى السماء؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: «إن الله استبعد خلقه بضرورب من العبادة، والله مفازع

(١) إكمال الدين، الصدوق، ج ٢، ص ٦٧٥، باب ٥٨ برقم ٣١.

يفرعون إليه، ومستعبد فاستعبد عباده بالقول والعلم والعمل والتوجّه ونحو ذلك. استعبدهم بتوجّه الصّلاة إلى الكعبة، ووجه إليها الحجّ والعمرة، واستعبد خلقه عند الدّعاء والطلّب والتّضرّع بيسط الأيدي ورفعها إلى السّماء؛ حال الاستكانة وعلامة العبوديّة والتّذلل له».

قال أبو قرّة: فمن أقرب إلى الله: الملائكة، أو أهل الأرض؟

قال أبو الحسن عليه السلام: «إن كنت تقول بالشّبر والذراع، فإنّ الأشياء كلّها باب واحد هي فعله لا يُشغل ببعضها عن بعض، يدبر أعلى الخلق من حيث يدبر أسفله، ويدبر أوله من حيث يدبر آخره، من غير عناء ولا كلفة ولا مؤونة ولا مشاورة ولا نصب. وإن كنت تقول من أقرب إليه في الوسيلة، فأطوعهم له. وأنتم ترون أنّ أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد، ورويتم أنّ أربعة أملاك التقوّا: أحدهم من أعلى الخلق، وأحدهم من أسفل الخلق، وأحدهم من شرق الخلق، وأحدهم من غرب الخلق، فسأل بعضهم بعضاً فكلّهم» قال: «من عند الله أرسلني بكذا وكذا، ففي هذا دليل على أنّ ذلك في المنزلة دون التشبيه والتمثيل»<sup>(١)</sup>.

## ٥- بين الجبر والتّفويض

عن يزيد بن عمير بن معاوية الشامي قال: دخلت على عليّ بن موسى الرضا عليه السلام (مرو) فقلت له: يا ابن رسول الله! روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: «لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين، ما معناه؟

(١) رواه الكليني في الكافي، ج ١، ص ١٣٠، باب في إبطال الرؤية، الرقم ٢: عن أحمد ابن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى..؛ والشيخ الصدوق عليهما السلام في التوحيد، ص ١١٠، الباب ٨، رقم ٩ مثله.

فقال: من زعم أنَّ الله يفعل أفعالنا ثُمَّ يعذبنا عليها فقد قال (بالجبر)،  
ومن زعم أنَّ الله يُكْرِه فَوْض أمر الخلق والرِّزق إلى حججه عليه السلام فقد قال  
(بالتفويض) والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك.

فقلت: يا ابن رسول الله! فما أمر بين الأمرين؟

فقال: وجود السُّبْيل إلى إتيان ما أُمْرُوا به، وترك ما نُهُوا عنه.

قلت له: وهل لله مشيّة وإرادة في ذلك؟

فقال: أمّا الطّاعات، فإنّ إرادة الله ومشيّته فيها: الْأَمْرُ بها والرِّضا لها  
والعاونة عليها، وإرادته ومشيّته في المعاصي: النّهي عنها والسّخط لها  
والخذلان عليها.

قلت: فلله يُكْرِه فيها القضاء؟

قال: نعم، ما من فعل يفعله العباد من خيرٍ أو شرًّا إلَّا والله فيه قضاء.

قلت: ما معنى هذا القضاء؟

قال: الحكم عليهم بما يستحقونه من الثواب والعقاب في الدنيا  
والآخرة»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الصّدوق عليه السلام في عيون أخبار الرّضا عليه السلام، ج ١، ص ١٢٤، الباب ١١، الرقم ١٧؛ عن تقييم بن عبد الله بن تقييم القرشي، عن أبيه، عن أحمد بن علي الانصاري، عن بريدة بن عميرة ابن معاوية الشامي... ونقله المجلسي في بحار الأنوار، ج ٥، ص ١١.

## ٦- ضد تحريف الحديث

عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قلت للرضا عليه: يا ابن رسول الله! ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله عليه: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزُلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا»؟

فقال عليه: «لعن الله المحرّفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله عليه: كذلك، إنما قال عليه: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُنْزِلُ مَلَكًا إِلَى السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا) في الليل في الثالث الأخير وليلة الجمعة في أول الليل، فيأمره فینادي: هل من سائلٍ فأعطيه؟ هل من تائبٍ فأتوب عليه؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟ يا طالب الخير أقبل، يا طالب الشر أقصر! فلا يزال ينادي بهذا حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملکوت السماء) حدثني بذلك أبي، عن جدي، عن آبائه، عن رسول الله عليه»<sup>(١)</sup>.

## لم سمى الإمام بـ(الرضا):

روى الشیخ الصدوق عليه بسنده عن أبي نصر البزنطي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهما السلام (الإمام الجواد عليه): إن قوماً من مخالفيكم يزعمون أن أباك إنما سماه المؤمن (الرضا)، لما رضي به لولاته عهده! فقال عليه: «كذبوا والله وفجروا! بل الله ينادي سماء الرضا؛ لأنّه كان رضي الله عنه في سمائه ورضي لرسوله والأئمة بعده صلوات الله عليهم في أرضه».

(١) رواه الصدوق في التوحيد، ص ٢٨، الباب ٢٧٦، الرقم ٧: عن علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق وعلي بن أحمد بن موسى، عن محمد بن هارون الصوفي، عن عبيد الله بن موسى الرؤياني، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن إبراهيم بن أبي محمود.

فقلت: ألم يكن كُلُّ واحدٍ من آبائك الماضين عليهم السلام رضيَ الله عنه ولرسوله والأئمَّة مِن بعده عليهم السلام؟! فقال: «بل»، فقلت: فَلِمَ سُمِّيَ أبوك عليه السلام مِن بينهم (الرضا)؟ قال: «لأنَّه رَضِيَ به المخالفون مِن أعدائه، كما رضيَ به الموافقون مِن أوليائه، ولم يكن ذلك لأحدٍ مِن آبائه عليهم السلام، فلذلك سُمِّيَ مِن بينهم الرضا عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق، ج ١، ص ١٣، ح ١.

مَوْلَانَا  
بِنْ عَلِيٍّ  
عَلِيٌّ  
عَلِيٌّ

# حدیث السلسلة الذهبیّة

دراسة في السنن والدلل

الشيخ محمد علي الخاتم

## الملاخِص:

تعرّض الكاتب في هذه الدراسة إلى الحديث المعروف بعنوان (حدیث السلسلة الذهبیّة) المرويّ عن الإمام الرضا علیه السلام في دراسة شاملة لكل جنبات الحديث مستعرضاً هويّة هذا العنوان من حيث استعماله عند الفريقيين وسبب التسمية، كما أكّد في تسع تأمّلات على صحة الحديث وقطعيته السنديّة والمضمونية مستعرضاً نكataً في شرح الحديث وبعض الدلالات العقدية والسياسية.

من الأحاديث المهمة ذات الأثر الفعال في علمنا الإسلامي هو الحديث المروي متواتراً عن الإمام الرضا عليه السلام الذي ألقاه في نيسابور عند مروره منها، والذي عرف فيما بعد بحديث سلسلة الذهب أو السلسلة الذهبية.

وَمَا تَمَيَّزَ بِهِ هَذَا الْحَدِيثُ إِلَّا قَوَاهُ عَلَى مُجَامِعٍ غَفِيرَةٍ مِّنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، بَلْ مِنْ كَبَارِهِمْ وَبِطْلِبِهِمْ لَا يَعْرِفُونَ مِنْ مَقَامِ هَذَا الْإِمَامِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْ رَسُولِهِ وَمَقْدَارِ مَا يَحْمِلُ مِنْ عِلْمٍ جَمِيعٌ، وَالْأَجْمَلُ مِنْ هَذَا كُلَّهُ أَنَّ هُؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ التَّشِيعِ وَمَعَ ذَلِكَ تَدَافَعُوا عِنْ دَائِبَتِهِ بِغَيْرِهِ اسْتِمَاعُ حَدِيثٍ مِّنْهُ عَنْ رَسُولِ

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْ هَنَا يَأْتِي تَسْأُلُ حَاصِلِهِ مَا دَامَ الْحَدِيثُ قَدْ أُلْقِيَ فِي حَدِيثٍ نَادِرٍ -كَهُذَا الْحَدِيثِ الَّذِي لَمْ يَحْصُلْ لَهُ شَبِيهٌ إِلَّا حَدِيثُ يَوْمِ الْغَدَيرِ- وَمَا أُلْقِيَ فِي الْاثْنَيْنِ مُضِمِّنُونَ مُتَقَارِبُونَ فِي الْجَمْلَةِ... كَيْفَ تَعْاملُ الْمُسْلِمُونَ مَعَ هَذَا الْحَدِيثِ؟ وَمَا هُوَ الْلَازِمُ فِي تَعْامِلِنَا مَعَهُ؟.. وَسْتَجِدُ -أَيْهَا الْقَارئُ- إِجَابَاتٍ وَافِيَّةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْمُبَاحِثِ الْقَادِمَةِ مِنْ هَذَا الْبَحْثِ فَقَدْ رَتَّبَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ مُبَاحِثٍ وَخَاتَمَهُ.

فِي الْمُبَاحِثِ الْأُولَى تَحْدَثَتْ فِيهِ عَنْ عَنْوَانِ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْفَرِيقَيْنِ، وَفِي الْمُبَاحِثِ الثَّانِيَّ كَانَ حَوْلَ مَا يَمْكُنُ أَنْ يَكُونَ سَبِيلًا لِلتَّسْمِيَّةِ، وَالْمُبَاحِثُ الثَّالِثُ نَقْلُ الْحَدِيثِ بِأَرْبَعَةِ نَقْوَلَاتِ، وَالْمُبَاحِثُ الرَّابِعُ عَرَضَ مُجَمُوعَةً مِنَ التَّأْمِلَاتِ حَوْلَ الْحَدِيثِ وَعُدُودُهَا تِسْعَةٌ.

## المبحث الأول: عنوان (سلسلة الذهب) عند الفريقيين

### عند العامة:

يصطلاح بعنوان (سلسلة الذهب) عند العامة على كل حديث نقله الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ كقولهم: "قال مالك: كنت إذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالي ألا أسمعه من أحد. وأهل الحديث يقولون: رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحدٍ من هؤلاء الرواة"<sup>(١)</sup> ويراد به أنَّ الحديث المروي بهذا السنن وصوًلاً إلى النبي ﷺ كان مستحقاً لهذا اللقب لوثاقة رواته واعتبارهم ولذا فإنَّهم يتتوسّعون بهذا الوصف في إطلاقه على كل حديث يعتبر السنن اعتباراً عالياً، ولذا فقد يصف البعض من علماء العامة بعض الأحاديث بأنَّها سلسلة الكذب إذا ما اطمأنَّ بکذب الخبر فيكون مقابلاً لما يطمئنَّ بصحته إلا أنَّه لم يتحول إلى اصطلاح عند الجميع لكنَّه تعبير عن بعضهم للدلالة على ضعف الحديث.

### عند الشيعة:

أمّا عندنا فحديث سلسلة الذهب هو اسم خاص بالرواية التي ذكرها الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في طريقه إلى خراسان، واستحققت هذه الرواية هذا الوسام بلحاظ أنَّ سندها يبدأ بالإمام الرضا وينتهي بالنبي مرسوراً بالأئمة

(١) سلسلة الذهب، ابن حجر، ص ٧ و ١٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء آخر الزمان، ابن خلkan، ج ٥، ص ٣٦٧. والعبارة للأخير.

الطاهرين عليهم السلام. مما يعني أنّ هذا الحديث من اللازم أن تتفق عليه جميع الأمة الإسلامية؛ أمّا عندنا فواضح لأنّا نقول بإمامية الأئمة الطاهرين عليهم السلام وما أحرزنا صدوره عنهم فهو مقبول بلا أدنى تردد، وأمّا عند العامة فالحديث ينبغي أن يكون معتبراً على مبانيهم أيضاً إذ لا يوجد من يخداش في سند هذا الحديث الشريف فمن اللازم أن يصدق عليه عنوان سلسلة الذهب.

### عدم الاختصاص بالرضا عليه السلام

وهل هذا العنوان (السلسلة الذهبية) مختص برواية الإمام الرضا عليه السلام أم أنه عنوان لكل رواية ينقلها المعصوم عن المقصوم؟

لا مانع من أن يكون اصطلاحاً في ذلك<sup>(١)</sup> وإن كان المنصرف هو إلى خصوص هذه الرواية كالحقيقة فيها. وإن تُجْوَز في الاستعمال ليستعمل في النّقل الصحيح الثابت عن طريق الرواية والعلماء. ويقابله عنوان السلسلة الفضية فيما إذا كان سند الرواية منقولة من عادل عن عادل من الرواية<sup>(٢)</sup>.

ثم إنّ المراد من السلسلة الذهبية للحديث هي التي تبدأ بالإمام عن الإمام وهكذا حتى تنتهي إلى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أو إلى الله تعالى، فيما يكون من الرواية غير المعصوم

(١) طرائف المقال، السيد علي البروجري، ج ٢، ص ٢٥٥، قال: (سلسلة الذهب، وهو ما يرويه المعصوم عليه السلام عن آبائه).

(٢) الاصطلاحات الفقهية في الرسائل العملية، الشيخ ياسين عيسى العاملي، ص ١٠٩. (وأهل الحديث يقولون رواية مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب بجلالة كلّ واحد من هؤلاء الرواية، موطن مالك ج ١، ص ٢١ مقدمة الكتاب... أن هذا السند من سلسلة الذهب عمدة القاري، العيني، ج ٣، ص ٨٥).

فهو خارج عن السنن الذي نتحدث عنه وهنا ولا تترتب عليه الآثار الفقهية المذكورة في محلها<sup>(١)</sup>.

وقد ورد عدد من الروايات نقلاً من المعصوم عن معصوم آخر حتى تصل إلى النبي ﷺ أو الأمير عاصي كما في:

- خطبة آخر جمعة من شهر رمضان<sup>(٢)</sup> وكان ابتداء سند السلسلة الذهبية بالإمام الرضا عاصي حتى الإمام علي عاصي فيقول: «خطبنا رسول الله ذات يوم...» الحديث.

- ورواية أخرى وهي من مرويات العامّة في سنن الترمذى: حدثنا نصر بن علي الجهمي، حدثنا علي بن جعفر بن محمد بن علي، أخبرني أخي موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ أَخْذَ يَدَ حَسْنٍ وَحَسِينٍ، فَقَالَ: «مَنْ أَحْبَبَنِي، وَأَحْبَبَ هَذِينَ، وَأَبَاهُمَا، وَأَمْهُمَا، كَانَ مَعِي فِي درجتي يوم القيمة»<sup>(٣)</sup>.

(١) من قبيل الكتابة على الكفن كما في العروة الوثقى للشيخ اليزدي، في مستحبات الكفن، فصل في بقية المستحبات، الحادى عشر منها. وإن زاد المصنف في السنن ليشمل غير المعصوم ووجهه غير ظاهر. أما أصل الكتابة فهي داخلة التزاماً أو تضمناً في فعل الإمام الصادق عاصي في الكتابة على كفن إسماعيل، مدارك العروة، الشيخ علي بناء الاشتهرادي، ج ٧، ٢٣٢.

(٢) الأمالى، الشيخ الصدوق، المجلس العشرون، ح ٤.

(٣) سنن الترمذى: ج ٥، ص ٣٠٥، باب ٩٢، ح ٣٨١٦، وعلق عليه قائلاً: "هذا حديث حسنٌ غريبٌ لا نعرفه من حديث جعفر بن محمد إلا من هذا الوجه". مسائل علي بن جعفر: ص ٥٠.



## المبحث الثاني: سبب التسمية

لعلّ سبب التسمية بحديث (سلسلة الذهب) أو (السلسلة الذهبية) ناشئ من أحد سببين أو كلاهما معتضد بالآخر:

١- كون السنّد يحتوي على السلالة المعصومّة من العترة الطاهرة، ولذا سمّي بحديث السلسلة الذهبية لمناسبة ذلك وهي أنّهم يطلقون على السنّد بالسلسلة، ولا مشاحة في إطلاق هذا الوصف عليه لما فيه من أسماء لمعاني لا تقادس بأحد<sup>(١)</sup>، فهو سنّد عظيم شأنه:

\* وحق فيه قول الشافعي: "لو قرأ هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته"<sup>(٢)</sup>.

\* وجاء نفس الوصف لنفس السنّد وإن كان لرواية أخرى في سنن ابن ماجه فقال عقيب نقل الحديث: "لو قرأ هذا الإسناد على مجنون لبراً"<sup>(٣)</sup>.

\* وذكر في حّقّه الشيخ الصدوق ظاهِبًا ما يزيد على ذلك فقال: "هذا السنّد ورد في الرواية أنه ما قرئ على مريض إلا شفي، ولا على مصروع إلا أفاق، وقد جرب مراراً، وإنْ كُتبَ وشُربَ في ماء أشفى من الألم فجربه"<sup>(٤)</sup>.

\* قول ابن راهويه لنفس السنّد وإن كان لرواية أخرى: "هذا سعوط"<sup>(٥)</sup>

(١) مصباح المهدى في شرح العروة الوثقى، الشيخ محمد تقى الاملى، ج ٦، ص ٢٢١. مدارك العروة، الشیخ علی بناء الاشتهرادي، ج ٧، ص ٢٢١.

(٢) الصواعق المحرقة، العسقلاني، ج ٢، ص ٥٩٥.

(٣) سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٢٥، باب ٩ ح ٦٥.

(٤) قوله هذا على نفس السنّد بختن حديث آخر.

(٥) وهو الدواء يصبّ في الأنف، ويقال لهن يقوم بأفعال المجانين هذا استعمال أهل حلب.

المجانين، هذا عطر الرجال ذوي الألباب".<sup>(١)</sup>

٢- أن أحد حكام الدولة السامانية<sup>(٢)</sup> لما بلغه هذا الحديث كتبه بالذهب احتراماً وتقديراً، فاشتهر وعرف بهذا الاسم.

ناهيك بما نُقل من أثرٍ لهذا السندي ما يكشف عن عظمته فصاحب الجواهر<sup>(٣)</sup> كان كثيراً ما يكتبه ويمحوه بالماء ويشربه ويرى الآثار العجيبة<sup>(٤)</sup>، وما عن كشف الغمة من سبيبة التقدير والاحترام لهذا الحديث لغفران الذنوب إذا ما ضم إلى ذلك الإقرار بالشهادتين والتصديق بالنبي الخاتم<sup>عليه السلام</sup><sup>(٥)</sup> فذاع وانتشر.

٣- يحتمل بعضهم: أن هذه التسمية جاءت من العامة حيث إنهم لما رأوا هذا السندي بهذه المثانة وجلالة قدر رواته من كونه سنداً متصلًا إلى النبي<sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ</sup> فاستحق هذا الوصف في قبال بقية أحاديث الأئمة<sup>عليهم السلام</sup> التي لا تتصل سنداً إلى النبي<sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ</sup> وهذا يستبطن التشنيع جهلاً على الشيعة -كما اعتاد بعض الجهلة- من أن

(١) الأحمري، الطوسي، المجلس السادس عشر، ح ١٠.

(٢) تكونت بعد الدولة العباسية تقريباً وقتل آخر أمرائها في عام ١٠٠٥ م مساحتها تشمل باكستان وقساً من كازاخستان وأجزاء من فارس وأفغانستان وعاصمتها بخارى. بتصرف من موقع ويكيبيديا، اطلع عليه بتاريخ ٢٠١٩/٢/٤.

(٣) جواهر الكلام، الشيخ الجواهري، ج ٤، ص ٢٢٦.

(٤) كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الإربلي، ج ٣، ص ١٠٢. قال: "بلغ بعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب وأوصى أن يُدفن معه فلتما مات رؤي في المنام، فقيل: ما فعل الله بك، فقال: غفر الله لي بتلقيطي بلا إله إلا الله وتصديقي محمداً رسول الله مخلصاً وإني كتبت هذا الحديث بالذهب تعظيمًا، واحتراماً".



أحاديثهم مأخوذه من غير النبي ﷺ، وأنّ الروايات هي مجموعة مراسيل يرسلها الأئمة إلى النبي ﷺ، والحال أنّ قولهم ﷺ هو قول الرسول ﷺ وقول كلّ إمام هو بهذا السنن المتصل إماماً عن إمام إلى النبي ﷺ إنما حذفوا السنن للعلم بهذا الحال.

### المبحث الثالث: نصّ حديث السلسلة الذهبية

في البدء أعرض نصوص الحديث مع الإشارة إلى بعض الأسانيد لنرى مقدار الاختلاف والاتحاد فيها.

بنقل الصدوق قبيل:

لما أشخاص الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان مرّ في طريقه إلى منطقة نيسابور التي لم تعرف بالتشيع والائمة بإمامية الإمام الرضا عليه السلام.

”فلما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور، وأراد أن يرحل منها إلى المأمون، اجتمع إليه أصحاب الحديث، فقالوا له: يا بن رسول الله، ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منه، وقد كان قعد في العمارة<sup>(١)</sup> فأطلع رأسه، وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: سمعت الله تعالى قوله: «لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي» فلما مرت الراحلة نادانا: «بشر وطها، وأنا من شر وطها»<sup>(٢)</sup>.“

(١) هودج يجلس فيه.

(٢) الأimalي، الشيخ الصدوق، المجلس الحادي والعشرون، ح ٨.

وبنفس السند في موضع آخر أورد: «سمعت النبي ﷺ يقول: قال الله جل جلاله: إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني، من جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالإخلاص دخل في حصني، ومن دخل في حصني أمن من عذاب»<sup>(١)</sup>.

### بنقل الحاكم النيسابوري:

ومن أورده من أعلام السنة الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هـ، في كتابه تاريخ نيسابور وفيها توصيف لطيف إلى ما جرى في ذلك الموضع كما أنّ عرض السند كان مختلفاً من حيث ذكر بعض الألقاب والتوصيفات من قبيل شهيد كربلاء، فقال: "إنّ علياً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ع عليهما السلام لما دخل نيسابور كان في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شقّ بها السوق، فعرض له الإمامان أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي<sup>(٢)</sup>، ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى، فقلّا: يا أيتها السيد الجليل ابن السادة الأئمة بحقّ آبائك الأطهرين، وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا

(١) التوحيد، الصدوق، ص ٢٦ في شروط لا إله إلا الله، ح ٢٢.

(٢) مما من المفاظ عند العامة:

- فأما أبو زرعة فيكتفي في تعريفه أنّ من روى عنه مسلم والترمذى والتساينى وابن ماجه.

- وأما محمد بن أسلم الطوسي فمما قيل في شأنه عندهم: قال الذهبي: الإمام الحافظ الربانى، شيخ الإسلام. قال أبو عبد الله الحاكم: كان من الأبدال المتبعين للآثار. وقال فيه محمد بن رافع: دخلت على محمد بن أسلم بما شبهته إلا بأصحاب رسول الله ﷺ. وقال ابن خزيمة: حدثنا من لم تر عيناي مثله أبو عبد الله محمد بن أسلم. وقال مرة: حدثنا رباني هذه الأمة محمد بن أسلم الطوسي. وقال الحاكم: قام محمد بن أسلم مقام وكيع وأفضل من مقامه؛ لزهده وورعه وتتبعه للأثر. وقال إسحاق بن راهويه: قال إسحاق لم أسمع عالماً منذ خمسين سنة كان أشد تمسكاً بأثر النبي ﷺ من محمد بن أسلم.



ووجهك الميمون ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك أن نذكرك به، فاستوقف غلمانه وأمر بكشف المظلة وأقر عيون الخلائق برؤيه طلعته، وإذا له ذوابتان معلقتان على عاتقه، والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك، وصارخ، ومتمزغ في التراب، ومقبل حافر بغلته، وعلا الضجيج، فصاحت الأئمة الأعلام؛ معاشر الناس أنصتوا واسمعوا ما ينفعكم، ولا تؤذونا بصرارحكم، وكان المستملي أبا زرعة ومحمد ابن أسلم الطوسي، فقال علي الرضا عليه السلام:

حدثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه شهيد كربلاء، عن أبيه علي المرتضى، قال: حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله عليه السلام قال: حدثني جبرائيل عليه السلام قال: حدثني رب العزة عليه السلام قال: «لا إله إلا الله حصني، فمن قاها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي». ثم أرخى الستر على المظلة وسار<sup>(١)</sup>.

بنقل الشیخ الطوسي طائف:

وسيتبين أن نقل الطوسي يبيح مختلف في العرض أيضاً والمتن إلا أن المضمون واحد، بل فيه بعض الزيادات المهمة.

فقد جاء فيه: "عن أبي المفضل، عن الليث بن محمد العنبري، عن أحمد بن عبد الصمد بن مزاحم الheroi سنة إحدى وستين ومائتين، عن خاله أبي الصلت عبد السلام الheroi، قال: كنت مع الرضا عليه السلام لما دخل نيسابور وهو راكب بغلة شهباء، وقد خرج علماء نيسابور في استقباله، فلما سار إلى المرتعة تعلقوا ببلجام

(١) مسند زيد بن علي، ص ٤٤١.

بلغته، وقالوا: يا ابن رسول الله! حدثنا بحق آبائك الطاهرين، حدثنا عن آبائك صلوات الله عليهم أجمعين، وأخرج رأسه من الهدوج وعليه مطرف خزف قال (وذكر السلسلة الذهبية منتهياً بالرسول ﷺ) ثم قال عليهما السلام: أخبرني جبرئيل الروح الأمين، عن الله تقدست أسماؤه وجل وجهه، قال: إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي، عبادي فاعبدوني، وليعلم من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله مخلصاً بها، أنه قد دخل حصنني، ومن دخل حصنني أمن عذابي، قالوا: يا بن رسول الله، وما إخلاص الشهادة لله؟ قال عليهما السلام: طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ وولاية أهل بيته (١).

**بنقل أبي جمهور الأحسائي طاب الله ثراه:**

فذكر أن الرضا عليه السلام لما توجه من خراسان منصرفًا إلى الحجاز في قدمته الأولى، حضره جماعة العلماء والفضلاء من أهل خراسان وغيرهم، وكان قد ركب في العمارة، فاحتلوه وقالوا يا بن رسول الله: أتفارقنا ولا تفيينا من علمك شيئاً؟ ألا تحدثنا بحديث ننفع به في ديننا؟ فأطلع عليه السلام رأسه من العمارة حتى أشرف عليهم، وقال: (حدثني أبي عن أبيه عن جده رسول الله عليهما السلام، أنه قال: أن الله يكلّ يقول: الإيمان حصنني ومن دخل حصنني أمن من عذابي. ومن قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة. ثم ضرب راحلته وسار قليلاً والناس خلفه، ثم التفت إليهم، ثم قال: بشرطها وشروطها وأنا من شروطها (٢)).

(١) الأحمري، الطوسي، ص ٥٨٩، المجلس السادس عشر، ح ٩.

(٢) عوالي الثنائي، أبي جمهور الأحسائي، ج ٤، ص ٩٤.

## المبحث الرابع: وهذه جملة من التأملات في هذا الخبر

### التأمل الأول: أسباب اختلاف نقل الحديث

نلاحظ هنا أنّ نقل الحديث جاء بصور مختلفة نوعاً ما مع وفرة الرواية في كلّ مرّة ويرجع هذا إلى:

١- تعدد تردد الإمام عليه السلام على خراسان فلم يقصدها مرّة واحدة فقط، وكان لا بدّ من أن يمرّ بنيسابور، ففي نقل الأحسائي كان ما ذكره الإمام عليه السلام كونه في المرّة الأولى، فالصيغ الأخرى قد لا تكون في تلك المرّة بل في غيرها.

٢- أنّ الإمام كرر الحديث حتى في المرّة الواحدة إذ ترى أنّ بعض الأسانيد تدلّ على أنّ الإمام عليه طلب منه مكرراً ويتمسّك الطالب براحلة الإمام ويطلب منه ذلك بشكلٍ خاصٍ.. فقد ورد عن ابن العساكر أنّه "قال لنا أبو سعد إسماعيل في كلام له: لما دخل علي بن موسى نيسابور تعلق أحمد ابن حرب الزاهد بلجام دابته والنّضر بن ياسين ومحمد بن يحيى فحدّثهم"<sup>(١)</sup> يقصد حديث السلسلة وفي نقل آخر "فعرض له الإمامان أبو زرعة وأبو مسلم الطوسي، ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى"<sup>(٢)</sup> وغيرها من الأسانيد. وهذا يكشف عن غرض كان يؤكّد عليه الإمام عليه يريد إيصاله والتأكيد عليه، وسيأتي الإشارة إليه في الدلالات العقدية والسياسية للخبر.

٣- التّقلّل في الحديث مع كثرة العدد من سمع إلى من لم يسمع، فقد

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٥، ص ٤٦٣.

(٢) مرّ في نقل النّيسابوري للخبر.

يسبّب ذلك بعض الاختلاف والإضافات أو الإنماض.

٤- النقل بالمعنى للحديث، وهذا يسبّب أن يذكر الراوي ما فهمه من الحديث فقد يستبدل بعض الكلمات الخبر بكلمات أخرى تفيد نفس المضمون، وقد يزيد عليها ما يكون أشبه بالشرح للخبر.

٥- التعصّب المذهبى، فلعلم الناقل بمعنى الحديث ودلاته المتعارضة مع ما يحمل من عقيدة تجعله قد يحذف ما يعارض ذلك كما نجده في هذا الخبر حيث يحذف عبارة: «وأنا من شروطها»<sup>(١)</sup>. كما أن إبقاء (شروطها) أو حذفها يسهل حرف المضمون؛ كما يتحول الأمر إلى تلفّظ في حالة روحانية عالية فيتضمن الجنة كما عن الغزالى: قال الغزالى: "فمن أراد دخول ذلك الحصن فليجمع آداب النطق بكلمة الشهادة بأن يجمع جميع حواسه إلى قلبه ويحضر في فؤاده كل جارحة فيه وينطق بلسانه عن جميع ذات وأحوال نفس وجوارح بدن حتى يأخذ كل عضو منه وكل جارحة منه قسطه منها"<sup>(٢)</sup>.

وكيف ما كان فالنّقل بالمضمون ثابت كما سيتّضح في التأمّل الثاني.

(١) مسند الشهاب، محمد بن سلامة القضايعي، ج ٢، ص ٣٢٤، ح ١٤٥١. وذكر ابن عساكر الحديث في موردين بالسند والنّص لكنه بلا كلمة (بشرطها وشروطها وأنا من شروطها)، انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٧، ص ١١٥، وج ٤٨، ص ٣٦٧.

(٢) فيض القدير في شرح الجامع الصغير، المناوى، ج ٣، ص ٥٠٠، بعد حديث ٣٦٩٤.



## التأمل الثاني: قطعية المضمن

لا كلام عند الفقهاء أعلمهم في تفسير ذيل الرواية بالطاعة للأئمة عليهم السلام التي افترضها الله تعالى على عباده، وأنّ من شروط التوحيد وهو قول: لا إله إلا الله<sup>(١)</sup> أن يلزم ذلك إقرار بإمامية الأئمة عليهم السلام ومنهم الإمام الرضا عليه السلام، فمعرفة الإمام وإطاعته واتّباعه هو في الواقع سير على الصراط المستقيم، إذ هذا السير لا ينفك عن المعرفة والولاية والعمل بأركان الدين<sup>(٢)</sup>، وهذا يستلزم الارتباط الوثيق بين الإيمان بالله تعالى المعتبر عنه بالإقرار بالتوحيد وأنّه لا إله إلا هو، وبين الإيمان بالولاية لكونها شرط الإيمان وقد ذكر المجلس طائباً تأوياً للإمام الصادق عليه السلام في بيان قوله تعظ: «فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ» (الجن: ٢٩) «الإيمان بالولاية، للدلالة على أن من لم يؤمن بالولاية لم يؤمن بربه فإنها شرط الإيمان بالله كما قال الرضا عليه السلام: «وأنا من شروطها»، وكما ورد أن كلمة التوحيد مسلوبة عن غير الإمامية في القيامة وكيف يتم الإيمان بالله مع رد ما أنزل في شأن المولى<sup>(٣)</sup>.

وإذا ما نظر الواحد منّا إلى الآيات والروايات فإنه يجدها متكاملة في كل الأبعاد ولا سيما تلك الآيات التي تتحدث عن الأمان من العذاب يوم الوعيد والآيات التي تتحدث عن السبيل إلى الخلود في دار النعيم يصل إلى يقين بأنّ ذلك لا يكون إلا بشرط مقرر ولا يكفي مجرد الادعاء أو التلفظ لنيلها وهذه الشروط هي الالتزام

(١) التوحيد، الصدوق، ص ٢٥. الصراط المستقيم، البياضي، ج ٢، ص ١٧٥.

(٢) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الحسن الديلمي، ص ٣٥٧. ينابيع المودة لذوي القربى، الفندوزي، ج ٣، ص ١٢٣.

(٣) مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، العلامة المجلسي، ج ٥، ص ١٤٣.

بها ورد عن النبي ﷺ بتفاصيله والعمل وفقاً للدعائم الإسلام وأركانه التي منها الولاية لأهل البيت ع من بعد النبي ﷺ وأنّ هذا كله كحلقات السلسلة لا يمكن إنكار بعضها المستلزم إلى حلّها وانتفاء ماهيتها؛ وعلى هذا يكون الإقرار بالتوحيد ضرورياً بقيد تحقق الاعتقاد بنبوة النبي الخاتم ﷺ وإمامية اثني عشر خليفة قد نصّص عليهم النبي ﷺ في موارد عديدة مع الالتزام التام بالقرآن الكريم، فنصل إلى حقيقة هي أنّ العبد بالإقرار بالتوحيد ونبيه الخاتم والتمسّك بالثقلين -تمسّك أتباع - يتم إيمان العبد ويستحق الثواب ويدفع عنه العذاب.

ولذا قد وردت بعض الروايات بنفس مضمون حديث السلسلة عن غير الإمام الرضا ع كما عن الإمام علي بن أبي طالب ع غرر الحكم: «إِنْ لِـ(لَا إِلَهَ إِلا الله) شرُوطًا وَإِنِّي وَذُرِّيٌّ مِنْ شرُوطِه»<sup>(١)</sup>. وذلك للتنصيص على هذه الحقيقة التي فيها جلب المصلحة الدائمة للعبد ودفع المفسدة عنه.

وما ورد عن الإمام البارق ع أنّ رجلاً أتاه فسأله عن الحديث الذي روی عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «من قال لا إِلَهَ إِلا الله دخل الجنة، فقال أبو جعفر ع: الخبر حقّ. فولى الرجل مدبراً فلما خرج أمر برده ثم قال: يا هذا! إن [لـ] لا إِلَهَ إِلا الله شرُوطًا أَلَا وَإِنِّي مِنْ شرُوطِه»<sup>(٢)</sup> وهذا الأسلوب من الإمام ع يؤكّد المعنى عند السائل والحاضرين وهو القادر على عرض المضمون بتمامه في الجواب الأول بلا حاجة لكي يخرج الرجل فيرجعه فإنّ الحاصل بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا تعب.

(١) ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزى، ج ١، ص ٧٩. نقلًا عن غرر الحكم.

(٢) بحار الأنوار، المجلسى، ج ٣، ص ١٣، باب ثواب الموحدين، ح ٢٨.



### التأمّل الثالث: قطعية الصدور

هذا الحديث في الواقع من أصح الأحاديث الشريفة التي وصلتنا عن النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين علیهم السلام، فقد وصل بعدّة طرق نظراً للظروف التي أُلقي فيها هذا الحديث من مهابة موكب الإمام علیه السلام، وخصوصية المنطقة التي تعيش بالعلماء، وكثرة الناس التي كان الطابع العام على قاطنيها عدم المشيّعة للإمام، ولا سيّما الذين أحاطوا بالإمام علیه السلام في هذه الحادثة فقد تقدّم ذكر أربعة من كبار علماء العامة يتعلّقون بالإمام علیه السلام بغية الحصول على رواية منه إليهم، ناهيك بالعدد الكبير من كبار أهل العلم من حملة المحابر وحملة الدووain<sup>(١)</sup>... بحيث بلغ عددهم على ما يزيد عن العشرين ألفاً في نقل القندوزي قال: "فعدّ أهل المحابر وأهل الدووain الذين كانوا يكتبون فأنا فو زادوا - على عشرين ألفاً"<sup>(٢)</sup>، بل أوصله البعض إلى أكثر من أربعة وعشرون ألفاً<sup>(٣)</sup>.

وكان أثر هذا الحديث أنّه نقل بأدق تفاصيله، كما هو الحال في حديث الغدير حيث أُلقي على الجموع الغفيرة ذات المشارب المختلفة، فما كان من الجميع إلا أن ينقله، ومن لم ينقله بتمامه سعى إلى حرف مضمونه أو إنقاذه بعض حيّاته وهذا يندر حصوله في الروايات الشريفة.

(١) ذكر في أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ١، ص ١٠١ أنّ "المحبرة هي الدواة الكبيرة وصاحبها لا يكون إلا عالماً كبيراً، والدووي: جمع (دواة) وصاحبها أقلّ درجة من صاحب المحبرة".

(٢) مسند زيد بن علي، ص ٤٤١. ينابيع المودة لذوي القربي، القندوزي، ج ٣، ص ١٢٢.

(٣) انظر: هامش الفصول الهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد أحمد الملكي، ج ٢، ص ١٠٠٣.

### التأمل الرابع: كيف تعامل العامة مع هذا الحديث؟

ومع هذا العدد الكبير والنّقل الكثير لم أجد من تعامل مع هذا الحديث في كتب العامة -فيها اطلعت واستقصيت- تعاملًا لا ينافي بمستوى قطعية صدوره!!!

وما وجدت سوى المعارضة في ذلك؛ والداعي إلى معارضته واضح بين وهو أنّ هذا يتضمن إثبات أفضلية الإمام الرضا عليه السلام وأبائه عليهما السلام على جميع الخلق من بعد النبي عليهما السلام وفيه إثبات لزوم اتباعهم على كل من يدعى له الأفضليّة من غير المعصومين.

ومن طرق معارضه هذا الحديث اختيار سند من الأسانيد التي يمكن أن يخداش فيها ويروى في الكتب كي يُطعن عليه فتسقط الرواية سندًا! ويُغمض النّظر عن بقية الأسانيد. باعتبار أنّ الحديث وصف بالوضع<sup>(١)</sup>.

وأختصر تعامل العامة مع هذا الحديث قطعي الصدور بنقل كلماتهم في شأن سنته:

قال الحافظ العراقي: إسناده ضعيف وقول الديلمي: حديث ثابت مردود<sup>(٢)</sup>. وفي نقل آخر أكثر وضوحاً قال الحافظ العراقي في تخریج الإحياء رواه الحاکم في تاريخ نيسابور وأبو نعيم في الحلية والقضاعي في مسند الشهاب من روایة علی بن موسی الرضی عن آبائہ، وہو ضعیف جدًا. قال ابن طاہر فی الكشف عن أخبار الشهاب: راویہ عن علی الرضا فی الحلیة أبو الصلت الھروی متافق علی ضعفه، وراویہ عن علی عند القضاعی احمد بن علی بن صدقۃ متهم

(١) انظر: جواهر التاریخ، الشیخ علی الکورانی، ج ٤، ص ١٤.

(٢) فیض القدیر شرح الجامع الصغیر، المناوی، ج ٤، ص ٦٤٢ فی ذیل فائدة بعد حديث رقم ٦٠٤٧.

بالوضع، وأما قول صاحب الفردوس: إن هذا الحديث ثابت مشهور فمردود عليه انتهى، قوله في أبي الصلت: متفق على ضعفه، فيه نظر... فطريقه هي أشبه طرق الحديث، قال الشيخ ركن الدين ابن القوبع: قوله فقد أمن من عذابي يعني به العذاب الذي يوجبه الكفر والله أعلم".<sup>(١)</sup>

### التأمل الخامس: تعارضه مع حديث آخر

عند النظر في الروايات الشريفة قد يقف الناظر عند هذه الرواية التالية متصوراً وجود تعارض بينها وبين حديث سلسلة الذهب -المبحوث عنه هنا- والخبر هو بسلسلة ذهبية أيضاً وعن الرضا عليه السلام أيضاً نفس طريقة العرض لكن في المصادر التي رأيت الحديث فيها لم أجده أحداً أرجع هذا الحديث إلى تلك الحادثة التي في نيسابور فلا يعلم أن الحديث أُلقي في نيسابور أم في غيرها.

والحديث هو كما عن الشيخ الصدوق رضي الله عنه: عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن موسى بن جعفر عليه السلام، عن جعفر بن محمد عليه السلام، عن محمد بن علي عليه السلام، عن علي بن الحسين عليه السلام، عن علي بن طالب عليه السلام، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل عليهم السلام عن اللوح والقلم قال: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ولایة علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن من ناري».<sup>(٢)</sup>

ولا شك أن هذه الرواية جعلت ولایة أمير المؤمنين عليه السلام حصناً، وفي الرواية السابقة جعلت لا إله إلا الله حصناً، ويظهر كل من الروايتين في الانحصار!

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنية الم موضوعة، علي بن محمد الكناني، ج ١، ص ١٤٧.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، المجلس الحادي والعشرون، ح ٩.

### الجواب عن التعارض المتصور:

لا يوجد تعارض بين الخبرين؛ لأن أحدهما يدل على التوحيد والآخر على الولاية وهما عنوانان مختلفان على مستوى المفهوم مرتبطان على مستوى الخارج والواقع العقدي نظراً إلى ما ورد في القرآن الكريم والروايات الشريفة.

أما اختلافهما على مستوى العنوان فالولاية شيء والتوحيد شيء آخر كما يُبحث في محله.

وأما ارتباطهما ببعضهما البعض ارتباط وثيق على مستوى المعنى والمفهوم بحيث إذا ما نظرنا إلى أحدهما لا بد من حضور الآخر قهراً وكأنهما شيء واحد. وعليه لا فرق في التعبير بين الروايتين لأن الهدف والمضمون واحد.

### وببيان الارتباط هو المهم هنا:

المطلع لما ورد في شأن التوحيد يعرف جيداً أنه لا يكون خالصاً وصحيحاً بمجرد أن يردد الإنسان قول: لا إله إلا الله -حتى لو استجمعت قواه ونطقها بنطع مجوّد، بل لا بد من اقترانه بالطاعة إلى الله تعالى وإلى رسوله عليه السلام وإلى أهل البيت عليهما السلام ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْهَىٰ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ (النساء: ٥٩) ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنْكُمْ﴾ (الرعد: ٤٢) فلا تنفك طاعة الله تعالى عن طاعة الرسول وعن طاعة الإمام.

فالولاية لعلي عليه السلام هي ولاية للرسول عليه السلام وهي ولاية الله تعالى. وفي ذيل حديث السلسلة الإشارة إلى الولاية عند قول الإمام عليه السلام: «وأنا من شروطها»، وسيأتي في التأمل القادم بيان أكثر لهذا الارتباط.



وكذا ربطت الآية أن الشهود على الإنسان الذين تعرض الأعمال عليهم هم الله عَزَّلَ ورسوله ﷺ والمؤمنون حيث قال: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرِى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُّدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُبَيَّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبه: ١٠٥) مما يعني أنه لا انفكاك بينهم أبداً فالدعوة إلى توسيع الله تعالى هي الدعوة إلى توسيع النبي ﷺ وهي الدعوة إلى توسيع الولي المتمثل في علي بن أبي طالب عليهما السلام والعترة الطاهرة من ولده عليهما السلام. فلا تعارض في البين.

ولا سيما إذا نظرنا إلى النصوص المختلفة في هذا الشأن فإن هذا يتجلّ أكثر «من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجّه إليكم»<sup>(١)</sup> فالولاية طريق إلى التوحيد المنجي كما أن التوحيد يوصل إلى الولاية، فما إن ابتدأ العبد بأحد هما فلا بد من أن يصل إلى الآخر، فكل من التوحيد والولاية حصن الله.

وخير شاهد على ذلك ما ورد من آية الإكمال وحديث الغدير المتواتر ﴿أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِيِنَكُمْ وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا..﴾ (المائدة: ٣) الدال على عدم اكتمال توحيد الفرد وإيمانه من دون الولاية لأمير المؤمنين.

#### التأمل السادس: معنى (لا إله إلا الله حصني)

لا كلام في أن من تشهد الشهادتين وأقر بالتوحيد فإنه يدخل في حصن الإسلام فيحرم ماله ودمه وعرضه فيكون له ما لل المسلمين وعليه ما على المسلمين. ولكن هذا لا يعني أنه قد دخل في حصن الله تعالى وأمن من عذابه وعقابه؛ إذ قد يتظاهر بالإسلام والإيمان ولم يعرف القلب له سبيلاً، وقد يرتكب المعصية إثر

(١) عيون أخبار الرضا، الصدوق، ج ٢، ص ٣٠٨.

المعصية فيحرم من رعاية الله وأمانه؛ وهذا التلفظ بالتوحيد يدخل الفرد في حصن الإسلام لكنّ هذا لا يكفي لدخول حصن الله، وإنما كان لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤) ولا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ..﴾ (النساء: ١٣٦) معنى !

فالدخول في حصن الله تعالى مشروط بأمرتين:

الأول: المعتقد الصحيح المتمثل بالتوحيد.

والثاني: بالعمل الصالح الذي هو التزام عملي بلوازم هذا الاعتقاد.

أما الأول: فقد عبر عنه الإمام الرضا عليه السلام بقوله عن الله تعالى: «لا إله إلا الله حصني...» وذكرنا في التأمل السابق أنّ التوحيد والولاية لا يمكن انفكاكهما أبداً وأكّده من جديد في المقطع الثاني الآتي بحثه في التأمل التالي.

والالتراجم بـ(لا إله إلا الله) قوله عليه السلام إنّه قال: «من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة، وإخلاصه أن تحجزه لا إله إلا الله عّمّا حرم الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

وأرغب في الوقوف على الإخلاص.. فهنا؛ لا يمكن أن تكون هذه العبارة مؤثرة ما دامت لم تخرج بإخلاص الله تعالى، والنبي صلوات الله عليه هنا يشير إلى أساس المسألة التي تمحو حالة الإخلاص في التوحيد إلى الله تعالى وهو أن تحجزه (لا إله إلا الله)

(١) توحيد الصدوق، ص ٢٨، ح ٢٧

عما حرم الله، وعادةً ما يكون حراماً هو يكون من مشتهيات الإنسان، فهنا إما أن يطيع الله تعالى في أوامره بالابتعاد عن المحرمات فيخلص له توحيده ويدخل في حصن الله ويأمن من عذابه، وإما أن يرتكب المحرمات ويتبع مشتهياته وهواء فيخسر توحيد الله تعالى؛ لأنَّه سيكون عبداً لإله آخر غير الله تعالى وهو الهوى **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾** (الجاثية: ٣٢). والنماذج في هذا الشأن كثيرة جداً.

وأما الثاني: وهو الالتزام بلوازم الاعتقاد فهو أمر فطري قبل كل شيء، فمن يعتقد بشيء لا بد من أن يعمل على وفق اعتقاده وإن لاستخف به.. كمن يتيقّن خطورة السم القاتل على حياته فيتناوله.. وهنا من يعتقد بأنَّ التوحيد يدخل حصن الله المنيع فلا شك عقلاً في أنَّ هذا التوحيد ليس تصوّره بالصورة الساذجة كأن يتلفظ الإنسان بهذا الكلمات العظيمة، بل لا يكون تحقّق هذا الشأن إلا بشرطٍ خاصٍ يطلبها العقل فيسأل عنها، فيأتي الجواب في بعض الروايات أنَّ هذا الإخلاص لا بد من أن يكون قائله مخلصاً فيه وذلك بالورع عن المعاصي، وفي بعضها الآخر بيان الطريق إلى التوحيد وهو الولاية.

والمعاصي التي لا بد من تركها على مختلف مستوياتها سواء تلك التي تكون في السلوك، أم تلك التي ترجع إلى الاعتقاد كإنكار الإمامة والولاية بعد وضوّحها وتبيانها من النبي ﷺ.

**التأمّل السابع:** معنى (بشرطها وشروطها وأنا من شروطها)

هذا المقطع ذكره الإمام عليه السلام بعد أن دخل المحمل وأعاد إخراج رأسه منه ليذكر إليهم هذه المقالة التي أشار فيها إلى الولاية والإمامية - الذي هو عبارة عن الطريق المكمل للتوحيد الخالص - وهي تشمل النبي صلوات الله عليه وآله والأئمة الظاهرين عليهم أفضل الصلاة والسلام:

- بشرطها: فأفرد النبي ﷺ بقوله: (بشر طها) احتراماً وتعظيمياً له ﷺ فأشار إلى ضرورة التصديق بنبوته، وأنه ﷺ يعتبر الرافد الأول والأساس لتعزيز إيمان العبد. ومنه تنفرّع الشروط.

- بشرطها: ثم عطف على ذكر النبي ﷺ الإشارة إلى الأئمة علیهم السلام من بعده بقوله: (وشرطها) وضرورة الإيمان بهم كونهم المكملين لدینه والتصديق بهم تصدیق بتمام شریعة سید المرسلین ﷺ.

- وأنا من شروطها: ليختم بتشخيص الإمام عليه السلام الفعلى المفترض الطاعة والاتباع عندما قال: (وأنا من شروطها) وأرجع الضمير إلى الشروط وهي المساوية للإمامية ولم يرجعه إلى الشرط المساوي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعد نفسه الشريفة من جملة الشرط لا الشرط <sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الصراط المستقيم، السيد حسين البروجردي، ج ٣، ص ١٢٨.

### التأمل الثامن: المدلول العقدي للخبر

الإمام الرضا عليه السلام يشهد على جميع من حضر وسمع وكلّ من يبلغه الحديث بأنّ أعماله لا يمكن أن تقبل بدون الولاية، فقد قامت الحجة عليهم أيّها قيام بعد سؤاهم وإجابتهم إجابة وافية شافية صريحة.

ولا شكّ أنّ اتباعهم والتسليم إليهم وطاعتهم عليه السلام دون غيرهم مع لحاظ عصمتهم نجد أدلة التنصيب للخلفاء من الأئمة عليهم السلام من بعد النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه تتكشف أكثر وتزداد جلاءً ووضوحاً.

ليس لأنّهم أولاد الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه، بل لأنّهم المنصوبون من قبل الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله صلوات الله عليه وآله وسلامه، وهم الوارثون لعلوم النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه التي هي عن الله مأخوذه فلا طريق إلى الله إلا هم، وهذا يعني اختصاصهم بالرجوع إليهم من قبل الناس من بعد النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه... فهم حجاج الله تعالى الواجب الأخذ عنهم وفهم القرآن عن طريقهم ووعاية الدين بالاستعانة بهم لا بغيرهم.

فهم - كما قيل - الذين يحتاج الكلّ إليهم ولا يحتاجون إلى الكلّ. فكيف يجده الفرد عنهم. وتصحيح المسار مفتوح للجميع.

### التأمل التاسع: المدلول السياسي للخبر

ما كان الإمام عليه السلام في نيسابور أُريد له أن يكون غائباً عن الأنظار فلا ترغب السلطة العباسية في أن يراه أحد ولذا كان جالساً في العمارة وهي عبارة عن هودج فلم ير الإمام عليه السلام منها وعبر بعضهم أنه ضربت على الإمام عليه السلام قبة كي لا يراه أحد... وهكذا أريد إخفاء الإمام عليه السلام عن الناس كي لا يخشدهم ولا يبرز

معارضته للسلطة... إلا أنّ الحال لم يكن على هوى السلطة فسجل الإمام موقف المعارضة بهذا الحديث في هذا الحدث المهم الذي من شأنه أن يحدث تغييراً على الواقع السياسي لما اتّضح من دلالة عقائدية تسرب المأمون صفتة كحاكم وتلتصق بال الخليفة الشرعي عن الرسول ﷺ ولذا قيل: إنّ "من موافق الإمام الرضا علیه السلام" والإمام الرضا علیه السلام كانت له المواقف الشجاعة التي سجلها التاريخ فنراه عندما أراد إثبات حقّه وعلى رغم المراقبة والملحقة له من قبل السلطات العباسية الحاكمة يقف في نيسابور ليروي حديث السلسلة الذهبية التي لا يكاد يخلو كتاب من التعرّض لها<sup>(١)</sup> واللطيف ما ذكرته بعض المصادر أنّ المأمون كان مع الإمام علیه السلام عندما ألقى الإمام علیه السلام هذا الحديث بغض النظر عن كون الإمام علیه السلام ألقى هذا الحديث بعد التنصيب لولاه العهد أم قبله ففي الحالين يتتحقق المراد وتفهم المعارضة.

## خاتمة

إلى هنا اتّضح ما لهذا الحديث - حديث السلسلة الذهبية - من أثر مهمّ جداً في مجالات متعدّدة ومتختلفة إذا ما تأمّلنا في مضامينه المقطوع صدورها عنهم علیه السلام، وحقّ لهذا الحديث أن يكون شاهداً على مقدار الدّس والتحرير والتجاهل لكلام أهل البيت علیه السلام من قبل غير أتباعهم، وهذا ما يفرض تكليفاً على أتباع أهل البيت علیه السلام ليرفعوا راية إحقاق الحق وإعلاء وإبراز كلامهم الذي هو نور يهتدى به إلى الله عزوجل.

والحمد لله رب العالمين.

(١) حقوق أهل البيت علیه السلام في الكتاب والسنة باتفاق الأئمّة، الشيخ محمد حسين الحاج، ص ١١٦.



اللهم صلي على نبيك وآله وصيانته



# دُعْوَى تشييع المأمون في الميزان

الشيخ عزيز حسن الخضران

## الملاخص:

تتعرّض المقالة إلى ما ادعى في كلمات البعض من تشيع المأمون، وذكر الكاتب أولاًً معنى التشيع المصطلح مورداً النقاش، فذكر له أربعة معانٍ في الاصطلاح، وتطرق إلى عشرة من أدلة الخصم المستدلّ بها على تشيع المأمون وناقشها، ثم أضاف إليها ما يدلّ على أنّ المأمون من العامة، خاتماً المقالة ببعض الأمور المرتبطة بالبحث وذكر بعض النتائج.

## المقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

من المسائل التاريخية الملفتة للنظر، والتي هي موردة للأخذ والرد هي مسألة (ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام)، وكانت حينها خطوة جريئة من الخليفة العباسي المؤمن، وكانت موردة اعتراف من بنى العباس خوفاً من انتقال الخلافة إلى بنى هاشم وآل علي عليهم السلام، ولا زالت هذه المسألة تحملها الأقلام، وتبحث عن أسبابها ودوافعها، ودلائلها.

وما لفت نظري ذهاب بعض علماء الشيعة إلى القول بتشيع المؤمن العباسي !  
وكانت إحدى الأدلة التي استند إليها هي مسألة ولاية العهد.

وهذا يدعونا إلى التأمل ليس فقط في صحة دعوى تشيع المؤمن، وإنما في أنه كيف استطاع المؤمن العباسي - وهو حاكم للدولة الإسلامية آنذاك، وسيرته ظاهرة لل المسلمين - أن يخدع بعض محققي الأمة وعلمائها بكونه من الشيعة؟!  
والمعروف أنَّ الشيعة قد أقيمت الدعايات الكثيرة - منذ استلام الخلافة من أهلها - على كونهم أعداء الأمة!

وسنحاول - بإذن الله - ذكر الأدلة التي استدلَّ بها على تشيع المؤمن ومناقشتها، مع بعض الإشارات في الضمن إلى سياسية المؤمن العباسي، والأدلة على عداوته للتتشيع وللإمام الرضا عليه السلام بالخصوص.

والكلام في عدَّة مباحث:

## المبحث الأول: معنى التشيع

هناك عدّة اصطلاحات للتشيع، يجب التفريق بينها، حتى نعرف أنَّ المأمور  
على فرض تشيعه - على أيّ نوع من هذه الأنواع من التشيع.

### التشيع لغة:

من المشايعة؛ أي المتابعة، قال الخليل: "والشيعة: قوم يتشيرون، أي: يهونون  
أهواه قوم ويتابعونهم، وشيعة الرجل: أصحابه وأتباعه، وكلُّ قوم اجتمعوا على  
أمرٍ فهم شيعة"<sup>(١)</sup>، وفي الصحاح: "شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، يقال: شابعه، كما  
يقال والاه من الولي، والمشايع أيضاً اللاحق.. وتشيع الرجل، أي ادعى دعوى  
الشيعة"<sup>(٢)</sup>.

فكلُّ من اتَّبع شخصاً وصار يهوى هواه فهو من شيعته لغة، وهذا أعمُّ من  
كون الاتِّباع عن عقيدة أو عن مجرد الحبِّ والميل النفسي للمتبَّع.

### وأما التشيع في الاصطلاح:

فهو أخصُّ من المعنى اللغوي، وقد عُرِّفَ بتعاريفَ عديدة<sup>(٣)</sup>، ننقل منها اثنين:

١- ما عرَّفَ به الشهيد الثاني: "الشيعة من شابع علياً عليه السلام؛ أي اتَّبعه (وقدَّمه)  
على غيره في الإمامة"<sup>(٤)</sup>.

٢- ما ذكره الشهيرستاني قال: "الشيعة هم الذين شابعوا علياً عليه السلام على

(١) كتاب العين، الخليل الفراهيدي، ج ٢، ص ١٩١.

(٢) الصحاح، المحوري، ج ٣، ص ١٢٤٠.

(٣) انظر: هوية التشيع، الوائلي، ص ١١ وما بعدها.

(٤) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، الشهيد الثاني، ج ٣، ص ١٨٢.



الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية؛ إما جلياً، وإما خفياً، واعتقدوا أنَّ الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجم فبظلمٍ يكون من غيره أو بتقىٍّ من عنده<sup>(١)</sup>.

والمهم في هذين التعريفين، هو عنصر "تقديم علي عليه السلام"، والمقصود به ليس مجرد تفضيله على الصحابة، بل تقديمه عليهم في الخلافة والإمامنة عن اعتقاد بأنه أحقٌ من جهة اختيار الله تعالى ذلك، وهذا يقتضي -أيضاً- القول بالعصمة المطلقة.

وليس المقصود من (الإمامنة) خصوص الخلافة الظاهرية -كما ربما يفهم من عبارة الشهريستاني-، بل المقصود هي الإمامة الإلهية، والتي تشمل إمامنة الدين والدنيا معاً.

ولذا عندما يُوصف أحدُ التشيع لجرَّد تقديمه علياً من ناحية الأفضلية، حتى لو لم يعتقد بإمامته الإلهية، فهذا نوع آخر من التشيع، وهو أقرب إلى المعنى اللغوي منه إلى المعنى الاصطلاحي.

وربما اتهمَ الرجلُ بالتشيع لميله إلى أهل البيت عليه السلام، وذكر فضائلهم، أو ذمَّه لمعاوية وانتقاده، بل كلَّ من قدَّم علياً على عثمان كان شيئاً في عرف المتقدِّمين، وإن كانت عقائده موافقة للسنة في الإمامة، يقول ابن حجر العسقلاني في ترجمة أبان بن تغلب "فالتشيع في عرف المتقدِّمين هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان، وأنَّ علياً كان مصيبة في حروبه، وأنَّ مخالفه مخطئ، مع تقديم الشيفيين

(١) الملل والنحل، الشهريستاني، ج ١، ص ١٤٦.

وتفضيلهما، وربما اعتقد بعضهم أنَّ علياً أفضَّلُ الخلق بعد رسول الله ﷺ.. وأمَّا التشيع في عرف المتأخرین فهو الرفض الممض" <sup>(١)</sup>.

ويقول في كتاب آخر: "والتشيع محبَّةٌ على، وتقديمه على الصحابة، فمن قدَّمه على أبي بكر وعمر فهو غالٍ في تشيعه، ويطلق عليه رافضي وإلا فشيعي، فإنَّ انصاف إلى ذلك السبُّ أو التصريح بالبغض فغالٍ في الرفض، وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشدُّ في الغلو" <sup>(٢)</sup>.

فمن يقدِّمُ علياً عليه السلام على الشيفيين يعتبر رافضياً، ومن يقدِّمُه على عثمان يعتبر شيعياً!

ونستطيع أن نقول بأنَّ هناك عدَّة معانٍ للتشيع:

**الأول:** تقديم علي عليه السلام على غيره في الإمامة الإلهية عن اعتقاد بتقديم الله تعالى له، والاعتقاد بعصمتها وعصمة أولاده الأحد عشر.

**الثاني:** تفضيل علي عليه السلام على غيره في الصفات والفضائل، من دون الاعتقاد بعصمتها، ومن دون سلب صحة خلافة من سبقوه.

**الثالث:** ذكر فضائل علي عليه السلام بالإضافة إلى ذم معاوية وبني أمية، ومن دون تفضيل علي على بقية الصحابة.

**الرابع:** مجرَّد ذكر فضائل علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، من دون تفضيله على بقية الصحابة.

(١) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج ١، ص ٨١-٨٢.

(٢) مقدمة فتح الباري، ابن حجر، ص ٤٦٠.

وكلامنا في تشيع المؤمن العباسي يجب أن يكون عن التشيع الاصطلاحى الخاص، وهو المعنى الأول من المعانى الأربع المذكورة، مما يقتضي القول - على فرض تشيعه - أنه يرى بأنَّ الإمام الرضا عليه السلام هو إمامٌ منصبٌ من قبل الله تعالى، وأنَّه واجب الطاعة، ومعصومٌ عن الخطأ والاشتباه والجهل.

### المبحث الثاني: القائلون بتشيع المؤمنون

المعروف بين المسلمين جمِيعاً، بل هو الثابت بالضرورة التاريخية أنَّ الخلفاء الثلاثة وخلفاء بنى أمية وبني العباس يتتمون إلى المذهب المقابل لمذهب أهل البيت عليهم السلام ولو على المستوى الرسمي - إن صَحَّ التعبير -، وأنَّهم ما كانوا ليسمحوا لأئمة أهل البيت عليهم السلام بتقلُّد المناصب المهمة في الدولة، بل ولا لشيعتهم المعروفة، إن لم نقلَّ أنَّهم كانوا يحاربونهم على الدوام، ويعتبرونهم العدوَّ الأوَّل للدولة والسلطة، وهذا الأمر يشمل المؤمن العباسي - لا أقلَّ في بدايات استلامه الخلافة -.

فالقولُ بتشيع المؤمن يُعدُّ مخالفًا للمشهور، ويحتاج إلى أدلة واضحة للذهاب إلى ذلك، وقد وصف المؤمن العباسي بالتشيع على لسان بعض العلماء، منهم:

١- جلال الدين السيوطي: حيث يقول عن المؤمن: "وكان معروفاً بالتشيع، وقد حمله ذلك على خلع أخيه المؤمن، والعهد بالخلافة إلى علي الرضا كما سنذكره.. وفي سنة إحدى ومائتين خلع أخاه المؤمن من العهد، وجعل ولی العهد من بعده عليَّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، حمله على ذلك إفراطه في التشيع"<sup>(١)</sup>.

(١) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ص ٣٣٢.

٢- الذهبي: قال: "أمر المؤمن بأن ينادى: برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير أو فضله على أحدٍ من الصحابة، وإنَّ أفضل الخلق بعد رسول الله علي بن أبي طالب، وكان المؤمن يبالغ في التشيع، ولكن لم يتكلَّم في الشيختين بسوء، بل كان يترضى عنهم، ويعتقد إمامتهما"<sup>(١)</sup>.

٣- السيد محسن الأمين: يقول<sup>(٢)</sup>: "كان المؤمن متشيِّعاً لأمير المؤمنين علي عليهما السلام، مجاهراً بذلك، محتاجاً عليه، مكرماً لآل أبي طالب، متجاوزاً عنهم على عكس أبيه الرشيد، ويدلُّ على تشييعه أمور كثيرة"<sup>(٣)</sup>.

### المبحث الثالث: أدلة تشيع المؤمن ومناقشتها

لقد طرحت بعض الأدلة على تشيع المؤمن العباسي متداولة هنا وهناك، ستعرَّض لها، ونجيب عنها بما يتيَّسر:

#### الدليل الأول: تنصيب الإمام الرضا عليهما السلام لولاية العهد

فإنَّ المؤمن العباسي قام بتنصيب الإمام الرضا عليهما السلام ولیاً للعهد، بل كان يريد أن يخلع نفسه ليسلم الإمام عليهما السلام الخلافة<sup>(٤)</sup>، فهو إذاً يعتقد أنَّ الإمام

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي، ١٥، ص ٦.

(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ٢، ص ١٥.

(٣) انظر: تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ص ٣٣٣، وقد روى الصدوق في الأمالي، ص ١٢٥ عن أبي الصلت الهروي، قال: "إنَّ المؤمن قال للرضا عليهما السلام: يا بن رسول الله، قد عرفت فضلك وعلمتك وزهتك وورعك وعبادتك، وأراك أحقَّ بالخلافة مني، فقال الرضا عليهما السلام: بالعبودية لله ربِّك افتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو التجاة من شرِّ الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغامم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله ربِّك".



أحق الناس بالخلافة، وهذا من أهم مقومات التشيع.

والجواب:

هناك أجوبة متعددة على هذا الدليل، وهو بحث مستقل في حد ذاته، ونذكر باختصار ما يخص المقام فقول:

**أولاً:** حتى نحكم بأن هذا الفعل من المؤمن يدل على تشيعه، لا بد أن ثبت أنه نابع من اعتقاده بالإمامية الإلهية للإمام الرضا عليه السلام، وأنه لم يكن عن مصلحة ترتبط بالمؤمن نفسه، يعني أن لا يكون هذا القرار قراراً سياسياً بحتاً، والأصل في فعل الحكام والخلفاء - كما يشهد له التاريخ - هو المصالح الشخصية، وإثبات النية الحسنة للمؤمن - بالإضافة إلى وجود ما يدل على ما ينافيها كما سيأتي إن شاء الله تعالى - غير متوفرة وغير ممكنة.

**وثانياً:** إذا كان هذا القرار من المؤمن نابع من التشيع لما ناسب أن يكون بطريقة العرض على الإمام، أو بالإكراه كما ورد، بل الواجب أن يأمر بأمر الإمام عليه السلام باعتباره المعصوم في اعتقاده - حسب الفرض -، وما حصل كما نقله المؤرخون هو العرض والإكراه.

**ثالثاً:** ما ورد على لسان الإمام الرضا عليه السلام نفسه، فقد نقل الصدوق عن أبي الصلت الهروي في رواية طويلة نقتصر على موضع الشاهد منها، "فقال له الرضا عليه السلام: «إن كانت الخلافة لك وجعلها الله لك، فلا يجوز أن تخليع لباساً ألبسك الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك، فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك»<sup>(١)</sup>.

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٥١، والأمالي، الصدوق، ص ١٢٥.

وكلام الإمام عليه السلام واضح في تبيين حقيقة الإمامة التي هي أمر إلهي وليس بيد البشر – كما يعتقد السنة –، وعليه فإنَّ كلامه عليه السلام يدلُّ على أنَّ المؤمن يتعامل مع الإمامة كمنصب دنيويٍّ وهو الحكم والسلطة المجرَّد عن أمر الإله، بينما عقيدة الشيعة في الإمامة أَمْهَا اختيار من الله تعالى لخلص أولياءه.

وفي كلامه عليه السلام أيضاً دليلاً على ما ذكرناه ثانياً، من أنَّ المعتقد للإمامية الإلهية لا يجوز له أن يعرض الإمامة على الإمام عليه السلام أو يجبره عليها.

وفي تكميلة الرواية ما يدلُّ بشكل أكثر على واقع المؤمن فتأملوا ما جاء فيها "قال له المؤمن: يا بن رسول الله، لا بد لك من قبول هذا الأمر، فقال: «لستُ أفعل ذلك طائعاً أبداً»، مما زال يجهد به أياماً حتى يئس من قبوله. فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تحبَّ مبايعتي لك، فكن ولِيَّ عهدي لتكون لك الخلافة بعدي، فقال الرضا عليه السلام: «والله لقد حدثني أبي، عن آبائه، عن أمير المؤمنين، عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: إِنَّمَا أَخْرَجَ مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَكَ مَقْتُولًا بِالسُّمِّ مُظْلُومًا، تَبَكِّيُ عَلَيَّ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَمَلَائِكَةُ الْأَرْضِ، وَأَدْفَنُ فِي أَرْضِ غَرْبَةٍ إِلَى جَنْبِ هَارُونَ الرَّشِيدِ»، فبكى المؤمن، ثمَّ قال له: يا بن رسول الله، ومن الذي يقتلك، أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حي؟ فقال الرضا عليه السلام: «أَمَا إِنِّي لَوْ أَشِأْتُ مِنَ الذِّي يَقْتُلُنِي لَقُلْتُ». فقال المؤمن: يا بن رسول الله، إنَّما تُريد بقولك هذا التَّخْفِيفُ عن نفسك، ودفع هذا الأمر عنك، ليقول النَّاسُ: إِنَّكَ زَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا، فقال الرضا عليه السلام: «وَاللهِ مَا كَذَبْتُ مِنْ خَلْقِنِي رَبِّي عَزَّوَجَلَّ، وَمَا زَهَدْتُ فِي الدُّنْيَا لِلْدُنْيَا، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ مَا تُرِيدُ». فقال المؤمن: وما أُريد؟ قال: «لِيَ الْأَمَانُ عَلَى الصَّدْقِ»؟ قال: لك الأمان. قال: «تُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: إِنَّ عَلَيَّ بْنَ مُوسَى لَمْ يَزَهَدْ فِي الدُّنْيَا، بَلْ زَهَدَتِ الدُّنْيَا فِيهِ، أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ قَبْلَ وَلَا يَةَ



العهد طمعاً في الخلافة»، فغضب المؤمن، ثم قال: إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنت سطواتي، فبألاه أقسم لأن قبلي ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلا ضربت عنقك، فقال الرضا عليه السلام: «قد نهاني الله عَزَّوجلَّ أن ألقى بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك، على أني لا أولي أحداً، ولا أعزل أحداً، ولا أنقض رسمًا ولا سنة، وأكون في الأمر من بعيد مشيراً»، فرضي منه بذلك، وجعلهولي عهده على كراهة منه عليه السلام لذلك<sup>(١)</sup>.

### الدليل الثاني: رد فدك إلى العلوين

أشير إلى هذا الدليل في كلام التفتازاني ضمن حديث له حول فدك حيث قال: "المذكور في كتب التواریخ... ثم لما كانت سنة عشرين ومائتين كتب المؤمن إلى عامله قثم بن جعفر: أن يرد فدك إلى أولاد فاطمة [عليها السلام]، فدفعها إلى محمد بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب [عليهم السلام]، و Mohammad بن عبد الله بن زيد بن الحسين بن زيد، ليقوما بها وأهلهما، وعد ذلك من تشيع المؤمن"<sup>(٢)</sup>. والمنقول أن رد فدك كان سنة مائتين وعشرة<sup>(٣)</sup>، يعني في عصر الإمام الجواد عليه السلام.

وهذا الدليل على تسنن المؤمن أدل منه على تشيعه، فإنه لو كان شيعياً لكان من الواجب أن يرد فدك على الإمام المعصوم عليه السلام وهو هنا الإمام الجواد عليه السلام، لأن يعطيها بعض العلوين.

(١) الأimali، الصدوق، ص ١٢٥-١٢٧.

(٢) شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، ج ٢، ص ٢٩٣، وتشبييد المطاعن لكشف الضغائن، (فارسي)، سيد محمد قلي كنتوري لکھنوي، ص ٧٤.

(٣) انظر: فتوح البلدان، البلاذري، ج ١، ص ٣٧.

ثم إنَّه لو كان ذلك دليلاً على التشيع لكان دليلاً أيضاً على تشيع عمر بن عبدالعزيز الذي ردَّ فدك إلى أبناء فاطمة عليها السلام !!

ومن العجيب ما نقل أنَّ بعض الباحثين استدلَّ على تشيع هارون الرشيد بردَّه فدك للعلويين !!<sup>(١)</sup>.

وعلى فرض ثبوت ذلك تاريخياً فإنَّ الهدف في ردَّها سياسيٌ بحت، خصوصاً أنَّ العباسيين للتو استلموا السلطة وهم أعداءُ وهم بنو أمية، ومن طرف آخر الهاشميون، وما يدلُّ على ذلك ما ورد في عرض هارون ردَّ فدك على إمامنا الكاظم عليه السلام، فقد جاء "أنَّ هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر: خذ فدكاً حتى أرَّدَها إليك، فبأبى، حتى ألحَّ عليه، فقال عليه السلام: «لا آخذها إلا بحدودها»، قال: وما حدودها؟ قال: «إنْ حددتها لم ترَدَها»؟، قال: بحقِّ جَدِّك إلا فعلت، قال: «أمَا الحُدُّ الأوَّل فعدن»، فتغيَّر وجهُ الرشيد، وقال: إيهَا، قال: «والحدُّ الثاني سمرقند»، فأربد وجهه، «والحدُّ الثالث إفريقياً»، فاسوَّد وجهه، وقال: هيئه. قال: «والرابع: سيفُ البحر ممَّا يلي الجزر وأرمينية»، قال الرشيد: فلم يبق لنا شيءٌ، فتحوَّل إلى مجلسِي، قال موسى: «قد أعلمتك أنَّني إنْ حددتها لم ترَدَها»، فعند ذلك عزم على قتله<sup>(٢)</sup>.

**الدليل الثالث: موقف هارون من الإمام الكاظم عليه السلام**  
ممَّا ذكرَ في سبب تشيع المؤمن -ولعلَّه أوَّل الأسباب التي ذكرت- هو موقف أبيه هارون من الإمام الكاظم عليه السلام في الحادثة المشهورة، والغريب أنَّ الطريقة التي

(١) حياة الإمام الرضا عليه السلام، الشيخ باقر القرشي، ج ٢، ص ٢٤٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٤٣٥.

تعامل بها الرشيد مع الكاظم عليه السلام هي نفس الطريقة التي تعامل بها المؤمن مع الرضا عليه السلام، ولكن ثبت بعد ذلك بغض الرشيد للإمام الكاظم عليه السلام، وقد سجنه سنوات طوال، ثم دس إليه السم، ولطخ يده القدرة بدم الإمام الطاهر عليه السلام.

وأنقل الحادثة بطوها لأهميتها كما وردت، وليتأملها القارئ مع المقارنة بين فعل الرشيد والمأمون مع الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام: "لما قدم هارون الرشيد على سيدنا موسى عليه السلام من المدينة إلى بغداد أمر أن لا يدخل الكوفة، وأن يعدل له إلى البصرة، ويصعد به في الدجلة إلى بغداد، ففعل به ذلك، فلما وصل إلى بغداد أمر به أن يكرمه، فأصحاب له، وفرشت له الفراشات، وحملت إليه الأطعمة والأغذية، وأسكن أبو الحسن موسى إياها، وأمر الناس بالسلام عليه، ولم يزل ثلاثة أيام تجيئه أهل الدولة بالزي، وأن يحضر الناس الدار، ووقفوا في مراتبهم، ولا يتأخر أحد قرشي ولا هاشمي، ولا عربي ولا عجمي إلا حضر الناس بالزي الحسن، والعدد، والجنس، وأقيموا صفوفاً من خارج الدار والشارع، وإلى دون السرير، وزخرفت الدار، وجلس الرشيد على السرير، وعليه البردة والتاج، والمصحف بين يديه، وأقام بنى هاشم صفين إلى طرف البساط، وأقام محمد الأمين، وعبد الله المأمون بالسرد، وسيوفهما ومناطقهما مع السرير، ووقف الوزراء والكتاب من دون بنى هاشم، ووقف من دونهم الخدم والحسن، ووقف من دونهم القواد والأمراء، الأمثل فالأمثل، واستحضر أبا الحسن موسى عليه السلام على حمار أسود يمانى، وعليه بياض، وبين يديه ثلاثة نفر من مواليه، فلما ورد الباب، خرج الأذن بأن يدخل على حماره إلى طرف البساط، وأن يشار إليه بالسلام إلى أن يصل، فدخل على هذا حتى انتهى إلى طرف البساط، فصاح هارون الرشيد

بابنیه الأمین والمأمون: تلقیا ابن عمکما، فأسرعا بجران سيفیهما حتى تلقیاه فقبلها فخذیه، وأشار هارون إلیه قبل أن يطأ البساط، فلم يفعل أبو الحسن موسی ذلك، فنزل على البساط، فلما قرب من سریره ومحمد وعبد الله بين يديه تطاول الرشید نحوه، فلما صعد السریر قام إلیه قائماً وأعتنقه، وأوسع له من موضعه، وفرح به، وأظهر سروراً بقدومه عليه، وقال: قد رأیتك شيئاً، وقد قضينا وطراً من السلام والتلاقي، ولا عليك يا ابن العم اليوم جلوس أكثر من هذا، فأظهر له أبو الحسن موسی عليه مثلما أظهر، وشكر له ونهض، فقال الرشید لابنیه يمشوا بين يديه، وأشار إلى بنی هاشم أن يمشوا بين يديه، وقدم حماره إلى طرف البساط، فركب من حيث نزل، وسار وبنی هاشم بين يديه إلى باب الدار، قال عبد الله المأمون: يا أمیر المؤمنین، من هذا الابن العم العظيم الشأن الذي ما رأیتك فعلت بأحد من العالمين فعلك به، قال الرشید: يا عبد الله هذا حجّة الله على خلقه، وإمام المسلمين، قال له عبد الله: يا أمیر المؤمنین ألسن أنت الإمام؟ قال: يا بنی نحن أئمة الملك، وهذا إمام الدين، قال له المأمون: يا أمیر المؤمنین فهل هو أفضل أو أنت؟ قال: والله يا بنی، لو قلت إنني أفضل منه تعدّت في النار، قال له المأمون: فتحبّه يا أمیر المؤمنین، وتدين الله به؟ قال: نعم، أما في الدين فنعم، وأما في الملك فلا، فكان سبب تشیع المأمون قول أبيه ما قاله في موسی، قال علي بن حمد: فلما أنساه الشیطان ذکر ربہ، وامر باعتقاله وحسبة، وفکر بماذا یقتله، فقال أخوه إبراهیم بن شکلة: يا أمیر المؤمنین، أما نفعل بموسی ما فعله جدك المنصور بأبيه جعفر..<sup>(١)</sup>.

(١) الهدایة الكبیری، الحسین بن حمدان المضبیی، ص ٢٧٠-٢٧٣.

ولا أحتاج أن أعلّق كثيراً على هذا الدليل، فإنَّ هذا المعنى من التشيع المزعوم لو ثبت للمؤمن لثبت لأبيه الرشيد بشكل أولى !! ومجّرد أن يكون المؤمن يعرف الحقَّ فإنه لا يكفي لتشييعه؛ فهذه الحادثة تدلُّ على معرفة الرشيد أيضاً بذلك، بل كلُّ الخلفاء من الخليفة الأول إلى آخر خليفة يعرفون أنَّ الحقَّ مع أهل البيت عليهم السلام، و﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤).

وقد روى الصدوق نفس الحادثة بتفاصيلٍ أكثر على لسان المؤمن نفسه، وفي أو لها قال المؤمن: "أتدرؤن من علّمني التشيع؟ فقال القوم جميعاً: لا والله ما نعلم، قال: علمنيه الرشيد قيل له: وكيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟ قال: كان يقتلهم على الملك؛ لأنَّ الملك عقيم، ولقد حججت معه سنة .. (إلى أن يقول بعد ذكر الحادثة الطويلة): فقال [الرشيد] للمؤمن: والله لو نازعني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك فإنَّ الملك عقيم".<sup>(١)</sup>

وهل سار المؤمن على غير قاعدة (أنَّ الملك عقيم) فابتداً ملكه بقتل أخيه، وشرد العلوين وحاربهم، ثم قتل الإمام عليه السلام بالسم؟!

#### الدليل الرابع: تحليله المتعة

مما ذكر كدليل لتشيع المؤمن إفتاؤه بتحليل المتعة، قوله: "ومن أنت يا جعل

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٨٤-٨٦، وهذه الرواية مما استدل بها السيد محسن الأمين على تشيع المؤمن، انظر: أعيان الشيعة، ج ٢، ص ١٥.

حتى تحرّم ما أحلَّ الله<sup>(١)</sup> في الخبر المشهور، وتحليل المتعة أصبح من مختصات الشيعة، فدلل ذلك على تشيع المؤمنون.

### الجواب:

وهذا من الأدلة الضعيفة على تشيع المؤمن، فليست هو أول من خالف عمر في المتعة، فإنه يظهر أنَّ المسألة كانت محلَّ خلاف بين العامة قبل استقرار المذاهب الأربع، وقد نقل عن مجموعة من الصحابة والتابعين ممَّن ذهب إلى حلية المتعة منهم "أسماء بنت أبي بكر، وجابر بن عبد الله، وابن مسعود، وابن عباس، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن حرث، وأبو سعيد الخدري، وسلمة، ومعبد أبناء أمية بن خلف.. ومن التابعين طاوس، وعطاء، وسعيد بن جبير، وسائر فقهاء مكة"<sup>(٢)</sup>.

وروي أنَّ " أصحاب ابن عباس من أهل مكة واليمين كلُّهم يرون المتعة حلاً على مذهب ابن عباس"<sup>(٣)</sup>.

بل روى أحمد في مسنده أنَّه "سأل رجلُ ابن عمر عن المتعة.. متعة النساء - فقال: والله ما كنَّا على عهد رسول الله زانين ولا مسافحين"<sup>(٤)</sup>.

"ومن المشهورين بإباحتها ابن جريج فقيه مكة، ولهذا قال الأوزاعي فيما رواه الحاكم في علوم الحديث: يترك من قول أهل الحجاز خمس، فذكر منها

(١) انظر: أعيان الشيعة، ج ٢، ص ١٥.

(٢) المحلى، ابن حزم، ج ٩، ص ٥٢٠-٥١٩.

(٣) جامع القرآن للقرطبي، ج ٥، ص ١٣٣، والاستذكار، ابن عبد البر، ج ٥، ص ٥٠٦.

(٤) مسنند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٩٥.

متعة النساء من قول أهل مكة<sup>(١)</sup>. وعن الشافعى: "استمتع ابن جرير بسبعين امرأة"<sup>(٢)</sup>.

وفي البخارى: عن عمران بن حصين قال: "نزلت آية المتعة في كتاب الله، ففعلناها مع رسول الله، ولم ينزل قرآن يحرمه، ولم ينه عنها حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء، قال محمد: يقال: إنه عمر"<sup>(٣)</sup>.

وهذا ليس عجياً؛ فإن متعة الحج -والتي حرّمها عمر أيضاً مع متعة النساء- هي جائزة عند أغلب المذاهب، بل عن أبي حنيفة والشافعى أفضل أنواع الحج<sup>(٤)</sup>. ولذا لا يمكن أن يكون تحليل المتعة من قبل المؤمن دليلاً على تشيعه، فإنه لو ذهب أحدُ من علماء السنة اليوم إلى تحليلها فهل يكون ذلك دليلاً على تشيعه، أقصى ما سيقال عنه أنه خالف المشهور أو الإجماع ووافق الشيعة.

وقال ابن حجر العسقلاني: "قد اختلف السلف في نكاح المتعة، قال ابن المنذر: جاء عن الأوائل الرخصة فيها، ولا أعلم اليوم أحداً يجيزها إلا بعض الرافضة"<sup>(٥)</sup>.

ثم إنَّ الرواية التي نقلت في تحليل المتعة من قبل المؤمن تدلُّ على عدم تشيعه، فقد جاء فيها أنه جاءه يحيى ابن أكثم مغتماً فسألَه المؤمن: "مالِي أراك متغيراً؟

(١) نيل الأوطار، الشوكاني، ج ٦، ص ٢٧١.

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج ٦، ص ٣٥٩-٣٦٠.

(٣) صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٥٨.

(٤) انظر، الحلى، ابن حزم، ج ٧، ص ١٠٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج ٩، ص ١٥٠.

قال: هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام، قال: وما حدث فيه؟ قال: النداء بتحليل الزنا، قال: الزنا؟ قال: نعم، المتعة زنا، قال: ومن أين قلت هذا؟ قال من كتاب الله تعالى وحديث رسول الله.. (وذكر بعض الآيات والروايات) فقال [المأمون]: أستغفر الله، نادوا بتحريم المتعة، فنادوا بها<sup>(١)</sup>.  
فكيف يمكن للشيعي أن لا يعرف حكم المتعة عند أهل البيت عليهما السلام، ويأخذ حكمها من العامة، ثم يحرّمها ثانية؟!

#### الدليل الخامس: قوله بخلق القرآن<sup>(٢)</sup>

يقول الذهبي في أحداث سنة مائتين واثني عشر: "وفيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن مع ما أظهر في العام الماضي من التشيع فاشتملت منه القلوب"<sup>(٣)</sup>.  
وهذا الدليل عجيبٌ من مثل السيد الأمين، فإنَّ مسألة خلق القرآن الكريم كانت مسألةً خلافية بين المعزلة وبين بقية السنة، وراحت فيها دماء، وكان الخلفاء يقدّمون بعض العقائد حسب ما تقتضيه المصلحة.  
وقد نقل أنَّ المأمون قد "عقد المجالس في خلافته للمناظرة في الأديان والمقالات، وكان أستاذه فيها أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف"<sup>(٤)</sup>. ومن المعروف أنَّ العلاف هو رأس المعزلة القائلين بخلق القرآن.

(١) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٦، ص١٥٠، وانظر تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج١٤، ص٢٠٣.

(٢) انظر: أعيان الشيعة، ج٢، ص١٥.

(٣) العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج١، ص٣٦١، وتاريخ الخلفاء، السيوطي، ص٣٣٤.

(٤) الأخبار الطوال، ابن قتيبة الدينوري، ص٤٠١.



ولو كان القول بخلق القرآن من علامات التشيع فهذا يعني أنَّ المعتزلة كانوا شيعة!!

وقد حكى عن الشافعي أنَّه لما سأله بعض المعتزلة بحضور الرشيد: ما تقول في القرآن؟ فقال الشافعي: إبْيَايِي تعني؟ قال: نعم. قال: "مخلوق، فرضي خصمه منه بذلك، ولم يرد الشافعي إلا نفسه"<sup>(١)</sup>، ولعلَّ في هذا النَّقل إشارة إلى أنَّ الرشيد من القائلين بخلق القرآن أيضاً.

#### الدليل السادس: أشعار المأمون

قيل بأنَّ هناك أشعار كثيرة للمأمون تدلُّ على تشيعه منها:

إذا أدنيتُ أولادَ الْوَصِي  
ونَوْرُ اللَّهِ فِي حَصْنِ أَبِي  
وَبَانَ لَكَ الرَّشِيدُ مِنَ الْغَوَى  
وَبِالْمَعْقُولِ وَالْأَثْرِ الْقَوِيِّ  
تَفْضُلُ مُلْحَدِينَ عَلَى عَلِيٍّ  
وَأَفْضَلُهُمْ سَوْى حَقِّ النَّبِيِّ<sup>(٢)</sup>

وَمِنْ غَاِوِي عَيْضُ عَلَيَّ غَيْظًا  
يَحَاوِلُ أَنَّ نَوْرَ اللَّهِ يُطْفَى  
فَقَلَّتُ أَلِيسَ قَدْ أُوتِيتَ عَلَيَّ  
وَعَرَفْتَ احْتِجَاجِي بِالْمَثَانِي  
بِأَيَّةٍ خَلَّةٍ وَبِأَيِّ مَعْنَى  
عَلَيَّ أَعْظَمُ الثَّقَلَيْنِ حَقًّا

ومنها:

وَذَلِكَ عَنِي مِنْ عَجَابِ ذَا الزَّمْنِ  
أَعَانَ رَسُولَ اللَّهِ فِي السُّرِّ وَالْعَلَىِ

أَلَامُ عَلَى حُبِّ الْوَصِيِّ أَبِي الْحَسِنِ  
خَلِيفَةُ خَيْرِ النَّاسِ وَالْأَوَّلُ الَّذِي

(١) المستطرف في كلِّ فنٍ مستطرف، الأبيشيهي، ج ١، ص ٩٠.

(٢) أعيان الشيعة، ج ٢، ص ١٦.

وكانْت على الأيَّامِ تُقصى وتمتهن  
ومن منه أولى بالتكُرُّم والمن  
وفاض عبِيدُ الله جوداً على اليمين  
زال مربوطاً بذا الشكر مرتَّهـ<sup>(١)</sup>

ولولاه ما عادت لهاشـمـ أمرة  
ولـيـ بنـيـ العـبـاسـ ماـ اـخـتـصـ غـيرـهـمـ  
فـأـوـضـحـ عـبـدـالـلـهـ بـالـبـصـرـةـ الـهـدـىـ  
وـقـسـمـ أـعـمـالـ الـخـلـافـةـ بـيـنـهـمـ فـلاـ  
وـقـوـلـهـ :

إـلـاـ بـحـبـ اـبـنـ أـبـيـ طـالـبـ  
وـالـأـخـ فـوـقـ الـخـلـلـ وـالـصـاحـبـ  
فـقـدـ فـاقـأـخـوهـ رـغـبـةـ الرـاغـبـ  
تـسـلـمـ مـنـ الـلـائـمـ وـالـعـائـبـ  
جـانـبـ مـلـتـ مـعـ الشـيـعـيـ فـيـ جـانـبـ  
خـيـرـ نـبـيـ مـنـ بـنـيـ غالـبـ  
كـمـثـلـ حـجـ لـازـمـ وـاجـبـ<sup>(٢)</sup>

لـاـ تـقـبـلـ التـوـبـةـ مـنـ تـائـبـ  
أـخـوـ رـسـوـلـ اللـهـ حـلـفـ الـهـدـىـ  
إـنـ جـمـعـاـ فـيـ الـفـضـلـ يـوـمـاـ  
فـقـدـمـ الـهـادـيـ فـيـ فـضـلـهـ  
إـنـ مـالـ ذـوـ النـصـبـ إـلـىـ  
أـكـونـ فـيـ آـلـ نـبـيـ الـهـدـىـ  
حـبـهـمـ فـرـضـ نـؤـدـيـ بـهـ

الجواب:

أولاً: على فرض ثبوت هذه الأبيات للمؤمن العباسي، فإنها لا تدل على أكثر من إظهار الحب لأهل البيت عليهم السلام، وتقديم على عليهم السلام على غيره من الصحابة، وهذا المقدار لا يصيّر الإنسان شيعياً بالمصطلح المتقدم، فمحبة أهل البيت عليهم السلام يدعها

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ابن طاووس، ص ٢٧٥، وفي الأبيات إشارة إلى سبب تولية الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد، سنلمح إليها فيما يأتي.

(٢) أعيان الشيعة، ج ٢، ص ١٦.

كُلُّ المسلمين، ومُجَرَّد تقديم على عَلِيٍّ كذلك لا يستلزم الاعتقاد بعصمته وكونه إماماً منصباً من قبل الله تعالى.

**ثانياً:** من أين نعرف أنَّ ما قاله المؤمن صادر عن صدق وعقيدة، فلازم ما صنعه مع الإمام الرضا عَلِيٌّ من توليته للعهد أن يظهر محبّتهم، وهذا جزء من سياساته، وقد تقدّم شيء منه في مناقشة الدليل الأول.

**ثالثاً:** لو كانت مثل هذه الأبيات تدلُّ على تشيع قائلها فماذا نقول في قول القائل مثلاً:

وسبطيه وفاطمة الزكيَّة  
فأيُّقْنَ آنَّه لسلقلقية  
تشاغل بالروايات الغبيَّة  
سقِيم من حديث الرافضية  
يرون الرفض حبَّ الفاطمية  
ولعنتُّه لتلك الجاهليَّة<sup>(١)</sup>

إذا في مجلس ذكرروا علياً  
فقطَّب وجهُهُ من نالَ منهم  
إذا ذكرروا علياً أو بنىَهُ  
يقول لما يصح ذروا فهذا  
برئت إلى المهيمن من أنس  
على آل الرسُول صلاةُ ربِّي

وكذلك البيتان المشهوران:

فرض من الله في القرآن أنزله  
من لم يصل عليكم لا صلاة<sup>(٢)</sup>

يا أهل بيت رسول الله حُبُّكم  
كافاكِم من عظيم القدر أنكم

(١) الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملبي، ج ٣، ص ٧٧، وذكر بعض الأبيات في مناقب آل أبي طلب، ج ١، ص ٥.

(٢) نظم درر السمحطين، محمد الزرندي الحنفي، ص ١٨.

وما رواه الذهبي عن الربيع بن سليمان: حججنا مع الشافعي، فما ارتقى  
شرفاً، ولا هبط وادياً، إلا وهو يبكي، وينشد:

واهتف بقاعد خيفنا والناهض  
فيضاً كمل تطم الفرات الفائض  
سحراً إذا فاض الحجيج إلى مني  
إن كان رفضاً حبُّ آل محمد  
فليشهد الشقلان أني رافضي

ثم يقول الذهبي: "قلت: لو كان شيعياً - وحاشاه من ذلك - لما قال: الخلفاء  
الراشدون خمسة، بدأ بالصديق، وختم بعمر بن عبد العزيز"<sup>(١)</sup>.

وما نسب إلى الشافعي من التشيع بسبب هذه الأبيات وغيرها كأنه نفس  
السبب الذي نسب فيه التشيع على المؤمن، فقد فقيل لأحمد بن حنبل في شأن  
الشافعي: "يا أبا عبد الله، كان يحيى وأبو عبيد لا يرضيانه - يشير إلى التشيع وأئمها  
نسباه إلى ذلك - فقال أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ: مَا نَدْرِي مَا يَقُولُانَّ، وَاللَّهُ مَا رَأَيْنَا مِنْهُ إِلَّا  
خِيرًا" ويعلق الذهبي: "قلت: من زعم أن الشافعي يتسيّع فهو مفتر، لا يدرى ما  
يقول"<sup>(٢)</sup>.

### الدليل السابع: تكريم مادحي أهل البيت عليهم السلام

ممّا استدلّ به السيد الأمين على تشيع المؤمن هذه الرواية المنقوله من عيون  
أخبار الرضا عليه السلام للصدوق، قال: دخل عبد الله بن مطرق بن ماهان على المؤمن  
يوماً، وعنده علي بن موسى الرضا، فقال له المؤمن ما تقول في أهل هذا البيت؟

(١) سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٥٨.

(٢) نفس المصدر.

فقال عبد الله: ما أقول في طينة عجنت بباء الرسالة، وغرست بباء الوحي، هل ينفع منها إلا مسك الهدى، وعنبر التقى، فدعا المؤمنون بحقة فيها لؤلؤ فحشا فاه<sup>(١)</sup>.

وهذا مجرد تكثير للأدلة، وفيما سبق ويأتي يتضح الجواب.

#### الدليل الثامن: انتقاص معاوية والبراءة منه

استدلّ القائلون بتشييع المؤمنون إلى أنه أمر بسب معاوية وانتقاده في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فقد أمر أن ينادي المنادي سنة مائتين وأحد عشر أو اثنين عشر هجرية أن: "برئت الذمة من ذكر معاوية بخير أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله عليه السلام"<sup>(٢)</sup>.

ويحتج على ذلك، بأنّ معاوية الأموي لم تكن له تلك المكانة عند المسلمين في ذلك الوقت، خصوصاً في دولة بين العباس، وهو المعروف بعدائِه للإسلام ولم يسلِّم إلا عام الفتح نفاقاً، وامتناعه عن مبايعة خليفة المسلمين آنذاك أمير المؤمنين عليه السلام، بل ومحاربته له. ومعاوية زعيم الفئة الباغية حتى أنه ورد عن عبد الله بن عمر أنه قال: "ما آسى على شيء إلا أنني لم أقاتل مع عليٍّ الفئة الباغية"<sup>(٣)</sup>.

ولا يقاس الأمر بما هو موجود الآن عند عامة المسلمين من تعظيم معاوية باعتباره صحيحاً، بل حتى يومنا هذا لم يستطع بعض المنصفين الدفاع عن معاوية

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق، ج ٢، ص ١٥٥، وعنه في أعيان الشيعة، ج ٢، ص ١٦.

(٢) تاريخ الطبرى، ج ٧، ص ١٨٧، ومروج الذهب، المسعودي، ج ٣، ص ٤٥٤، وتاريخ الإسلام، الذهبي، ج ١٥، ص ٦.

(٣) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٣، ص ١١١٧.

فتبرؤوا منه وذمّوه، ولم يذهب أحدٌ إلى القول بأنَّ هذا دليل على التشيع، نعم، عند الوهابية والنواصِب يعتبر تنقيص معاوِيَة ليس فقط دليلاً على التشيع، بل دليلاً على الكفر والشرك!! والمرجع لله . وعلى فرض دلالته على التشيع فهو غير التشيع محل النزاع كما تقدَّم.

### الدليل التاسع: تفضيله علياً على جميع الخلفاء

من أهمُّ الأدلة التي استدلَّ بها على تشيع المأمون هي تفضيله علياً على بقية الصحابة، وأنَّه عليه السلام خيرُ الناس بعد رسول الله عليه السلام، ومن المعلوم أنَّ هذا من مسلَّمات الشيعة، بل من أهمِّ عقائدها في الإمامة، فإذا ثبت ذلك للمأمون فقد ثبت تشيعه.

ونحن لا ننكر أنَّ هناك روايات ونقوّلات متعددة تدلُّ على ما ذكر، بل ورد في أكثر من مصدر في أحوال سنة مائة واثني عشر للهجرة "فيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن، مضافاً إلى تفضيل علي على أبي بكر وعمر، فاشتملت التفوس منه"<sup>(١)</sup>، فالأمر ليس مجرد رأي للمأمون، بل أراد أن ينشر ذلك بين المسلمين.

### ولكن نقول في الجواب:

أولاً: أنَّ تفضيل علي عليه السلام على جميع الصحابة هو نوع من أنواع التشيع الأقرب إلى المعنى اللغوي كما تقدَّم، وليس هو المعنى المصطلح المختلف فيه.

ثانياً: المسألة لها جانبٌ سياسيٌ واضح، وقد تكرَّر القول مرتَّاً في ذلك،

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ١٥، ج ٨. وتاريخ الخلفاء، السيوطي، ص ٣٣٤

وعلى عَلِيٍّ أقرب إلى المأمون نسبياً من بقية الخلفاء، فالمأمون من بنى هاشم، وتقديم على عَلِيٍّ فيه فضيلة للمأمون، ولا أعتقد أنَّ خلفاء بنى العباس -مع أنَّهم كانوا على المذهب السني - يعتقدون في الصحابة ما يعتقدون إلا من باب السياسة والمصلحة، خصوصاً فيما يتعلق بعثمان ومعاوية؛ حيث إنَّ الدولة العباسية إنما شُيِّدت تحت أنقاض الدولة الأموية، وهي عدوة لها.

ثالثاً: مسألة تفضيل الخلفاء الثلاثة على عَلِيٍّ -كما هو المعروف اليوم- لم تكن بذلك الوضوح عند أهل السنة في ذلك العصر، بل فيها اختلاف، خصوصاً في التفضيل بين عَلِيٍّ وعثمان.

ينقل ابن عبد البر عن أحد العامة في بيان هذه المسألة: "وقف جماعة من أئمة أهل السنة والسلف في عَلِيٍّ وعثمان فلم يفضلوا أحداً منهما على صاحبه، منهم مالك بن أنس، ويحيى بن سعيد القَطَان، وأمَّا اختلاف السلف في تفضيل عَلِيٍّ، فقد ذكر ابن أبي خيثمة في كتابه من ذلك ما فيه كفاية، وأهُلُّ السُّنْتَ الْيَوْمَ على ما ذكرت لك من تقديم أبي بكر في الفضل على عمر، وتقدير عمر على عثمان، وتقدير عثمان على عَلِيٍّ، وعلى هذا عامَّة أهل الحديث من زمانِ أحمد بن حنبل إلَّا خواصَّ من جَلَّ الفقهاء وأئمَّة العلماء، فإنَّهم على ما ذكرنا عن مالك ويحيى القَطَان، وابن معين، فهذا ما بين أهل الفقه والحديث في هذه المسألة، وهم أهل السنة، وأمَّا اختلاف سائر المسلمين في ذلك فيطول ذكره، وقد جمعه قوم، وقد كان بنو أمية ينالون منه، وينقصونه، فما زاده الله بذلك إلَّا سُمِّوا وعلُّوا ومحَّة عند العلماء<sup>(١)</sup>. إذاً هذا الترتيب في التفضيل بدأ في زمن ابن حنبل، وخالقه بعض

(١) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٣، ص ١١١٨.

علمائهم. نعم قد يكون تقديم أبي بكر وعمر على علي عليهما السلام هو المشهور عندهم حتى قبل عصر ابن حنبل، وإليه يشير النص المتقدم "مضافاً إلى تفضيل علي على أبي بكر وعمر، فاشمأرت النفوس منه". والمهم هو الجواب الأول والثاني.

#### الدليل العاشر: احتجاجه على العلماء في تفضيل علي عليهما السلام<sup>(١)</sup>

من أهم الأدلة على تشيع المؤمنون، هو القول بأنَّ المؤمن لم يكن فقط يفضل علياً عليهما السلام على الصحابة، بل كان يعقد المناظرات والمؤتمرات العلمية لإثبات ذلك بين المسلمين بالدليل والبرهان، ومن الواضح أنَّ هذا سيؤثر في عقيدة المسلمين في الصحابة، ومن ينظر الأدلة التي ذكرها المؤمنون في ذلك لما شاك في أنه من الشيعة الموالين لأمير المؤمنين عليهما السلام.

الجواب: وأكتفي في الجواب -بالإضافة إلى ما تقدم- بما رواه الصدوق عن الإمام الرضا عليهما السلام، حيث إنَّ الصدوق في كتاب العيون عقد باباً بعنوان "باب ذكر ما يتقارب به المؤمن إلى الرضا عليهما السلام من مجادلة المخالفين في الإمامة والتفضيل"، وذكر فيه حديثين، الثاني منها هو المناظرة الطويلة بين المؤمن وبين علماء العامة وإفهامهم في تفضيل أمير المؤمنين عليهما السلام، وهذا الحديث هو الذي أُحتجَ به على تشيع المؤمنون، وأماماً الحديث الأول -والذي فيه الجواب الواضح- فهو عن إسحاق بن حماد قال: كان المؤمن يعقد مجالس النظر، ويجمع المخالفين لأهل البيت عليهما السلام ويكلِّمهم في إمامية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام، وتفضيله على جميع الصحابة؛ تقرباً إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام، وكان

(١) انظر: أعيان الشيعة، ج ٢، ص ١٥.

الرضاع<sup>عليه السلام</sup> يقول لأصحابه الذين يشق بهم: «ولا تغتروا منه بقوله، فما يقتلني والله غيره، ولكنه لا بدّ لي من الصبر حتى يبلغ الكتاب أجله»<sup>(١)</sup>.

#### المبحث الرابع: أدلة تسنن المأمون

إنَّ ما مرَّ من مناقشةٍ لأدلة القائلينَ بتشييع المأمون تكفي لأنَّه من أهل السنة، فإنَّه لا يوجد احتمال ثالثٌ هنا، ولكن يمكن ذكر أدلة أخرى على تسنُّن المأمون، نذكرها باختصار وإيجاز:

**أولاً:** من الأدلة على ذلك نفس فكرة ولادة العهد، فإنَّها تعني أنَّ الاختيار لل الخليفة إنَّما هو بالانتخاب أو بتعيين الخليفة السابق، وهذه نظرية السنة في الإمامة، كما أنَّ ولِيَ العهد يعتبرُ تابعاً لل الخليفة ومؤتمراً بأمره، فكيف يكون هو الإمام الواجب الطاعة؟!!

**ثانياً:** مقتضى التشيع أن يتنازل المأمون عن الخلافة فلا يستحقها سواء قبلها الإمام الرضاع<sup>عليه السلام</sup> أم لم يقبلها، ولا يتسمى بأمير المؤمنين؛ حيث إنَّه من خواص ألقاب علي<sup>عليه السلام</sup>، ولما كان الإمام<sup>عليه السلام</sup> يضطر لمخاطبة المأمون في بعض الأحيان بهذا اللقب<sup>(٢)</sup>، لأنَّه لا معنى لذلك إلا التقية.

**ثالثاً:** مقتضى التشيع أن يتبرأ المأمون من آبائه الذين ظلموا أهل البيت<sup>عليهم السلام</sup>، سيما أبا هارون الرشيد، كما فعل معاوية بن يزيد بن معاوية حينما تبرأ من أبيه وجده.

(١) عيون أخبار الرضاع<sup>عليه السلام</sup>، ج ٢، الباب ٤٥، ص ١٩٩، ولمزيد من البحث في الأدلة على تشيع المأمون والمواب عليها راجع كتاب حياة الإمام الرضاع<sup>عليه السلام</sup>، الشيخ باقر القرشي، الجزء الثاني، فقد تعرَّض لها مفصلاً، وكذلك موسوعة المصطفى والعترة، الحاج حسين الشاكري، ج ١٢، ص ٢٩٤ فما بعد.

(٢) انظر: الكافي، الكليني، ج ١، ص ٤٨٩.

رابعاً: ما نقله السيد جعفر العاملي عن كتاب المحسن والمساوئ للبيهقي أنه عندما عرضت على المؤمن سيرة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلى عليهما السلام يأبى أن يأخذ بها جميعاً، لأنَّه كان يجد في آخر كُلِّ منها: أَتَهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ الْأَمْوَالَ مِنْ وُجُوهِهَا، وَيَضْعُونَهَا فِي حُقُوقِهَا، لَكِنَّهُ قَبْلَ سِيرَةِ معاوية، الَّذِي أَرَادَ الإِعْلَانَ بِبراءَةِ الْذَمَّةِ مَنْ يَذْكُرُهُ بِخَيْرٍ، لَأَنَّ فِي آخِرِهَا يَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ الْأَمْوَالَ مِنْ وُجُوهِهَا، وَيَضْعُهَا كَيْفَ شَاءَ...، وَقَالَ الْمُؤْمِنُ حِيثُنِدٌ: إِنَّ كَانَ فَهْذَا".<sup>(١)</sup>

خامساً: المحظيين بالمؤمن والتقلدين للمناصب كانوا من السنة وعلى رأسهم قاضي القضاة يحيى بن أكثم، وبقي في منصبه حتى زمان الإمام الجواد عليه السلام كما هو في المناظرة المشهورة بينه وبين الإمام علي عليهما السلام.

وما نقل عن بعض العامة من تشيع جعفر البرمكي والفضل بن السهل والمأمون.. كان في أول أمره في حجر ( Georgetown University)، ثم انتقل إلى (الفضل بن سهل)، وكلاهما يضم التشيع، فاختارت عنده هذه الفكرة (أي فكرة التشيع وتفضيل علي عليه السلام على الصحابة) على غير ما كان عليه آباؤه - ولهذا كان المؤمن يعامل الطالبيين معاملة تناسب اعتقاده في فضل أبيهم، وظلَّ على عقيدته هذه إلى آخر حياته<sup>(٢)</sup>. مما يعني أنَّ هناك شيعة وهم مسؤولون كبار في الدولة، يردُّ ما نقل عن حقيقة ذلك خصوصاً الفضل بن سهل، يقول الصدوق

(١) الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، السيد مرتضى العاملي، ص ١٨١، نقاً عن المحسن والمساوئ للبيهقي، ص ٢٩٥، وكتاب البيهقي موجود لدينا بصيغة (pdf)، ولكن لم أظفر بالموضع المذكور قصوراً، ولعله نقل بالمعنى.

(٢) الإمام وأهل البيت، محمد بيومي مهران، ج ٣، ص، نقله عن محمد مصطفى هدارة: المؤمن - الخليفة العالم - ص ٧٠ - ٧١ (أعلام العرب رقم ٩٥).

"وأنَّ الفضل بن سهل لم يزل معادياً ومحضاً له (أي للإمام عَلِيهِ السَّلَامُ)، وكارهاً لأمره؛ لأنَّه كان من صنائع آل برمك".<sup>(١)</sup>

سادساً: ما تقدَّم نقله عن الذهبي في قوله "أمر المؤمن بأن ينادي: برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير أو فضله على أحد من الصحابة، وإنَّ أفضل الخلق بعد رسول الله وعلي بن أبي طالب، وكان المؤمن يبالغ في التشيع، ولكن لم يتكلَّم في الشيفيين بسوء، بل كان يتربصُ بهما، ويعتقد إمامتهما".<sup>(٢)</sup>

وهذا النُّصُّ أدلُّ دليلاً على أنَّ وصفَ المؤمن بأنه يبالغ في التشيع مع اعتقاده بإمامنة الشيفيين ليس على وفق الاصطلاح في التشيع، فإنَّه لا يوجد شيعيٌّ يعتقد بصحة إمامنة الشيفيين.

سابعاً: ما ذكره بعض الباحثين من أنَّ ما صنعه المؤمن العباسى، وما رفعه من شعارات كلبس الخضراء شعار أهل البيت عَلِيهِ السَّلَامُ، بدل السواد الذى هو شعار العباسين، وغيرها من الشعارات كانت وقتية ومرحلية، ولم تكن حقيقة، والدليل إلغاؤها بعد ذلك.<sup>(٣)</sup>

وفي الجانب الاعتقادي كذلك، فقد قال المؤمن لحاجبه يوماً: انظر من بالباب من أصحاب الكلام؟ فخرج وعاد إليه فقال: بالباب أبو الهذيل العلاف، وهو معتزلي، وعبد الله بن إباض الإباضي، وهشام بن الكلبى الرافضي. فقال

(١) عيون أخبار الرضا عَلِيهِ السَّلَامُ، ج ٢، ص ١٧٧.

(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ١٥، ص ٦.

(٣) انظر: موسوعة المصطفى والعترة، الحاج حسين الشاكرى، ج ١٢، ص ٢٩٦.

المأمون: ما بقي من أعلام أهل جهنم أحد إلا وقد حضر<sup>(١)</sup>.

ثامناً: الطريق الذي اختاره المأمون العباسي للإمام الرضا عليه السلام حين إشخاصه إلى خراسان يدل على عقيدته؛ فإنه أمر بأن لا يسلك بالإمام عليه السلام على المدن الشيعية كالكوفة وقم، بل سلكوا طريق البصرة والأهواز وفارس<sup>(٢)</sup>، فلو كان المأمون شيعياً لأحب أن يلاقي الإمام عليه السلام شيعته في الطريق، ولكن كأنه خشي من التحاق الشيعة بإمامهم عليه السلام.

وما يدل على ذلك أيضاً قضية صلاة العيد التي ألح المأمون فيها على الإمام عليه السلام، وكان الإمام يقول: «إن أغفيتني من ذلك فهو أحب إلىي، وإن لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول الله عليه السلام، وكما خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال المأمون: اخرج كما تحب، وأمر المأمون القواد والناس أن يبكرروا إلى باب أبي الحسن عليه السلام فقعد الناس لأبي الحسن عليه السلام في الطرقات والسطوح من الرجال والنساء والصبيان واجتمع القواد على باب الرضا.. ولم يتمالك الناس من البكاء والضجيج، وكان أبو الحسن عليه السلام يمشي ويقف في كل عشر خطوات وقفه، فكبر الله أربع مرات، فتخيل إلينا أن النساء والأرض والحيطان تجاوبه، وبلغ المأمون ذلك، فقال له الفضل بن سهل ذو الرياستين: يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس، فالرأي أن تسأله أن يرجع، فبعث إليه المأمون، فسأله الرجوع، فدعا أبو الحسن عليه السلام بخفة فلبسه ورجع»<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ٤، ص ١٣٩.

(٢) الكافي، الكليني، ج ١، ص ٤٨٩.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٤٨٩، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٦١-١٦٢.

تاسعاً: بعض ما نقل عن المؤمنون مما يدل على حقيقة عقيدته في الإمامة:  
 منها: ما نقل عن التغلبي -وكان معاصرأ له- قال المؤمنون: "وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا  
 يحوز تفضيل على إِلَّا بانتقاده غيره من السلف، وَاللهُ مَا اسْتَجِيزُ أَنْ انتَقِصَ  
 الْحَجَاجُ بْنُ يَوسُفَ، فَكَيْفَ بِالسَّلْفِ الطَّيِّبِ" <sup>(١)</sup>.  
 ومنها: ما روي عنه من الشعر في قوله:

ولست منه الغداة معتذرا	أصبح ديني الذي أدين به
أشتم صديقنا ولا عمرا	حب علي بعد النبي ولا
ذاك القتي ل م صطبرا	وابن عفان في الجنان مع الأبرار
ولا طحة إن قال قائل غدرا	لا لا أشتتم الـزـبـير
من يفترها فنحن منه بـرا	وعائش الأم لـسـتـ أـشـتـمـها

ومنها: ما رواه أبو الفرج الأصفهاني من رسالة المؤمن إلى عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث كان عبد الله توارى في أيام المؤمن، فكتب إليه بعد وفاة الرضا يدعوه إلى الظهور ليجعله مكانه ويبايع له، واعتذر عليه بعفوه عن عما من أهله، وما أشبه هذا من القول: فأجابه عبد الله برسالة طويلة يقول فيها: "فبأي شيء تغرنني؟ ما فعلته بأبي الحسن -صلوات الله عليه- بالعنب الذي أطعنته إياه فقتلته.. هبني لا ثأر لي عندك وعندي آبائك

(١) الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، ص ١٩٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٣٣، ص ٢٨٧، وتاريخ الإسلام، الذهبي، ج ١٥، ص ٢٣٨، والغريب أن الذهبي قال قبل روایته للأبيات: "وكان المؤمنون معروفاً بالتشيع، فروى أبو داود المصافي.." ، ثم أتى بالأبيات.

المستحلين لدمائنا الآخذين حقّنا، الذين جاهروا في أمرنا فحدّرناهم، و كنت أطف حيلة منهم بما استعملته من الرضى بنا، والتّستر لمحينا، تختل واحدا فواحدا منا" ، وينقل بسند آخر أيضاً أنه كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى وهو متواتر منه يعطيه الأمان، ويضمن له أن يوليه العهد بعده، كما فعل بعلي بن موسى ويقول: "ما ظننتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ يَخْافِنِي بَعْدَ مَا عَمِلْتَهُ بِالرِّضَا" <sup>(١)</sup>، وبعث الكتاب إليه. فكتب إليه عبد الله بن موسى: "وصل كتابك وفهمته، تختلني فيه عن نفسي ختل القانص، وتحتال علي حيلة المغتال القاصد لسفك دمي، وعجبت من بذلك العهد، وولايته لي بعده، كأنك تظنّ أَنَّه لَمْ يَبْلُغْنِي مَا فَعَلْتَهُ بِالرِّضَا، فَفِي أَيِّ شَيْءٍ ظَنَنتُ أَنِّي أَرْغَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ أَفِي الْمَلْكِ الَّذِي قَدْ غَرَّتْكَ نَصْرَتَهُ وَحْلَوْتَهُ؟ فَوَاللهِ لَأَنْ أَقْذَفَ وَأَنَا حَيٌّ فِي نَارٍ تَتَاجِعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنَّ أَلِي أَمْرًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ أَشْرَبْ شَرْبَةً مِنْ غَيْرِ حَلَّهَا مَعَ عَطْشٍ شَدِيدٍ قاتِلٍ، أَمْ فِي الْعَنْبِ الْمَسْمُومِ الَّذِي قُتِلَتْ بِهِ الرِّضَا؟" <sup>(٢)</sup>.

فالمأمون لم يكن يعتقد بأن الإمامة اختيار من الله تعالى، بل هي بيد الناس.

ومنها: ما نقل على لسان المأمون في سبب تولية الإمام عليه السلام لولاية العهد، وأنَّ الأمر لم يكن عن عقيدة شيعية، فقد نقل عنه قوله حينما قالت له امرأة من أهل بيته: "إِنَّكَ عَلَى بَرٍّ أَوْلَادَ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْأَمْرُ فِيكَ أَقْدَرْ مِنْكَ عَلَى بَرْهَمٍ وَالْأَمْرُ فِيهِمْ".

فقال: إِنَّمَا فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ لَأَنَّ أَبَا بَكْرَ لَمَّا وَلَيْ وَلَمْ يَوْلُّ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ

(١) قول المأمون هذا يكشف أحد أهدافه من تولية الإمام الرضا عليه السلام للعهد.

(٢) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، ص ٤١٥-٤١٦.

شيئاً، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان كذلك، ثمَّ ولني عليٌّ، فولى عبد الله بن عباس البصرة، وعبد الله اليمن، ومعبدًا مكَّةً، وقشم البحرين، وما ترك أحداً منهم حتى وَلَاه شيئاً، فكانت هذه مَنَّةً في أعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت<sup>(١)</sup>.

فهذا السبب وإن كان مجرَّد تبرير وليس هو السبب الحقيقي، ولكنه يدلُّ على عدم اعتقاد المؤمن بعقيدة الشيعة في الإمامة الإلهية.

ومنها: ما نقله أبو الفرج الأصفهاني من أنَّ المؤمن كان "أشدُّ النَّاسِ حَبَّاً لِأَبِي عيسى أخيه، كان يعذَّه للأمر بعده، وتذاكراً ذلك كثيراً، وسمعته يقول يوماً: إنَّه ليُسْهِلَ على أمر الموت وقد الملك، وما يسهل شيء منها على أحد، وذلك لمحبتي أن يلي أبو عيسى الأمر من بعدي لشدة حبي إياه، كان يحبُّ صيد الخنازير فوق عن دابته، وكان ذلك سبب موته"<sup>(٢)</sup>.

### الخاتمة والنتيجة:

يجدر بالباحث أن يتفحَّص جيداً في حقيقة المؤمن وفي سياساته، وينبغي البحث عميقاً في التاريخ وتحليله تحليلًا صحيحاً، فإنَّ الخطأ في نسبة شخصٍ ما إلى التشيع قد لا يكون له الأثر السيء، إلا أنَّ ذلك في المؤمن له الأثر الكبير على المذهب، وبالنظر إلى بعض التصوص نعرف خطر هذا الرجل على الدين والإسلام، نذكر منها في هذه الخاتمة بعض العناوين:

(١) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ص ٣٣٣-٣٣٤.

(٢) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج ١٠، ص ٣٧٢.

## الأول: كراهة الإمام الرضا عليه الشديدة لولاية العهد

عن الهروي قال: "والله ما دخل الرضا عليه في هذا الأمر طائعاً، وقد حمل إلى الكوفة مكرهاً، ثم أشخاص منها على طريق البصرة وفارس إلى مرو"<sup>(١)</sup>.

وعن ياسر الخادم، قال: "لما ولّي الرضا عليه العهد سمعته وقد رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم إِنَّكْ تعلم أَنِّي مكره مضطّر، فَلَا تؤاخذنِي كَمَا لَمْ تؤاخذْ عَبْدَكَ وَنَبِيكَ يُوسُفَ حِينَ وَقَعَ إِلَى وَلَايَةِ مَصْر»"<sup>(٢)</sup>، وعنـه أـيـضاـ: "كان الرضا عليه إذا رجـعـ يوم الجمعة من الجامـعـ، وقد أـصـابـهـ العـرـقـ وـالـغـبـارـ رـفـعـ يـدـيهـ، وـقـالـ: «الـلـهـمـ إـنـ كـانـ فـرجـيـ مـاـ أـنـاـ فـيـ بـالـمـوـتـ، فـعـجـلـ لـيـ السـاعـةـ» وـلـمـ يـزـلـ مـعـمـومـاـ مـكـرـوـبـاـ إـلـىـ أـنـ قـبـضـ عـلـيـهـ»"<sup>(٣)</sup>.

عن الريان قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه فقلت له: يا ابن رسول الله، إن الناس يقولون إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الرزد في الدنيا؟ فقال عليه: «قد علم الله كراحتي لذلك، فلما حُيرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل، ويخهم أاما علموا أن يوسف عليه كاننبياً رسولاً، فلما دفعته الضرورة إلى توقي خزانة العزيز قال له: «اجعلني على خزانة الأرض إني حفيظ علیم» (يوسف: ٥٥)، ودفعته الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك، على أي ما دخلت في هذا الأمر إلا دخول خارج منه، فإلى الله المشتكى، وهو المستعان»<sup>(٤)</sup>.

(١) عيون أخبار الرضا عليه، ج ٢، ص ١٥٢.

(٢) الأimalي، الصدوق، ص ٧٥٧.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه، ج ٢، ص ١٨.

(٤) عيون أخبار الرضا، الصدوق، ج ٢، ص ١٥٠-١٥١.

وعن محمد بن عرفة قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟ فقال: «ما حمل جدي أمير المؤمنين عليه السلام على الدخول في الشورى»<sup>(١)</sup>.

وفي الخبر الأخير ما يدل على أنَّ الأمر كان واضحاً عند البعض بأنَّ ولاية العهد من قبل المؤمنون لم تكن لأجل الدين والتشيع، ولذلك كانت مورداً للتساؤل في سبب قبول الإمام علي عليه السلام ولاية العهد.

### الثاني: حقيقة المؤمن على لسان عبد الله بن موسى

تقدَّم بعض الكلام في رسالة عبد الله بن موسى للمؤمنون حينما منَاه بولاية العهد بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام، وقد جاء فيها رسالته:

”واعلم أني رجل طالب التَّجَاهَةِ لِنفسي، واجتهدت فيما يرضي الله عَنِّي، وفي عملِ أتقربُ به إِلَيْهِ، فلم أجده رأياً يهدي إِلَى شيءٍ من ذلك، فرجعت إِلَى القرآن الذي فيه الهدى والشفاء، فتصفحَتْه سورةً سورةً، وآيةً آيةً، فلم أجده شيئاً أَزْلَفَ لِلمرءِ عِنْدَ رَبِّهِ عَنِّيَّةَ الشهادةِ فِي طلبِ مرضاتهِ، ثُمَّ تَبَعَّتْهُ ثانيةً أَتَأْمَلُ الجَهَادَ أَيْهُ أَفْضَلُ، وَلَا يَكُونُ صَنْفَهُ فوجدهُ عَلَيْهِ يَقُولُ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ وَلَا يَجِدُوا فِيْكُمْ غُلْظَةً﴾ (التوبه: ١٢٣)، فطلبتْ أَيَّ الْكُفَّارِ أَضَرَّ عَلَى الإِسْلَامِ، وأقربَ مِنْ مَوْضِعيِّي، فلم أجده أَضَرَّ عَلَى الإِسْلَامِ مِنْكَ، لَأَنَّ الْكُفَّارَ أَظْهَرُوا كُفَّارَهُمْ، فاستبصرَ النَّاسُ فِي أَمْرِهِمْ، وعْرَفُوهُمْ فخافُوهُمْ، وَأَنْتَ خَتَلتَ الْمُسْلِمِينَ بِالإِسْلَامِ، وَأَسْرَتَ الْكُفَّارَ، فُقْتَلَتْ بِالظَّنَّةِ، وَعَاقَبَتْ بِالْتَّهَمَةِ، وَأَخْذَتِ الْمَالَ مِنْ غَيْرِ

(١) بحار الأنوار، العلامة الجلبي، ج ٤٩، ص ١٤٠.

حَلَّهُ فَأَنْفَقْتَهُ فِي غَيْرِ مَحْلِهِ، وَشَرَبْتَ الْخَمْرَ الْمُحَرَّمَةَ صَرَاحًاً، وَأَنْفَقْتَ مَالَ اللَّهِ عَلَى  
الْمَلَهِينَ، وَأَعْطَيْتَهُ الْمَغْنِينَ، وَمَنْعَتَهُ مِنْ حَقُوقِ الْمُسْلِمِينَ، فَغَشِّشْتَ بِالْإِسْلَامِ،  
وَأَحْطَتْ بِأَقْطَارِهِ إِحَاطَةَ أَهْلِهِ، وَحَكَمْتَ فِيهِ لِلْمُشْرِكِ، وَخَالَفْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي  
ذَلِكَ خِلَافَةِ الْمُضَادِ الْمُعَانِدِ، فَإِنْ يَسْعَدْنِي الدَّهْرُ، وَيَعِينْنِي اللَّهُ عَلَيْكَ بِأَنْصَارِ الْحَقِّ،  
أَبْذَلْ نَفْسِي فِي جَهَادِكَ بِذَلِلٍ يَرْضِيهِ مِنِي ..<sup>(١)</sup>.

### الثالث: رواية هرثمة في قصة قتل الإمام عَلِيٌّ

عن هرثمة ابن أعين في رواية طويلة جداً يذكر فيها ما أخبره به الإمام عَلِيٌّ من  
أنَّه «قد عزم هذا الطاغي على سمي في عنب ورمان مفروك»، وكيفية دفنه، إلى أن  
يدفن الإمام عَلِيٌّ فيلتفت المأمون إلى هرثمة يسأله عنها أخبره به الإمام عَلِيٌّ فيقول  
له: «يا هرثمة هل أسرَ إلينك شيئاً غير هذا؟ قلت: نعم، قال: ما هو؟ قلت: خبر  
العنب والرمان، قال: فأقبل المأمون يتلوَّنَ ألواناً يصفُّ مَرَّةً ويحْمَرُ أخرى،  
ويسُوَّدُ أخرى، ثمَّ تَمَدَّدَ مغشياً عليه، فسمعته في غشيته وهو يجهر ويقول: ويل  
للمأمون من الله، ويل له من رسول الله عَلِيٌّ، وويل له من علي بن أبي طالب عَلِيٌّ،  
ويل للمأمون من فاطمة الزهراء عَلِيٌّ، ويل للمأمون من الحسن والحسين، ويل  
للمأمون من علي بن الحسين، ويل للمأمون من محمد بن علي، ويل للمأمون من  
جعفر بن محمد، ويل له من موسى بن جعفر، ويل للمأمون من علي بن موسى  
الرضا عَلِيٌّ، هذا والله هو الخسран المبين، يقول هذا القول ويكررها، فلما رأيته قد  
أطال ذلك وليت عنه، وجلست في بعض نواحي الدار، قال: فجلس ودعاني،  
فدخلت عليه وهو جالس كالسکران، فقال: والله ما أنت عليَّ أعزُّ منه، ولا جميع

(١) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، ص ٤١٧.

من في الأرض والسماء، والله لئن بلغني إنك أعدت مما رأيت وسمعت شيئاً ليكون هلاكاً فيه<sup>(١)</sup>.

وقد وصف المؤمن في الحديث القدسي الطويل الذي يرويه الكافي والصدوق بـ «عفريت مستكبر»<sup>(٢)</sup>.

\* ويمكن أن نستنتج من كُلّ ما تقدمَ كثيراً من التائج المهمَّة، وفي بعضها بعض العبر التي ينبغي للفاحص في التاريخ أن يلتفت إليها، نذكر منها:

١- أنَّ دعوى تشيع المؤمن التي ذهب إليها مجموعة من العلماء لم تستند إلى أدلة قطعية وواضحة، وأنَّها على فرض ثبوتها فإنَّها معارضة بأدلة أخرى أكثر وضوحاً على أنَّ المؤمن العباسي كان سنياً على نهج آبائه العباسين، وهذه الأدلة مقدمة وهي متوافقة مع طبيعة الحكم والسلطة، بل الواقع المنقول.

٢- أنَّ المؤمن العباسي كان يُظهر بلا شكًّ نحوَ من أنحاء التعاطف مع أهل البيت عليه السلام، ولكن ذلك لم يكن تشيعاً بالمعنى المصطلح، بل كان من التشيع الأقرب إلى المعنى اللغوي كما تقدمَ، وأنَّه لم يكن - حتى على هذا المستوى من التشيع - صادقاً ونابعاً عن عقيدة.

٣- استطاع المؤمن بواسطة ألاعيبه السياسية أن يُظهر أنَّه محباً لأهل البيت، حتى اغترَ بذلك بعض المعاصرين له من العامة والخاصة، بل وحتى المتأخرون الذين ذهبوا إلى تشيعه، ولكن كُلّ ذلك كان الهدف منه هو الحفاظ على السلطة العقيمة.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٧٥-٢٧٩.

(٢) الكافي، الكليني، ج ١، ص ٥٢٨، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٥٠.

٤- ذكر الشيخ القرشي رحمه الله وجهاً لإظهار المأمون التشيع بأنه "لعل" من جملة الأسباب التي حفّزت المأمون إلى تظاهره بالتشيّع، هو كشف الشيعة، ومعرفة السلطة بأسمائهم وأماكنهم بعد ما كانوا خلايا تحت الخفاء، فقد عجزت الحكومات العباسية السابقة على حكمة المأمون عن معرفتهم<sup>(١)</sup>.

نكتفي بهذا المقدار، ونسأل الله تعالى التوفيق السداد، والحمد لله رب العالمين، وصلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْمَعْصُومِينَ المتوجبين.

(١) حياة الإمام الرضا رض، ج ٢، ص ٢٨٠.



لَهُ عَلِيٌّ عَمُو لِضَالِّ ضَالِّ

# شهر رمضان شهر تجدد الحياة المعنوية للأمة

الشيخ مجید عبد الرّسول السهلاوي

## المأْخُوص:

تطرق الكاتب في هذه المقالة إلى أهمية شهر رمضان، وأكّد على ضرورة استثماره، من خلال استعداد العبد للضيافة الإلهية، وذلك بتجنب المعاصي، والالتزام بالأوامر والأداب الإلهية، واغتنام الفيوضات الإلهية، مع إشارة إلى أفضل الأعمال في الشهر، وأشار إلى أثر الشهر الفضيل في حياة المجتمع، كل ذلك استناداً منه إلى خطبة النبي ﷺ وروایات المعصومين علیهم السلام.

بسم الله الرحمن الرحيم، وأفضل الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين  
أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم  
الرّجس وطهّرُهُمْ تطهيرًا.

### مقدمة:

من المنظور الإسلامي تكمن فلسفة خلق الإنسان والغاية من وجوده هو بلوغ أقصى الكمال اللائق به. وقد درج القرآن الكريم على التعبير عن هذه الغاية بالوسيلة الموصلة إليها كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا حَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون﴾ (الذاريات: ٥٦) فإن العبادة المقصودة في هذه الآية هي الأعم من العبادة الاصطلاحية العرفية ومن تلك العبادة التي تقع وصفاً لكل حركات وسكنات الإنسان المؤمن وتشكل نمطاً وكيفية حياة توصل إلى الغاية الأصلية التي من أجلها خلق الله الإنسان وهي الكمال المناسب ليكون هذا الإنسان مستحقاً لمقام الخلافة الإلهية ويكون لائقاً بمقام الولاية على كل حبة تراب ونسمة هواء في هذا العالم، كذلك كل الأغراض التي ذكرها الله في قرآن وجعلها علة بث الأنبياء والرسل كإقامة القسط بين الناس كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْبِنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ هي من أجل تحقيق هذه الغاية، فلا يخفى أن الإنسان في ظل القهر والظلم وما يستتبعه من فقر أو حبس لا يكون عادة ملتفتاً إلا لما يضمن له البقاء والتغلب على مشكلاته الآنية المختلفة ولا يعود ملتفتاً إلى الغرض الأصيل من خلقه.

كذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس الحلال والحرام، ونزع ما على معاصوم بني الإنسان من أغلال وقيود، كل ذلك ليتمكن هذا الإنسان من الحركة والسير نحو كماله المنشود ﴿الَّذِينَ يَتَبَعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أَمَّى الَّذِي يَحِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَابَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا التُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف، ١٥٧).

فكـلـ هذه الأغراض هي في طول الغرض الأصيل بما في ذلك الإيمان بالله وتوحيده الذي هو بمثابة النـور الكـاشف الذي يهـتدـي به السـائرونـ على طـريق الله يـعـلـمـ.

وتـكـمنـ أهمـيـةـ هـذـهـ الأـغـرـاضـ فيـ خـلـقـ الـبـيـئةـ وـالـمـاخـ الـمـاـسـيـنـ لـنـمـوـ قـاـبـلـيـاتـ الـإـنـسـانـ لـيـصـلـ فيـ نـهاـيـةـ الـمـطـافـ إـلـىـ الـكـمـالـ الـلـائـقـ بـهـ.

لـذـلـكـ وـتـأـسـيـساـًـ عـلـىـ هـذـاـ الفـهـمـ لـطـبـيـعـةـ الدـوـرـ المـنـوطـ بـالـإـنـسـانـ يـنـبـغـيـ لـمـنـ يـؤـمـنـ بـالـإـسـلامـ أـنـ يـغـتنـمـ كـلـ فـرـصـةـ تـسـنـحـ لـهـ وـيـسـتـفـيدـ مـنـهـ لـتـحـقـيقـ هـذـاـ الغـرـضـ الإـلهـيـ العـظـيمـ.

من هنا تـكـمنـ أهمـيـةـ شـهـرـ رـمـضـانـ فيـ كـوـنـهـ فـرـصـةـ ذـهـبـيـةـ ثـمـيـنةـ،ـ وـكـذـلـكـ أـشـهـرـ الخـيرـ رـجـبـ وـشـعـبـانـ اللـذـانـ يـشـكـلـانـ ظـرـفـينـ زـمـانـيـنـ اـسـتـشـائـيـنـ يـسـتـطـعـ الـإـنـسـانـ الـمـسـلـمـ أـنـ يـرـتـقـيـ مـنـ خـلـاـهـاـ وـأـنـ يـتـجاـوزـ وـيـتـخـطـىـ بـعـضـ الدـرـجـاتـ وـالـعـقـبـاتـ عـلـىـ سـلـمـ الـكـمـالـ،ـ وـلـنـاـ أـنـ نـتـصـوـرـ حـجـمـ هـذـهـ فـرـصـةـ وـكـمـ هـيـ ثـمـيـنةـ بـالـنـظـرـ إـلـىـ مـاـ تـنـتـلـهـ

ليلة القدر الشّريفة من دمج وطّي لـألف شهر من الزّمان أي ما يعادل ثلاثة وثمانين سنة في ليلة واحدة.

إذن شهر رمضان فرصة ذهبية لمن يعي هذه الحقيقة، ولا عجب أن تحظى ليلة القدر الشّريفة بعناية خاصة، سواء على مستوى القرآن الكريم أو في لسان الروايات، كما نجد ذلك جلياً من خلال المراسم والأعمال العبادية التي ندبّت لخصوص هذه الليلة.

### الشهر الأول في السنة:

تحدّثت جملة من الأخبار الصّادرة عن المعصومين عليهم السلام أنّ شهر رمضان هو الشهر الأول في السنة، منها ما رواه السّكوني عن الإمام الصّادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال «إنّ أول كلّ سنة أول يوم من شهر رمضان»<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما رواه الكليني بإسناده إلى أبي عبد الله الصّادق عليه السلام أنه قال: «إنّ الشّهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السّموات والأرض، فغرة الشّهور شهر الله عزّ ذكره وهو شهر رمضان، وقلب شهر رمضان ليلة القدر»<sup>(٢)</sup>.

كما أنّ هناك من الأخبار ما جعلت ليلة القدر هي رأس السنة وعلّة ذلك واضحة وهي أنّ الله يقدّر فيها ما يجري لعباده حتّى مثلها من العام القادم.

ولكن من منظور أهل البيت عليهم السلام يعتبر شهر رمضان هو الشهر الأول وغرة الشّهور فما علّة ذلك؟

(١) إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، ج ١، ص ١٩٣.

(٢) الكافي، الكليني، ج ٤، ص ٦٥.

لقد اختلفت أغراض الشعوب من جعل رأس السنة فالمسيحيون مثلاً اتخذوا من يوم ولادة السيد المسيح عليه السلام محوراً لحساب سنتهم وتاريخاً يؤرخون به الأحداث وما ذلك إلا تعظيمًا وتذكيراً به.

كذلك نجد الفرس اتخذوا من اليوم الأول من الربيع بداية لسنتم لما يحمله من إشارة لتجدد الحياة الطبيعية حيث تتنفس فيه الطبيعة بعد شهور الشتاء القارس فتورق الأشجار وتكتسى الأرض بحلة خضراء قشيبة ويتغير المناخ ويتشبع بالعناصر التي تبعث الصحة والانتعاش للإنسان حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام: «توقوا البرد في أوله وتلقوه في آخره فإنه يفعل بالأبدان ك فعله في الأشجار»<sup>(١)</sup>.

كذلك أهل بيته العصمة والطهارة التي عيونهم مسلطه نحو الحالة المعنوية لأبناء الأمة، فإنهم وجدوا في شهر رمضان بداية لتجدد الحالة المعنوية للإنسان المسلم، ففيه تعود الأمة من جديد إلى الله، وتكون مستعدة لتحمل شتى أنواع الطاعات، من صيام وصدقة ومن تنفّل بصلة وعفة بطن وفرج ولسان وغيرها من الطاعات المفروضة والمندوبة، ولا شك أن هذا الشهر الفضيل هو مراد المسلمين وربيع المؤمنين، حيث تخضر قلوبهم وتزهر مجالسهم بالعادات الحسنة والأخلاق الحميدة، وهل كل ذلك يعود لعالم الاعتبار فقط أم لوجود تغيرات حقيقة وتكوينية تحصل في عالم الواقع؟ فهذا مما نجهل حقيقته وطبيعته، إلا أن هذا المقطع الزمانی كان ظرفاً مقدساً عبر التاريخ، ومحطة لتنزّل الرحمة الإلهية، فيه

(١) خصائص الأنمة، الشريف الرضي، ص ١٠١.

نزلت الكتب المقدّسة المختلفة، كما جاء في الخبر عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله عليه السلام: نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة ليست ماضيًّا من شهر رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة حلت من شهر رمضان، وأنزل الزبور لثمانية عشرة حلون من شهر رمضان، وأنزل القرآن في ثلاثة وعشرين من شهر رمضان»<sup>(١)</sup>.

كما أننا نستطيع معرفة حقيقة هذا الشّهر العظيم، وما ينبغي على الإنسان المسلم فيه من خلال الأسماء التي أطلقت عليه، فإنها كاشفة عن حقيقته وكاشفة عن نزرة خالق الرّمان والمكان له.

#### أسماء شهر رمضان:

هنا كأسماء عديدة لشهر رمضان المبارك، بعضها مستفاد من القرآن الكريم، وبعضها جاء على لسان المعصومين عليهما السلام منها على سبيل المثال: «شهر الله، شهر الله الأكبر، شهر ضيافة الله، شهر الصيام، شهر الإسلام، شهر الطّهور، شهر البركة، شهر التّوبة، شهر المغفرة، شهر القيام، شهر الدّعاء، شهر العبادة، سيد الشّهور، ربيع القرآن، ربيع المؤمنين» وغيرها الكثير.

#### أهمية الشّهر الفضيل في كلمات المعصومين عليهما السلام:

إنّ رسولنا الكريم عليهما السلام وكذلك الأئمّة المعصومين عليهما السلام من أهل بيته عليهما السلام وبمقتضى الأمانة والمسؤوليّة أمّام الله وأمام الأّمة حرصوا على بيان أهميّة هذا الشّهر الفضيل، وما يمثله من منحة إلهيّة، ومحطة لتنزّل النّفحات والفيوضات

(١) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٦٢٩.

الموجّهة نحو بني الإنسان، وذلك من مهمّات القادة الإلهيين الذين وظيفتهم الأخذ بيد الإنسان نحو ما به الكمال والرّقي، فهذا الرّسول ﷺ يخاطب الأمة بها فيه تنبية وتعظيم للقادم من الأيام فيقول ﷺ: «سبحان الله ماذا يستقبلكم؟ وماذا تستقبلون»؟<sup>(١)</sup> ويكرّرها ثلاثاً ثم يقول خطبه المشهورة في استقبال شهر رمضان «أيّها الناس: إنّه قد أقبل إليّكم شهر الله بالبركة والرّحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضّل الشّهور، وأيامه أفضّل الأيام، وليلاته أفضّل اللّيالي، وساعاته أفضّل السّاعات، هو شهر دعّيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب... أيّها الناس! إنّ أبواب الجنان في هذا الشّهر مفتوحة، فسلوا ربّكم ألا يغلقها عليّكم، وأبواب النّيران مغلقة فسلوا ربّكم أن لا يفتحها عليّكم، والشّياطين مغلولة فسلوا ربّكم أن لا يسلطها عليّكم»<sup>(٢)</sup>... إلى آخر الخطبة.

وها هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؓ يقول في خطبه في أول يوم من شهر رمضان:

«أيّها الناس: إنّ هذا الشّهر شهر فضله الله على سائر الشّهور كفضلنا أهل البيت على سائر الناس، وهو شهر يفتح فيه أبواب السماء وأبواب الرحمة ويغلق فيه أبواب النّيران، وهو شهر يسمع فيه النداء، ويستجاب فيه الدّعاء ويرحم فيه البكاء، وهو شهر فيه ليلة نزلت الملائكة فيها من السماء، فتسليّم على الصائمين والصائمات بإذن ربّهم إلى مطلع الفجر...، أيّها الناس إنّ شموس شهر رمضان لنطلع على الصائمين والصائمات،

(١) فضائل الأشهر الثلاثة، الصدوق، ص ١٤٠.

(٢) الأمالي، الصدوق، ص ١٥٤؛ وعيون أخبار الرضا ؓ، ج ١، ص ٢٦٥.

وإن أقماره ليطلع عليهم بالرّحمة، وما من يوم وليلة من الشّهر إلّا والبرّ من الله تعالى يتناثر من السّماء على هذه الأمة، فمن ظفر من نثار الله بدرة كرّم على الله يوم يلقاه، وما كرّم عبد على الله إلّا جعل الجنة مثواه<sup>(١)</sup> ... إلى آخر الخطبة.

كذلك روى جابر عن أبي جعفر الباقر عليهما السلام أنّه قال: «كان رسول الله عليهما السلام إذا نظر إلى هلال شهر رمضان استقبل القبلة بوجهه ثم قال: (اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والعافية المجللة والرّزق الواسع، ودفع الأسقام وتلاوة القرآن، والعون على الصّلاة والصّيام، اللّهم سلمنا لرمضان وسلمه لنا وسلمه منا حتّى ينقضي شهر رمضان وقد غفرت لنا) ثم يقبل بوجهه على النّاس ويقول: يا معاشر المسلمين إذا طلع هلال شهر رمضان غلّت مردة الشّياطين وفتحت أبواب السّماء وأبواب الجنان وأبواب الرّحمة وغلقت أبواب النّيران واستجيب الدّعاء وكان الله عزّوجلّ عند كلّ فطرة عتقاء يعتقدون من النار ونادي منادٍ كلّ ليلة هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ اللهم أعطِ كلّ منفق خلفاً وأعطِ كلّ ممسك تلفاً حتّى إذا طلع هلال شوال نودي المؤمنون أن اغدوا إلى جوائزكم فهو يوم الحائزه، ثم قال أبو جعفر عليهما السلام: أما والذّي نفسي بيده ما هي بجائزة الدّنانير والدّراهم»<sup>(٢)</sup>.

إذن هذا نموذج من كلمات أهل البيت عليهما السلام، وتكشف بوضوح النّظرة الثّاقبة التي ينظرون بها إلى هذا الشّهر، واعتباره فرصة ثمينة جداً، كما تكشف عن تعظيمهم لهذا الشّهر الذي هو في حقيقته تعظيم الله عزّوجلّ، ولنقف على بعض المحطّات المهمّة من كلامهم.

(١) فضائل الأشهر الثلاثة، الصدوقي، ص ١٠٨.

(٢) الكافي، الكليني، ج ٤، ص ٦٧ - ٦٨.

## المحطة الأولى: شهر الضيافة الإلهية

إنَّ المتبع لكلمات المعصومين عليهم السلام الخاصة بشهر رمضان، يلاحظ تأكيداً منهم على خصوصية فريدة يتميّز بها الشّهر الفضيل دون سواه من شهور السنة، ألا وهي كونه شهرًا للضيافة الإلهية، فما المقصود من هذه الضيافة؟

وألسنا أبناء الله وعياله وضيافته مترعة غير مقطوعة عنّا ونعم بنعمه الظاهرة والباطنة؟ ثم إنّا نعرف الضيافة بأنّ يوفر المضيف الطعام والشراب لضيوفه، بينما نجد أنّ أهمّ آداب الضيافة الإلهية هي الامتناع عن الأكل والشرب، طوال النّهار فما عساها أن تكون هذه الضيافة؟

للجواب نقول إنَّ الإنسان يتكون من عنصري الروح والجسد، وإنَّ غذاء كلّ واحد منهم هو من سنته، فغذاء الجسد الأكل والشرب اللذان يرجعان في النّهاية لنفس الطينة التي خلق الله منها الإنسان، وأماماً غذاء الروح فهو أيضاً من نفس سبخ الروح التي هي حقيقة مجردة، لا يمكن لعقل الإنسان المحدود أن يعيها بشكل واضح وتمام، وهذا ما صرّح به القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيِّ وَمَا أُوتِيْتُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥)، وقد دلت الأخبار الكثيرة أنَّ المادة التي تتغذى بها الروح، والّتي بها تنمو وترتقي وتتحلّ بالصحة والقوّة، هي أعمال الخير والصلوة والصيام وذكر الله وتسبيحه وتقديسه والامتناع عما يوجب سخطه وغضبه، بعبارة أخرى أنَّ الروح تتقوّى بالعبادة وبالآذكار وبترويض النفس من خلال الصبر والشجاعة والإيثار، بينما الجسد يتقوّى بالطعام والشراب، وما ممارسة الحمية والرياضة إلّا محاولة فعلية للاستفادة القصوى من الطعام الذي يأكله الإنسان؛ لذلك وجدها التّرابط



الوثيق بين الطعام والرّياضة، فالجسم لا يتقوى بالرّياضة بل بالطّعام واقعاً.

أمّا على مستوى الرّوح فتشكّل المعاصي والذّنوب التي يرتكبها الإنسان سمواً تُتلف الرّوح. فكما أنّ الغذاء الفاسد يسبّب الأمراض والأسقام للجسد، مما يؤدي إلى تلفه وموته في نهاية الطريق، كذلك الذّنوب فهي لا تنجم مع الرّوح وتسبّب في تلفها وموتها.

إذن هذه الأعمال العبادّية والأذكار لها وجود وصورة ظاهريّة معلومة، ولها صورة حقيقية لا يعلم كيفيّتها إلا الله ولا يمكن الإحاطة بها لقصور في مدارك الإنسان.

فإنّه قد ورد في الأخبار أنّ المؤمن بقوله: لا إله إلا الله يغرس الله له شجرة في الجنة، أو يبني له بيتاً في الجنة ومثل ذلك كثير، أمّا ما هي كيفيّة تحقّق ذلك؟ فهذا مما لا يمكننا الوقوف على حقيقته.

إذن دعوة الضيافة الإلهيّة متوجّهة إلى الرّوح وليس الجسد والمائدة، المعدّة هي مائدة الطّاعات والقربات وأذكار تمجيد الله وتقديسه.

ويبدو أنّ الصّورة المعنوية لهذه الطّاعات تتبدّل كيفيّتها في شهر رمضان أو تتضاعف كميّتها، فإذا كان مقابل قول (لا إله إلا الله) شجرة في الجنة، فإنّ في شهر رمضان يكون المقابل أمراً آخر، أو تتضاعف أعداد الأشجار مثلاً وهكذا حال ليلة القدر أيضاً.

إذا عرفنا ذلك وأنّ شهر رمضان مسلط على الرّوح ولا شغل له بالجسد، وأنّ الموائد المعدّة هي موائد الطّاعات والقربات، والأذكار موائد التّقوى

والورع عن محارم الله والخوف والخشية منه يَعْلَمُهُ اللَّهُ، فيجدر بنا أن نبيّن بعض المسائل المهمة؛ للاستفادة القصوى من شهر رمضان، بمعنى أنك عندما تدعى إلى مكان، ولا تعلم ما فيه ولا تعلم طبيعته وما ينبغي عليك فعله أو حمله معك، فإنك ستدخله وجيوبك فارغة، وستخرج منه وجيوبك فارغة أيضاً، فما هي هذه المسائل؟

### أولاً: أهمية ضيافة الله

وتكون الأهمية في كونها فرصة قد لا تتكرر في العام القادم، وأتها كفيلة باختصار الوقت والجهد، والارتقاء ب أصحابها إلى حيث المرتبة الـرّفيعة الـلائقة، لذلك وردت عشرات الروايات التي تقول إن الشّقي من حرم غفران الله في هذا الشهر، إذن شهر رمضان نعمة ومسؤولية كبيرة على عاتق الإنسان، وقد تتحول هذه النّعمة إلى نعمة إذا لم تحفظ وترع حرمتها.

### ثانياً: ضرورات التّهيءة لضيافة الله

لكي يلتج الإنسان المؤمن محل ضيافة الله الذي هو نفس زمان شهر رمضان، عليه أن يتحلى ببعض الاستعدادات؛ لكي يحظى بالضيافة الإلهية على أكمل وجه، ومن هذه الاستعدادات أن يعلم ما ينبغي فعله وما لا ينبغي فعله خلال الشهر الفضيل، وأن يعلم بالأعمال والأوقات والأماكن المثلثة؛ لاقتناص أفضل العطایا فإن عطایا الله ليست على مستوى واحد، وكذلك أوقات الشهر الفضيل تتفاوت قدسيتها من وقت لآخر، وأن يعلم بالأداب التي ينبغي للضيف أن يتحلى بها؛ ليكون قريباً من قلب مضيقه.



وقد تكفلت كتب الفقه وكتب الأخلاق وكتب الأدعية والأعمال العبادية ببيان الكثير من المسائل التي لا ينبغي للمؤمن أن يجهلها، بل إنّ ترك تعلّمها مشعر بعدم أهلية التّارك لتلقّي دعوة الحضور على مائدة الضيافة الإلهيّة.

### ثالثاً: عتبة دار الضيافة

يمثّل الالتزام بتجنب المفطرات وأداء الواجبات عتبة دار الضيافة، فهذا الالتزام يمثل تكبيرة الإحرام للمصلّى ويمثل لبس ثوب الإحرام للحجّ، إنّها البداية إذن وليس النهاية. إنّ هذا الالتزام هو شرط الدخول وليس نفس عملية الاستطعام؛ إذ لا فائدة من هكذا التزام إذا لم يستتبعه عمل وثمرة، نعم به يتحقق الامتثال، ولا تجب الإعادة ولكن الغرض من شهر رمضان ليس أن يجوع الإنسان، بل أن يتحسّس بجوعه جوع ذلك الفقير فيبادر إلى مساعدته ورفع جوعه، كذلك ليس الغرض من الامتناع عن الكذب على الله ورسوله إلا أن يبادر الإنسان إلى تعلّم كلام الله ورسوله، وأن يتحلّ بخصلة الصدق، إذن هذا الالتزام مقدّمة لما هو أهمّ وهو التّقارب إلى الله بشتّى أنواع الطّاعات التي أهمّها التّقوى والورع عن محارم الله؛ إذ بدونها لا يقوم حجر على حجر في بناء الحالة المعنويّة للإنسان، فهو بواسطة التّقوى والورع يتكامل الإنسان ويرتقي وبدونها لا يناله من صومه إلا الجوع والعطش.

## المحطة الثانية: شهر رمضان مشروع حياة الأمة

عندما نقف على خطبة الرّسول ﷺ ونتمّعن في معانيها، ونتخطّى ذلك إلى محاولة استكشاف ما وراء اللّفظ، حيث المقام الحالي والسيّادي لرسول الله ﷺ، نجد قرائن عديدة على أنّ الرّسول ﷺ كان في مقام التّعويم على قدرة شهر رمضان -بها هو بداية لتجدد دورة الحياة المعنوية للفرد المسلم- على إحداث تغيير حقيقي وجذري في الأمة، ويستفاد ذلك من سوق التّنبية تلو التّنبية على أهميّة الشّهر وفضله، ومن عبارات التّرغيب في العمل الصّالح والتّشويق في ثمرته التي هي عفو الله والنّجاة من عذابه، فيقول في مقطع من خطبته: «واعلموا أنَّ الله -تعالى ذكره- أقسم بعَزَّته أَنْ لا يُذْهِبَ الصَّالِّينَ وَالسَّاجِدِينَ، وَأَنْ لا يَرُؤُوهُمْ بِالنَّارِ يوم يقوم النّاس لربِّ العالمين»<sup>(١)</sup>.

لذلك حرص رسول الله ﷺ على بيان مجموعة من القيم المهمّة في الإسلام، والتي تكفل نجاح المجتمع واستقراره، إذ لا محيسن لأيّ مجتمع ينشد العزة والرّقي إلّا بأخذ هذه القيم على محمل الجدّ فيقول ﷺ: «وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم ووّقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضّوا عنّاً لا يحُلُّ النّظر إليه أبصاركم، وعِيًّا لا يحُلُّ الاستماع إليه أسماعكم، وتحنّنوا على أيتام الناس يتحنّن على أيتامكم، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم»<sup>(٢)</sup>، فإذا قام كلّ فرد من أفراد المجتمع المسلم بمسؤولياته، من احتضان الفقير وسد حاجاته، وتوقير الكبير وإعطائه المكانة اللائقة به، والرّحمة بالصّغير من خلال خلق البيئة

(١) الأمالي، الصدوق، ص ١٥٤.

(٢) نفس المصدر.



المناسبة والصحيحة؛ لينشأ نشأة سليمة من الجانب الروحي والجسدي، وكذلك صلة الأرحام التي تقوّي الروابط الاجتماعية، وتجعل المجتمع عصيًّا على التشرذم والانكسار، فإذا أضيف لذلك عنصري الاعتقاد والعبادة فإنَّ هذا المجتمع جدير بالغاية التي وجد من أجلها وهي خلافة الله في الأرض.

ونحن إذا تأملنا في العلاقة بين شهر رمضان وهذه القيم نجد أنها تهدف إلى سحق الأنانيات الشخصية، وتنمية الحس الاجتماعي الأممي للفرد المسلم، في ظرف زماني يكون فيه الشيطان يرُزح في أغلاله وقيوده، ولا يعود له تأثير مباشر على الفرد المسلم، وهذا الغرض يحصل بتكرار هذه الأعمال بحيث لا يتهمي الشهر إلا وأصبحت عادة وملكة، فلا يكفي مسمى الصدقة وسمى البر والرحمة.

### **المخطة الثالثة: شهر الشياطين فيه مغلولة**

الشيطان ذلك العنصر المجرد، الذي مهمته قذف الأفكار المناهضة للأوامر الإلهية، حيث ينحصر دوره في تزيين القبيح وتبني الحسن؛ إذ لا قدرة له على جبر الإنسان على فعل المعصية، وهذا المعنى لا شك فيه، فقد نطق به الكثير من آيات القرآن الكريم، والروايات الصادرة عن أهل بيته العصمة والطهارة قال تعالى ﴿وَإِمَّا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٢٠٠).

وبما أنَّ النظام الإلهي المعد لبني البشر يقوم على ثنائية الثواب والعقاب، فلا بد من فتنة وعقبة تعترض طريق الإنسان؛ ليكون الجزاء ناتجاً عن كيفية تعاطيه بهذه العقبة والفتنة وهذا عين العدل الإلهي.

كما أنّ عملية الشدّ والجذب بين الإنسان والشّيطان هي الكفيلة بصدق الإنسان، وبتفتق موهبه واستعداداته.

وقد دلّت الأخبار المختلفة على أنّ الله في شهر رمضان يصعد الشّياطين، ويحسهم؛ لكيلا يفسدوا على المؤمنين طاعاتهم.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إذا كان أول ليلةٍ من شهر رمضان نادى الجليل تبارك وتعالى ... يا جَبْرِيلُ، انْزِلْ عَلَى الْأَرْضِ فَعُلَّ فِيهَا مَرَدَةً الشَّيَاطِينَ حَتَّى لا يُفِسِّدُوا عَلَى عِبَادِي»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام: «إذا استَهَلَّ رَمَضَانُ غُلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وُفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ»<sup>(٢)</sup>.

وعنه أيضاً: «قد وَكَلَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ سَبْعَةً مِنْ مَلَائِكَتِهِ فَلَيْسَ بِمَحْلٍ حَتَّى يَنْقَضِي شَهْرُكُمْ هَذَا»<sup>(٣)</sup>.

ولعل الصيام نفسه فيه القابلية على سلب عنصر الحركة والمناورة لدى الشّيطان، فيجرّد من كامل أسلحته وسلطته، وهذا ما نفهمه من حديث رسول الله ﷺ أن الشّيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيّقاً مجازيه بالجوع.

هذا وإذا أضيف للجوع مجموع النّواهي الأخرى التي يعبر عنها بالمفترّات، فيكون الصائم هنا قد سلب الشّيطان نفس الأرضية التي يتحرّك عليها فلا يعود له وجود أليته.

(١) النوادر، فضل الله الرواندي، ص ٢٥٣.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٥٢.

(٣) ثواب الأعمال، الصدوقي، ص ٦٥.

ولا شك أن تصفية الشياطين في شهر رمضان يعتبر من مصاديق الرحمة الإلهية، وبذلك تتم النعمة على المسلمين؛ ليكونوا مؤهلين لاقتناص كل الألطاف والعطايا الإلهية.

وأماماً ما نراه من ذنوب ومعاصٍ ترتكب في شهر رمضان، فهي إما بسبب عدم تحقق الصوم بكمال شروطه وأحكامه من الإنسان المذنب، وإما أن نفس هذا الإنسان جبت على المعصية، بحيث لم تعد بحاجة للشيطان ليزيّن لها القبيح ويقيّع لها الحسن، وإنما من كلا السببين.

### أفضل الأعمال في شهر رمضان:

قبل سرد مجموعة من أفضل الأعمال في شهر رمضان ينبغي الالتفات إلى أن هذه الأعمال بمثابة المفاتيح التي تفتح لنا أبواب الرحمة.

وليس كل عملٍ تتصوره عقولنا أنه خيرٌ سيكون خيراً بالضرورة، لذلك وجب الالتفات إلى ما ذكره أهل بيت العصمة والطهارة، والامتثال بما ندبوإليه وذكروه، ولا بأس بالتعمّن والفحص والحرص على اقتناص مؤدى كلامهم عليهما السلام جيداً وامتثاله.

أيضاً هذه الأعمال ليست متساوية من حيث الثواب والقيمة، فبينها تفاوت كما أن الزمان له دور مهم، فليلة القدر وعموم العشر الأواخر أكثر بركة من سوهاها من الليالي والأيام، وكذلك الليل أكثر بركة من النهار وهكذا.

ولا يخفى ما لعنصر الإخلاص لله تعالى من دور في تحصيل الثواب الجزيل.

أمّا أفضل الأعمال فقد دلت الروايات على أنَّه الورع عن محارم الله عليه السلام، ويعني ذلك اجتناب الذنوب والخطايا خلال الشّهر الفضيل، وهذا العمل بمثابة الضابطة الكلية لِقبوِلِ الأعمال الأخرى؛ إذ بدونه لا قيمة لأي عملٍ صغيراً كان أمّ كبيراً.

قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث القدسي عن الله عَزَّ وَجَلَّ: «من لم تصنم جوارحه عن محارمي، فلا حاجة في أن يدع طعامه وشرابه من أجله»<sup>(١)</sup>.

أيضاً ممّا يُطلَبُ إعدامهُ في شهر رمضان خصوصاً، الغيبةُ فقد وردت الكثير من الروايات التي تحذر منها، وتعتبرها إفطاراً عمدياً وانتهاكاً لحرمة الشّهر الفضيل، فإذا اغتاب الصائمُ أفتر وما صامَ من ظلٍ يأكلُ لحومَ النّاسِ كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام.

أيضاً يجب إعدامُ السبِّ والشّتيمة وإعدامُ الكذبِ والرياءِ بل كلّما يكرهه الله، فقد جاء في الرواية أنَّ إمامنا الصادق عليه السلام قال لِمحمد بن مسلم عليه السلام: «يا محمد إذا صُمتَ فليصم سمعكَ وبصركَ ولسانكَ ولحمكَ وجلدكَ وشعركَ وبشركَ ولا يكون يوم صومكَ كيوم فطركَ»<sup>(٢)</sup>.

وأما ما ينبغي للمؤمن أن يقوم به من أعمال فهي كثيرة، وكما أسلفنا ينبغي أن تراعي مسألة الكمية والكيفية معاً، فالكيفية وحدتها لا تكفي، ذلك أنَّ شهر رمضان محطة لخلق الملائكة في النفس وهذا ما لا يحصل عادة إلّا بالكثرة من الفعل.

(١) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٨، ص ٥٠٨.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملی، ج ١٠، ص ١٦٥، باب ١١ من أبواب آداب الصائم، ح ١٠.

وأهم الأعمال تفطير الصائمين وإدخال الفرح والسرور على قلوبهم فقد قال رسول الله ﷺ: «فِطْرُكَ لأخيكَ الْمُسْلِمِ وِإِدْخَالُكَ السُّرُورَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِن صِيَامِك»<sup>(١)</sup>.

وهناك الكثير من الروايات التي تحت على كثرة الإنفاق والصدقة، وكثرة تلاوة القرآن والدّعاء والصلوة، وكثرة الاستغفار وطول السجود لله تعالى وغيرها من الأعمال العبادية وكل ذلك موجود فليطلب من رمضان.

### الخاتمة:

عوًداً على بدء نقول إن الله في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها، وشهر رمضان الكريم إحداها بل من أجلى مصاديقها، فعل المؤمن أن يتحلى بالحرص على هذه الفرص الثمينة التي لا تعوض وسوف يسأل عنها يوماً ما.

نعم شهر رمضان فرصة للقاء الأهل والأصدقاء والتزويع عن النفس من هم مشاكل الحياة، ولكن ليتذكّر الإنسان المؤمن بأنه في محل ضيافة الله فلا ينبغي أن يتجاهل هذه الحقيقة فيقضي وقته في اللهو واللعب وتضييع هذا الوقت الثمين.

والحمد لله رب العالمين.

(١) الحاسن، البرقي، ج ٢، ص ٤١٢.

# مقاربات في المنهج التاريخي والسندي

الشيخ علي إبراهيم عبدالعال

## الملخص:

انطلق الكاتب في هذه المقالة من إشكالية طالما تُطرح وهي: هل من الازم أن تكون المقاطع التاريخية التي يُسْتَشَهِدُ بها في الكتب أو على المنابر مشروط فيها أن تكون قطعية الصدور، وهل من المحتم أن تكون ذا سند معتبر أو متصل بحيث يصح نقلها؟!، وينظر بعد ذلك بنمط البحث الفقهي وحجية العمل بالأخبار حتى وإن لم تكن تحظى بسند معتبر، ولكن حفتها القرائن التي توجب الوثوق والاطمئنان. وما يؤكد عليه الكاتب أنه ينبغي ألا يغفل عن الموروث التاريخي بمجرد انقطاع الأسانيد أو كون المؤرّخ معروف بالأهواء الشخصية والنزاعات المذهبية؛ فإنه لا ريب أنّ المؤرّخ الخبر ينقل الكثير من الصحيح – وإن حوت نقولاته ما يشوهها-؛ فهنا يأتي دور الباحث ليضع ذلك في ميزان النّقد والمقاربة مع غيرها من أخبار وقرائن، لكي يصل إلى الحقيقة أو يدنو منها دنوًّا كبيرًا.

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

### مقدمة

أما بعد، تكرر عادة في المواسم العبادية التبليغية الدعوة إلى تنقية المنقولات التاريخية وإخضاعها للموازين السنديّة والقرائن القطعية قبل نشرها بين الناس، وقد دوّنت بعض الأفكار فيتناول هذه الدعوة ثم جمعتها لأضعها هنا في صورة مقالة مستقلة بين يدي القارئ.

إن التاريخ باب واسع من الحوادث وال عبر، من جوفه ولد الحاضر وانفتحت أفقاً له، وانفتلت عقده وارتسمت معالمه وتجذر مكامنه، واستلهمت محاسنه واستو سقت مساوئه. وليس من جنائية أعظم على التاريخ من التعامل معه وكأنه قصّة محكية أو رواية مطوية أو أطروحة مادّية ليس يُرجى منها إلا أن تُحكى للأجيال القادمة، ولا يؤمّل منها إلا أن تؤنس السامع وتطربه أو تسوءه وتحزنه.

إن التاريخ يعطي الباحث بصيرة بزمانه وغيره من الأزمنة التي يدرسها بدراساته للمتشابهات والمتردّرات، وبصيرة في نفسية الإنسان بدراساته للأهانات السلوكية والطبيعة البشرية والحضارة الإنسانية. إن المؤرّخ كلّما أحاط بال التاريخ أكثر كلّما وضع يده على مفاتيح ثمينة وانفرجت لديه مغاليق عويصة وألغاز غائرة

هذا كله في عين الغموض الذي يلف الحوادث والتعقيد المحتف بها وتدخل المصالح وتضارب المرويات.

مع كل ذلك، فإن المؤرخ الفطن الذي خلص نفسه من الأهواء وتجزّد من العصبية تجده بصيراً بحوادث زمانه محيطاً بالاحتمالات خيراً بالمالات. إنه يستلهم مادته من الفشل كما يستلهمها من النجاح، ويستمدّها من الصحيح كما يستمدّها من السقيم.

وهذا ليس من مختصّات التاريخ، بللا تجد علماً إلا وفيه من السقيم ما كان جسراً للصحيح، وفيه من الصحيح ما كان سندًا لاكتشافات أخرى. وليس من العجب أن تتغيّر النّظرة العامة في علم من العلوم بطر واكتشافات جديدة أو اكتشاف خلل في الأصول المقررة، وهذه العلوم المادّية الكونية ربما انقلبت فيها المسألّات بعد قرون من التسلّيم بها والبناء عليها، فإذا كان هذا حال هذه العلوم التجريبية فالعلوم الإنسانية كعلم التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع لا يجب أن تقوم على وحي منزل أو آية محكمة، بل هي بطبيعة هدفها والمادة المتوفّرة فيها لا تكون خاضعة للميزان الدقي الأنسادي، بل هي حينئذ تفقد قيمتها وتحوّل من ميزان لفهم الأيام إلى ميزان لإثبات صحة النسبة إلى صاحبها، فينقلب التاريخ إلى ماهيّة أخرى غير ما درّجت عليه الأمم وتطور على أساسه هذا العلم بفطنته وجبلته كعلم هذه مصادره وهذه معالمه، فلا بد من وضع الأمور في سياقاتها ووزن الأشياء بموازيتها وأطراها المناسبة.

## دور المؤرخ في الخطأ أو الصواب من النقولات التاريخية

لا ينبغي الاستيحاش من خطأ سطّر من المرويات التاريخية أو ضعف أسانيد الأكثـر منها، فإنّ كتبـ التاريخ لا تهدف إلى ذكر الأحداث الصحيحة فقط، وليس يهـدـ الفـ النـاقـلـ هـذـهـ الأـهـادـثـ أـنـ يـسـبـهـاـ نـسـبـةـ صـحـيـحةـ لـلـوـاقـعـ نـسـبـةـ يـقـيـنـيـةـ دقـيقـةـ، بلـ هـذـاـ أـبـعـدـ مـاـ يـكـونـ عـنـ هـدـفـ التـارـيـخـ وـغـرـضـهـ، وإنـماـ الغـرضـ هوـ جـمـعـ ماـ أـمـكـنـ منـ قـرـائـنـ وـحـوـادـثـ يـخـرـجـ صـحـيـحـهـاـ مـنـ سـقـيمـهاـ وـمـعـتـبـرـهـاـ مـنـ قـوـيـهاـ وـضـعـيفـهاـ. فـلـمـ يـعـهـدـ مـنـ الـمـؤـرـخـينـ التـعـهـدـ بـصـحـةـ مـرـوـيـاتـهـ كـمـاـ عـهـدـ ذـلـكـ مـنـ الـمـحـدـثـينـ مـنـ الـفـرـيقـيـنـ كـالـبـخـارـيـ وـمـسـلـمـ وـغـيرـهـاـ مـنـ مـحـدـثـيـ الـعـامـةـ، وـكـالـكـلـيـنـيـ قـسـئـ الشـيخـ الصـدـوقـ قـسـئـ فيـ الـجـمـلـةـ مـنـ مـحـدـثـيـ الـخـاصـةـ.

فـهـذـاـ الـذـيـ اـتـخـذـهـ بـعـضـهـمـ إـشـكـالـاـًـ عـلـىـ الـمـؤـرـخـينـ هـوـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ جـوـهـرـ عـمـلـ الـمـؤـرـخـينـ وـهـوـ أـلـاـ يـتـرـكـ شـيـئـاـ يـحـتـمـلـ الصـحـةـ مـنـ مـنـظـورـهـ وـبـحـسـبـ عـلـمـهـ وـمـقـدـارـ تـجـرـّـدـهـ، فـيـضـيـعـ عـلـىـ الـأـجـيـالـ الـلـاحـقـةـ هـذـاـ إـطـارـ الـفـكـرـيـ الـمـعـلـومـاتـيـ الـذـيـ عـاـشـهـ هـوـ، بـلـ مـاـ دـامـ يـجـدـ هـذـاـ الـمـنـقـولـ قـسـطاـًـ مـنـ مـنـاسـبـةـ لـسـائـرـ الـأـهـادـثـ وـاحـتمـالـيـةـ مـعـتـدـاـًـ بـهـاـ لـصـحـتـهـ فـيـ نـفـسـهـ وـبـعـضـ النـظـرـ عـنـ مـعـارـضـاتـهـ فـالـمـنـصـفـ يـرـىـ مـنـ نـفـسـهـ لـزـومـ نـقـلـهـ وـجـعـلـهـ بـيـنـ يـدـيـ الـأـجـيـالـ كـمـاـ أـنـ الـأـقـدارـ نـقـلـتـهـ إـلـيـهـ وـجـعـلـتـهـ بـيـنـ يـدـيـهـ، بـلـ حـتـىـ الـمـحـدـثـ رـبـيـاـ عـبـرـ بـكـلـمـةـ (قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ) وـرـبـيـاـ عـبـرـ بـكـلـمـةـ (رـوـيـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ). فـهـوـ مـاـ دـامـ يـجـدـ لـلـمـنـقـولـ فـيـ الصـحـةـ مـحـمـلاـًـ وـلـلـصـدـقـ فـيـهـ مـحـلـاـًـ فـلـاـ يـجـدـ مـنـ نـفـسـهـ السـعـةـ فـيـ تـكـذـيـبـهـ وـتـجـاهـلـهـ مـاـ لـمـ يـكـنـ الـغـرضـ مـنـ كـتـابـهـ هـوـ تـنـقـيـحـ الصـحـيـحـ مـنـ السـقـيمـ كـمـاـ صـرـحـ بـعـضـ الـمـحـدـثـينـ.

ومن هنا؛ تكمن الأهمية البالغة لشخصية المؤرخ الناقد للأحداث والمصادر المتوفرة لديه والأفراد الذين التقى بهم والزمن الذي عاش فيه فإنه من المسلم أنّ المؤرخ بطبيعة وظيفته –بعد التجاوز مؤقتاً عن مذهبه ومدى تأثير ذلك في منقولاته– لا ينقل ما كان مقطوع الكذب من الأحداث، بل غاية تجربته هو نقل الأحداث مع أسانيدها ولا يحكم بصحتها ولا بعدم صحتها كما فعل الطبرى. وبعبارة أخرى؛ إنّه لن ينقل إلا ما كان صحيحاً بنظره أو محتمل الصحة، ولا معنى لنقل مقطوع الكذب؛ لأنّه لا يتعلّق به غرض أوّلي إلا أن يتعلّق به غرض ثانوى خارج عن دائرة وظيفة التاريخ، أو أن يكون موافقاً لمذهب أو مذهب السلطة.

### الدّوافع الشّخصيّة لا تعني عدم الخبرويّة

إنّ المؤرخ الضليل قد اجتمعت عنده حصيلة تاريخية وخبرة لم تجتمع عند غيره من الناس فيكون ميزانه في تمييز الكاذب من محتمل الصدق ميزاناً أقوم وأاحتمالات صدقه أقوى، حتى لو عجز عن تمييز الخبر الصادق.

وبعبارة أخرى؛ إنّنا تارة نحتاج لتمييز الخبر الصحيح من الكاذب، وتارة نحتاج إلى تمييز الخبر المقطوع كذبه من غير المقطوع كذبه بحسب الموازين التاريخية.

إنّ مجموع الأحداث المتراكمة مع قرائتها وسياقاتها تمكن المؤرخ من التمييز إلى درجة كبيرة بين الخبر المقطوع كذبه من غير المقطوع كذبه، وإن لم تسعفه في تمييز الصحيح من الكاذب، والسرّ في ذلك؛ أنّ الاحتمالات الصحيحة ربما



تعدّدت في عالم الإمكان وُوْجِدَت مرويّات كُلُّها يحتمل فيها الصحة، فلا سبيل لتمييزها بعد فقدان التمييز الأنسادي بشكل عام في الموروثات التاريخية، ولكن لا مانع من تعدد الاحتمالات الكاذبة والحكم بکذبها جمِيعاً بعد أن كانت جميعها لا تصمد أمام الميزان التاريخي ولا محلي لها في منظومة الأحداث، ولا يخنطّ الكذب بأحدٍ دون الآخر.

إنَّ هذا لا يلغى الدوافع الشخصية والمذهبية للناقل لهذه الأحداث، فإنَّه لا يخلو منها إلا من عصمه الله، ولكن تمييز السلطة التاريخية من غيرها تفيد قيمة احتمالية تاريخية كبيرة، ثم يُعمل المحقق المتفحّص سائر المميزات من كون المقول وفق مذهب النَّاقل أم مخالفًا لمذهبه ويقارنه بمنقولات سائر الكتب التاريخية وينظر في كون الحدث المقال في ذاته مما توجد الدوافع السياسية أو غيرها في اختلافه وما شابه ذلك من الموازين. فالوزن المهم لشخصية النَّاقل للتاريخ لا ينبغي إغفالها بما له من سلطوية وخبروية ومقدرة، وإن كانت دوافعه الأخرى المحتملة قد تحطّ من درجة المقال إلى درجة متدنية من المقبولية.

### **الدوافع الشخصية والمذهبية عند الطبرى**

وقد أوردت هنا بعض الإشكالات على تاريخ الطبرى مثلاً حيث نقل أحداثاً مقطوعة الكذب، ومفاد الإشكال:

إنَّه كيف يمكننا الاعتماد عليه وهو على هذه الحالة من نقل المرويات الكاذبة الواضحة البطلان. والكلام ذاته يسري إلى غيره من المؤرخين. فمن ذلك ما ذكره الأستاذ عبد الأمير علي مهنا في مقدمته على تفسير الطبرى، ونحن نذكر

هنا بعض الشواهد التي ذكرها، حيث قال: "والروايات التي يعوزها النّقد كثيرة في كتاب الطبرى. منها ما نقله عن هبوط آدم وحواء وإبليس والحيّة من الجنة إلى الهند وغيره. وكذلك روى عن أشخاص عن السدي أنّ امرأة العزيز قالت: يا يوسف، ما أحسن شعرك! قال: هو أول ما ينشر من جسدي. قالت: ... إلى آخر القصة وفيها (وقال بعضهم: إنّه رأى صورة يعقوب عاصًا على إصبعه. وقال آخرون: إنّه رأى في الحائط مكتوبًا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرَّبِّيَّ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَيِّلًا﴾ (الإسراء: ٣٢))... [ثم قال المها]: ولو أنّ الطبرى علق على هذا الخبر لنفاه؛ لأنّه من الإسرائييليات والأقصاص التي ولّدها الخيال، فإنّ القرآن الكريم - وهو المصدر المتفّرد بالثقة - لم يزد على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (يوسف: ٢٤) ... ثم قال: ومن الأخبار التي لم يكن بدّ من التعليق عليها ما ذكره في أسباب نكبة البرامكة وساق الطبرى في هذا المجال روايات كثيرة دون تعليق يذكر... وقد يؤخذ عليه أنه ذكر أحياناً خرافات وإسرائييليات، ولم يقدم لها أو يعلّق عليها بما يدل على تكذيبه لها" انتهى مختصرًا<sup>(١)</sup>.

### المعيار في اعتبار الروايات التاريخية

ويمكن التعليق على ما ذكره بأنّ الكلام المهم ليس يقع في شخص الطبرى أو غيره من المؤرّخين، فإنه قلّما نجد مؤرّخاً قد تجرّد من الأهواء أو من الظروف السياسية التي تحتم عليه مراعاتها، أو من الأمرين معاً، بل الكلام هو في القيمة

(١) تاريخ الطبرى المعروف بتاريخ الأمم والملوك. تحقيق وتعليق الأستاذ عبد الأمير علي مهنا، منشورات الأعلمى.



الاحتمالية من النقل الفعلي الذي نقله مثل الطبرى وأن الذى يهمنا هو تقييم المنشول لا تقييم الناقل.

إذا حددنا أنّ الهدف هو تقييم المنشول فإنّ تقييمه لا تنحصر أدواته في كون الناقل له هو الطبرى أو غيره، بل المهم في ذلك هو إعمال الشواهد والقرائن التاريخية والموضوعية التي تكون النتيجة من إعمالها تابعة لمدى قوّتها ورسوخها. وهذا المها نفسم قد جزم بکذب المرويات التي أوردها على الطبرى، وليس ذلك إلا لأنّه أعمل ما بين يديه من أدوات تمكن من خلاها من تقييم النص المنشول، ولم يضره أنّ الطبرى نقلها مع شدّة احترامه وتجيده للطبرى كما صرّح في مقدّمته.

على أنه يمكن التبرير لسبب سكوت الطبرى عن هذه الموارد التي أوردها عليه.

أما بالنسبة للأحداث البعيدة عن زمان الطبرى؛ كزمن بنى إسرائيل فإنّ الطبرى الذي عاش في القرن الثالث الهجري ليس مطالباً بالتعليق عليها، بل حاله في القدرة على تقييمها كحال المنشول إليه في تقييمها، فهو يكتفي بذكر سنته لتلك الحوادث كما هو دأبه من ذكره للأسانيد، ولا يطالب بعدها بالتعليق، بعد أن لم يكن هو مطلقاً على الغيب، ولعل المنشول إليه أقدر على التقييم من تقييم الطبرى نفسه. ولعل المنشول إليه لا يقبل تقييم الطبرى. ففي مثل هذه الأحداث لا يكون هو مطالباً بالتعليق.

ويضاف إلى ذلك؛ أنّ الحدث إذا كان معلوم الكذب لدى الناقل ويترقب منه أن يكون معلوم الكذب لدى كلّ من جاء بعده، فليس حال هذا المنشول كحال

غيره مما لو سكت عنه لأوهام وضلال القارئ. فإن الناقل لا يكون مطالباً بالتعليق في الحالة الأولى. نعم، لو كان الناقل بقصد البحث العقائدي أو التفسيري فإن الكلام يختلف كلياً؛ لأن نسبة شيء إلى الشارع هناك محرمة، و مجرد احتمال بعض الإسرائيليات على الشارع يُعد من الأمور المستشنة.

والحاصل: إن كل حقل يراعي فيه ضوابطه وأهدافه، وما دأبت عليه البشرية من كيفية التعامل معه والشيء الذي يتربّص منه، ولا ينبغي إعمال مقياس واحد لها جميعاً. فليس الغرض هنا هو الدفاع عن الطبرى أو غير الطبرى، بقدر ما هو بيان الأسلوب الصحيح في التعامل مع المنقولات في ضمن إطارها الموضوعي.

وأما الحوادث القريبة من زمانه؛ فلعلها لم تكن مقطوعة الكذب عند الطبرى، ولا مانع أن تكون مقطوعة الكذب عند من تأخر عنه بسبب منهج اتخذه أو مذهب اتبّعه. فمقتضى المنهجية التاريخية هو أن ينقلها وأن يضعها بين يدي القارئ بعد أن لم تكن مقطوعة الكذب عنده، أو كان القطع بالكذب مسألة شخصية بدون أدلة كافية. وهذا هو الفعل الصحيح المتوقع من الناقل للأحداث. وهذا له قيمة تاريخية كبيرة بالنسبة إلى من جاء بعده، فإنه يستبطن معلومة مهمة في ميزان تقويم المقال وهي أن الطبرى، بعد حمله على حسن الظن في المورد الذى ليس محطاً للأهواء أو التأثير السياسي، لا يقطع بكذب تلك الأحداث، فلذلك نقلها. ففرق بين أن تنطمس الحادثة في غياب التسخين، أو أن ينقلها وتجعل في ميزان الجرح والجران.

وهذا كما أُشير لا يجعلنا نأخذ كل ما نقله الطبرى ونجعله من محمل الصدق

عندہ، بل ينبغي التفریق بین ما کان ذا بُعد عقائیدی او سیاسی تأثیر به الطبری، وبین ما لم يكن كذلك، فإنّ الطبری ليس بريئاً من الأهواء والظروف السياسية، ولذلك لا بدّ من إعمال ميزان زائد على مجرّد نقله، فكُلُّما كان المقول بعيداً عن هوی الطبری بأن كانت الحادثة لا علاقة لها بالخلاف المذهبی، او كان الذي نقله على خلاف مذهبہ، كُلُّما كان لنقله قيمة تاریخة أكبر نتيجة لخبر ویته وجامعیته، وأنّ المستبطن في نقله هو احتماله لصدق الحادثة على أقلّ التقادیر، وكُلُّما كان المقول أقرب من هواه كان هذا ضاراً بقيمتہ وزنه التاریخي، وكذلك ما كان موافقاً للسلطة.

وعلى كُلّ حال؛ فلا بدّ من إعمال سائر الموازين المعروفة لدى المحققين المذکورة في الكتب الممنهجة للتاریخ من عرض المشکوك على السیاق المقطوع من التاریخ وتقيیم مناسبة ذلك وملائمته لذلك الزمان، ومن ملاحظة الكتب التاریخیة الأخرى ونسبة التوافق بین المنقولات من مصادر مختلفة ومستقلّة، ومن ملاحظة الحجم التداویي للحادثة من خلال ملاحظة الكتب الواصلة إلينا والكتب غير الواصلة التي تُعرَف بـملاحظة كتب التراجم والفهارس.

### **مزيد نقد للمنهج التجزئي السندي في دراسة الحوادث التاریخية**

وهنا مجموعة من المقاربات التي لا بد من الإشارة إليها في نقد المنهج التجزئي السندي التدقیقی في كُلّ حادثة وواقعة. فنقول في هذا المقام:

**أولاً:** إنّ علم التاریخ ليس هو علم معرفة الأحداث صحيحة السند من الأحداث غير صحيحة السند، فلو كان الغرض هو ذلك فإنّ كُلّ واقعة جزئية

يمكن التشكيك فيها؛ لأنّ تاريخ البشرية وصل عن طريق نقولات تاريخية وذاكرة جماعية لا بأسانيد متصلة، وقد جرت عادة الأمم على الاعتماد على المقدار المعقول المتعارف من النّقل واعتبروا النّقل المحتمل الصحة مقتضياً كافياً لجواز الاعتماد على المنقولات ثم ما لم يوجد المانع فقد جرت سيرة الأمم على الاعتماد على تلك النقولات، ومع ذلك فإنّ تاريخنا له ميزة على غيره من الأمم بأنّه مسند في الجملة وفي كثير من موارده وهذا السنّد حتى لو لم يكن صحيحاً، لكن السنّد في ذاته يستبطن معلومات زائدة عما يوجد في المنقولات الكلاسيكية، فإنّ عدد الوسائل بين النّاقل والراوي يلقي الضوء على درجة الاعتماد، وأيضاً معرفة الزمن الذي عاش فيه الراوي وهل عاين الحادثة أم نقلها من الموروثات والمسموعات وغير ذلك من القرائن التي يمكن استخراجها من السنّد، ولو كان المنهج السندي هو المتبع لضاع تاريخ الأمم، ولم يبق له أثر، فمن هي الأمة التي نقل تاريخها بأسانيد صحيحة؟! ومن هي الطائفة التي وصل تاريخها بنقولات متواترة؟! إنّ هذا المنهج يساوي ضياع الهوية واضمحلال الماضي في كهوف النّسيان. وعلى هذا فلن تسلم حتى سيرة النبي ﷺ، فإنّ جميع ما عُلمَ من سيرته لم يُعلم بهذه الموارizin الدقيقة التي تفسد التاريخ وتخرج به عن محتواه وعن ماهيته وتصيره إلى حالات قياسية استنباطية برهانية لم تعهد عند واحدة من الحضارات.

ثانياً: على أننا نقول لو كان المؤرخون لا يذكرون إلا الصحيح معلوم الصحة أو ما قامت القرائن القطعية على وقوعه، كما هو الهدف الأسمى لبعض من يدعوا للدقّيق في التاريخ، فإنّ هذا يستلزم محاذير أكبر ومساوئ أعظم، فإنّ هذا يستلزم ضياع الصحيح الذي في ضمن السقّيم؛ ذلك لأنّ المنقولات التاريخية فيها الكثير

من الصحيح حتى لو كانت أسانيدها ضعيفة، لكن أصحاب المنهج السندي يدعون إلى عدم النقل ما لم يكن المنسوق قطعاً، إذَا سوف يضيع الصحيح.

ثالثاً: هذا مع أنَّ المقدار السقِيم أو المشكوك ليس دائمًا هو رواية مضادة ومخالفة للصحيح، بل كثيراً ما يكون من ارتدادات الصحيح ويكون حوادث جانبية لو ثبتت لزالت البصير بصيرة، ولو لم ثبتت لما كانت مضرّة بالأساس المعلومات. فالحوادث التي ترتسم منها الملامح التربوية ومكامن العبرة للأجيال القادمة هي على عموميتها، والتشكيك في بعض تفاصيلها لا يجعل منها حوادث يدخلها الشك. فليس من الحكمة أن يترك الناقل نقله، والحال أنَّ هذه الأحداث لا تؤثُّ سلباً لو كانت كاذبة، وتوجب بصيرة زائدة لو كانت صادقة. فهي مهمة من جانب، وغير مضرّة من جانب آخر، وهذا مكمن مهم في المهارة التحقيقية لمن جاء بعد زمن الناقل فإنَّ الحدث الأول الثابت حتى لو كذب الحدث الثاني، ليس على وزان الحدث الأول الذي لا يثبت إلا لو ثبت الحدث الثاني. وعلى كلا التقديرتين، فلا ينبغي إغفال النَّقل، بل مقتضى التحقيق السليم هو اكتشاف المتلازمات واستنباط المترابطات وإعمال النظر على هذا الوجه.

#### تنظير فقهي:

ويمكن التنظير لذلك؛ بالبحث الفقهي الذي يبحث فيه الفقيه عن الحجة في ما بينه وبين الله وتجده لا يقطع بالصحة الواقعية وبتصدور المضمون عن الإمام عَلَيْهِ السَّلَام بدرجة ١٠٠٪ ولكن مقتضى الحججية لزوم العمل بتلك الأخبار الظنية، فكذلك البحث التاريخي فهو لا يزيد على البحث الفقهي.

والبحث الفقهي متعلق بالجوارج والأفعال فهو ذو أثر عملي مؤثر فلا مبرر لجعل البحث التاريخي أكبر درجة من ذلك، مع ملاحظة الحال التي عليها التاريخ في اعتبار الناس وأن طبيعة البشرية دَرَجَت على قبول المقدار المعقول من النقل التاريخي الذي نعرفه وعرفته سائر الحضارات ما لم يكن مشوباً بمحاذير موضوعية.

### ولك جواباً آخر:

فإن لم تقبل هذا الكلام فلا بدّ من ملاحظة مسألة مهمة وهي أنّ أكابر المؤرّخين عندما ينقلون الأحداث فهم لا يجزمون بوقوعها كما صرّحوا بذلك، فما بالك بمن ينقل عن هؤلاء المؤرّخين كمن يصعد المنابر أو ينقلها في كتبه ومحاضراته فهو قطعاً لا يقصد القطع والجزم بوقوعها، بل هو ينقلها بنقاها المعروف الموجود في الكتب ويوردها بوردها المعلوم على ما هي عليه من موقعية تاريخية درجت على الاعتماد عليها وعلى مستوىها سيرة البشرية وطبيعة هذا الفن وكبار المؤرّخين في الشرق وفي الغرب وفي الماضي وفي الحاضر وإنّ الإصرار على المنهج السندي لهو خروج عن هذه الطريقة المألوفة والسيرة المعروفة، وهناك فرق واضح بين المنهج السندي التدقيقى والمنهج التاريخي التحقيقى الذي ذكر المؤلفون في فلسفة ومنهجية البحث التاريخي شروطه ورسموا خطوطه كما يعرفه من لاحظ كتب المسلمين وغيرهم من أصحاب هذا الفن.

ثم لو تناول المتحدث على المنبر شخصية تاريخية ذات حسناً عظيمة، وملكات منيفة، ونسب لها من الأفعال الجميلة ما كان في الواقع لم يفعله، ولكن

كان فعل شيئاً مشابهاً له، أو كان من شأنه أن يفعله ولكن لم يحصل ذلك بالفعل، فإن هذا النمط من النقولات قطعاً وارد في الشخصيات العظيمة في التاريخ، ولا ينبغي ترك المدح والثناء ما دام النقل محتملاً للصحة، ومادامت هذه الشخصية بلا شك تتّصف بهذه الصفة من الكرم أو الشجاعة، ومن شأنها أن تفعل الفعل المذكور أو أن تقول القول المناسب إليها، غاية الأمر إن هذا النقل هو خبر واحد قد لا تكون قالته أو فعلته في هذا الظرف بالذات، ولكنه صدر منها ما يماثله في ظرف آخر أو بتفاصيل أخرى مشابهة. فإن المتحدث على المنبر مثلاً ليس مراده الجدي أن يُحْبِر السامع بأنّ هذا الشيء وقع يقيناً، بل مراده هو إسباغ المدح واستلهام العزة من هذه الشخصية. فما دام المتحدث قد دأب على طريقة البشرية جماء من الاعتماد على مثل هذه المقولات المحتملة الصحة، لا سيما في مثل الشخصيات العظيمة التي لو لم تتلبّس بهذا العمل بالفعل فإنّ من شأنها ذلك قطعاً ويقيناً، وكانت قد تلبّست بشبيهه وموالئه، فلا يجد المنصف من نفسه محلاً للإيراد والإشكال، بل هو فعلٌ حسنٌ معقولٌ مقبول، والمحاذير المتوجهة من الكذب والابتداع كلّها مردودة بملاحظة المقام ودأب الناس وماذا يفهمون من المقام وأيّ شيءٍ يرتّبون عليه.

ومنه يعلم ما لو نسب وقوع حادثة على أولئك الأبرار الآخيار مما لم يفعلوه هم بأنفسهم أو يقولوه، ولكنه وقع عليهم وجراً فيهم فالميزان واحد والمنظر إليه واحد؛ فالمصيبة الواقعة عليهم ليس المهم فيها أولاً وبالذات هو الحادثة بما لها من تفصيل دقيق، بل إنّ هذه الثلّة كانت في هذا الظرف الذي لو وقع عليهم ذلك لكان مناسباً لذلك الظرف وكان موقعهم محزاً لدينا بالقطع واليقين ولسان

حالم ينطق بما ذُكِر، فلا يترك النّقل لما ورد في التاريخ بالفعل تحسّباً لاحتمال عدم كونه هو الذي وقع بالفعل، وأنّ الذي وقع بالفعل لربما كان شيئاً آخر بالدقة، بعد أن كان محتمل الصحة في نفسه بما عليه من التفصيل المنقول، أو كان مناسباً للواقع وكان نقله بنحو من التعبير الأدبي، واستنطاقاً للسان الحال تماماً، كما كان يفعل الشعراة الأوائل في وصف بطولاتهم في الحرب أو في السّلم فإنّهم يزيدون عليها ما يَعْلَم السامع أنه مزید، ويكون واعياً بأنّ هذا الكلام الذي يقوله الشاعر لم يقع ولم يُشاهَد، لكن السامع يأنس بالإبداع التخييلي والبراعة البلاغية مما كان الخيال فيه أبلغ تعبيراً وأصدق انعكاساً لواقع ما عليه القلب من حزن وشجى أو عزّة وافتخار، فما دام السامع يتلقّى ذلك من زاويته الصحيحة، وكان المبدع ما حكى به إلا تلك الأحساس والمشاعر العميقـة، فليس الحاكي حاكياً عن الواقع ولا يُريد ذلك ولا يتربّب منه ذلك ولا الناس يفهمون منه ذلك، وإنّها هو في وادي التعبير والإبداع وكان ما ذكره أبلغ وما صنعه أوفق وإلى النّفوس أقرب وإلى هدفه أسرع.

فهذا الذي صنعه هو المترقب منه، والمطالب به حتى لو كانت الحوادث حاضرة لدى النّاس بدرجة يقينية وكانوا قد حضروا بأنفسهم تلك الحادثـة، فلا يستوحشون لو تخيلـل الشاعر حال الغلام الذي قضى صابراً محتسباً في زهرة شبابه، وريغان عمره، فصوّره متزوجاً، وأمّه فرحة مستبشرـة، ثم أمسكته حبائل المنية، ونزلت به نوازل البليـة، شهيداً على درب الفضيلة، مؤثراً العزّة على الرذيلة، وملقياً بالدنيـا وراء ظهرـه، مر جلاً نحو آخرـته ورمـسه، إنّ هذا لمن التصوير الـبديع والفن الجـميل، فلا ينبغي اغتيالـه ووضعـه في غير سياقه، ثم الإشكـال عليه



والتوهين منه، والحال أَنَّه لم يرد من لوحته حكاية الواقع بأخذاته، وإنَّها حكى الواقع بمشاعره وأحاسيسه، وهذا هو غرضه وهذا هو سياقه.

ولك أن تأخذ على ذلك نظيرًاً مما كتبه المؤرخون عن المعارك في التاريخ غير معركة كربلاء، أو تاريخ الثورات والأحداث المصاحبة لها، وما أكثر تلك الأحداث، فإنَّك تجد الكثير من التفاصيل التي لا يجزم أحد من المحققين بصحتها جزماً ويقيناً، ولكنَّها تشكُّل ذاكرة تاريخية محظوظة أثر واهتمام للناس، وهم لا يأخذونها مأخذناً ذاتياً، ولا غرض لهم في أن يصح كلّ حدث ولكنهم يُدْرِكُون بذلك الجو العام للحدث، ويوجب لهم من الخيال ما لو لم يكن واقعاً لكان تعبيراً صادقاً ومقرباً مُدْنياً دقيقاً.

إنَّ من مجموع تلك الحوادث تستخرج الحضارات جذورها، وإنَّ محظوظ الأثر يكون ناتجاً عن مجموع تلك النقولات التي كثير منها صحيح في نفسه فالصورة العامة بضميمة الموازين التحقيقية تصل للأجيال المتأخرة، وهي ترتُب الأثر عليها، وتنقش حاضرها بملامح ماضيها.

### الخاتمة:

لا بدَّ من وضع التاريخ في سياقه الطبيعي له، وفي إطاره الحضاري بالكيفية التي اعتمدت عليها الأمم منذ بداية تدوين التاريخ إلى اليوم. فالمنهج السندي التدقيقي لا محلَّ له في هذه المنظومة العريقة الضاربة الجذور في الزمن فالنّاقل للتاريخ نسبته الحدث للواقع تتناسب مع حقله الذي يعمل فيه وانطلق منه وليس هي تلك النسبة الدقيقة الجزمية والحكاية القطعية الأكيدة للأحداث

الحسية التي يشاهدها بنفسه، بل هي النسبة الفطرية المتعارفة التي يفهمها كل من يسمعها على ما هي عليه فإن السامع يجد من نفسه فرقاً في فهم حادثة نقلها الناقل عن عيان أو حادثة نقلها من كتب التاريخ فهو بجبلته يعلم المقام، ويقيس الحال، والمنهج السندي فيه ضياع ماضي الأمم وجمود التاريخ.

والخلاصة؛ إن كل مقام له مقال، ولا ينبغي تحمل التاريخ ما لا يحتمله كما لا ينبغي تحريره عن موازينه وما يتطلبه، لا سيما في مثل الأحداث المقطوعة أو الشخصيات العظيمة التي ربما كان المنسوب إليها فعلاً يشابه الفعل الذي فعلته وليس هو بعينه، أو كان المذكور من كونه واقعاً عليها مناسباً لحاله التي كان يعيشها حين الحدث، فإن في هذه الحالات ما دام الحدث محتمل الوقع احتمالاً معتمداً به أو كان في سياق التعبير عن حاله التي كان يعيشها بصور بد菊花ة وخيالات فائقة، فلا يوجد مانع من نقله والتأثير به بعد ما سلف توضيحه وتقدم

. بيانه<sup>(١)</sup>.

(١) تاريخ الطبرى، تحقيق وتعليق الأستاذ عبد الأمير علي مهنا.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ  
فَلَمَّا دَرَأَ الْمُؤْمِنُونَ  
مَوْسَىٰ بَلَى

# حكم المسبوق من حيث القراءة

الشيخ محمود حسن العالى

## الملاخص:

تعرّض الكاتب إلى حكم قراءة المسبوق في صلاة الجماعة، وعدد الأقوال والقائلين بها، ثم ذكر منشأ الخلاف في المسألة الذي هو أمران: أوّلها تعارض الأدلة وثانيها النّص الخاص. وحاكم الرواية المذكورة في المقام، ثم بحث في دلالتها على لزوم قطع الحمد ومتابعة الإمام في الركوع أو دلالتها على جواز ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الهداة المهديين.

### ما هو حكم المسبوق إذا لم يمهله الإمام لإكمال الفاتحة؟

#### الأقوال في المسألة:

اختللت كلمات الأعلام في المسألة على أقوال:

**القول الأول:** قطع الحمد والركوع مع الإمام أو قصد الانفراد. وفي صورة القطع لا تجب إعادة الصلاة، وإليه ذهب السيد الفيروز آبادي في تعليقه على العروة<sup>(١)</sup>.

**القول الثاني:** جواز الإتمام واللحوق به بالسجود ويجوز قصد الانفراد، واختاره السيد الإمام الخميني للله<sup>(٢)</sup>.

**القول الثالث:** الاحتياط بالاقتصار على الإتمام والأحوط منه إعادة الصلاة، وهو ما اختاره السيد الگلبایگانی للله<sup>(٣)</sup>.

**القول الرابع:** الاحتياط في الانفراد، واختاره السيد البروجردي للله<sup>(٤)</sup>، وجعله

(١) العروة الوثقى، أحكام الجمعة، م ١٨، ج ٣، ص ١٦٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر، وتعليقه على قول المصنف: "أو قصد الانفراد" هكذا: "هذا عندي أقرب الوجوه، ولكن لا ينبغي معه الاحتياط بالإعادة أيضاً".

الآغا ضياء<sup>(١)</sup> هو المتعين والميرزا<sup>(٢)</sup>، ووافقهما السيد الخوئي<sup>(٣)</sup>.

القول الخامس: الاستشكال في قطع الفاتحة.

قال السيد<sup>(٤)</sup> في العروة الوثقى في المسألة رقم (١٨) في أحكام الجماعة: "... وإذا لم يدرك الأوليئين مع الإمام وجوب القراءة فيهما لأنهما أؤلنا صلاته، وإن لم يمهله الإمام لإتمامها اقتصر على الحمد وترك السورة وركع معه، أما إذا أوجله عن الحمد أيضاً فالأحوط إتمامها واللحوق به في السجود أو قصد الانفراد، ويجوز له قطع الحمد والركوع معه لكن في هذه لا يترك الاحتياط بإعادة الصلاة".

### منشأ الخلاف في المسألة وسبب تعدد الأقوال

#### الأمر الأول: التعارض بين الأدلة

التعارض بين أدلة وجوب القراءة وبين دليل وجوب المتابعة أو الدليل الخاص وهو النص.

قال في الحدائق: "قد عرفت مما قدمنا من الأخبار وجوب القراءة على المسبوق في أولئك، فلو اتفق أن الوقت ضاق عن القراءة كملًا على وجه يدرك الإمام في الرکوع، فهل يقرأ وإن فاته إدراك الرکوع فيقرأ ويلحقه في السجود أو

(١) العروة الوثقى، أحكام الجماعة، م ١٨، ج ٣، ص ١٦٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

يترك القراءة ويتابعه في الركوع؟ إشكال ينشأ من وجوب القراءة كما عرفت ومن وجوب المتابعة وانفساخ القدوة بالإخلال بها في ركن ... إلخ<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا يُتنَى الخلاف فمن قدم دليل وجوب القراءة على المتابعة قال بلزم القراءة أو إتمامها ثم الالتحاق بالإمام في أيّ موضع مثل السجود، ومن قدم دليل وجوب المتابعة قال بقطع القراءة.

ولكن تقديم أحد الدليلين على الآخر يحتاج إلى دليل، فتقديم دليل القراءة ورفع اليد عن إطلاق المتابعة يحتاج إلى دليل، وكذا تقديم إطلاق دليل المتابعة على إطلاق دليل القراءة يحتاج إلى دليل، فكُلّ منها مطلقاً يجب العمل به، ولا مبرر لتقديم أحدهما على الآخر، فيحتاج إلى دليل خاص.

### الأمر الثاني: النص الخاص

وقد يستدلّ على رفع اليد عن إطلاق دليل المتابعة بما جاء في صلاة الجمعة وهو ما رواه الصدوق عليه السلام في الصحيح عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي الحسن عليه السلام: «في رجلٍ صلّى جماعةً يوم الجمعة، فلما ركع الإمام أجزاء الناس إلى جدار أو أسطوانة، فلم يقدر على أن يركع ولا يسجد حتى رفع القوم رؤوسهم، أيركع ثم يسجد ثم يقوم في الصف؟ ، قال: لا بأس»<sup>(٢)</sup>.

ولكن التعدي عن مورد صلاة الجمعة إلى غيرها يتوقف على الجزم بإلغاء الخصوصية، ويكتفى في دفعها احتفال الخصوصية لصلاة الجمعة.

(١) الحدائق الناضرة، الحقigorani، ج ١١، ص ٢٤٨.

(٢) وسائل الشيعة، الباب ١٧ من أبواب صلاة الجمعة وآدابها، ح ١.

وبما أنه لا يمكن تقديم أحد الدليلين على الآخر فلا يمكن رفع اليد عن إطلاق دليل القراءة، وكما لا يمكن رفع اليد عن إطلاق دليل وجوب المتابعة.

فيكون المورد من موارد تعذر امتناع الأمر بالجماعة، نظير ما لومات الإمام أو حدث له حدث فتقلب الصلاة إلى فرادي قهراً من دون حاجة إلى نية الانفراد فيسقط الأمر بالجماعة في المقام، وهذا الوجه الفني لفتوى جماعة من الأساطين كالمرحوم الميرزا قيّىن، وتلميذه المرحوم السيد الخوئي عليه السلام، وغيرهما من انقلابها فرادى أو قصد الفرادي.

هذا ولكن يمكن أن يقال إنَّ الأوجه هو القول الأول وهو قطع الحمد والالتحاق بالإمام في الركوع، ووجهه صححه معاوية بن وهب قال: "سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يدرك آخر صلاة الإمام وهي أو صلاة الرجل فلا يمهله حتى يقرأ فيقضي القراءة في آخر صلاته؟ ، قال: «نعم»<sup>(١)</sup>.

ودلالتها على سقوط القراءة واضحة من حيث إنَّ الإمام قرر الراوي على ترك القراءة عند عدم إمهال الإمام، وتضمن الرواية لتعيين القراءة في آخر الصلاة بعنوان القضاء أو حتى لا تخلو الصلاة من قراءة الفاتحة إذ «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»<sup>(٢)</sup> لا يضر بالاستدلال بها.

هذا ولكن السيد الخوئي عليه السلام أشكل على الاستدلال بالصححة من جهة حمل

(١) وسائل الشيعة، الباب ٣٠ من أبواب القراءة في الصلاة، ح ٥.

(٢) عوالي اللثالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج ١، ص ١٩٦.

المراد من آخر صلاة الإمام على إدراكه حال فوات محل القراءة أي أدركه وهو راكع، ومن الواضح سقوط القراءة حينئذ وعدم تكليف المأمور بها فلا دلالة للصحيحة على المدعى<sup>(١)</sup>.

**وجوابه:**

**أولاً:** إن للرواية إطلاق يشمل صورة ما إذا أدركه حال قيامه قبل الركوع، فإنّه يصدق أيضا آخر صلاة الإمام، وحمله على خصوص إدراكه حال الركوع بلا وجه، وبعبارة أخرى قوله: «عن الرجل يدرك آخر صلاة الإمام» بلحاظ الحالة التي يمكن الالتحاق فيها بالإمام وهي إما حالة قيامه أو حالة رکوعه.

**ثانياً:** إن الذي يناسب تعبير الراوي وهو قوله: «فلا يمهله حتى يقرأ» هو إدراكه حالة قيامه لا حالة الركوع، لوضوح أن لو أدركه وهو راكع لا معنى لقوله: «لا يمهله حتى يقرأ» لفوات محل القراءة ضرورة والدخول في الركوع مع الإمام.

**ثالثاً:** إن ما أفاده مخالف لظاهر الرواية جداً.

ويؤيد صحية معاوية بن وهب ما روی في كتاب الدعائم عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إذا سبق أحدكم الإمام بشيء من الصلاة، فليجعل ما يدرك مع الإمام أول صلاته، وليرأ فيها بينه وبين نفسه إن أمهله الإمام، فإن لم يمكنه قرأ فيها يقضي...»<sup>(٢)</sup>، فتدل بمفهومها على عدم لزوم قراءة الفاتحة على تقدير عدم إمهال الإمام.

(١) شرح العروة الوثقى، الصلاة، (موسوعة الإمام الخوئي) ص ٢٦٦.

(٢) دعائم الإسلام، ص ١٩١، باب ذكر صلاة المسبوق ببعض الصلاة، ومستدرك الوسائل، الباب ٣٨ من أبواب صلاة الجمعة، ح ١.

فإنما يقتضي أن الصريحة ظاهرة الدلالة على تقديم دليل وجوب المتابعة على إطلاق دليل وجوب القراءة.

**دلالة الرواية على لزوم قطع الحمد ومتابعة الإمام في الركوع أو جوازه**  
ويبيّن هل الصريحة تدل على لزوم قطع الحمد ومتابعة الإمام في الركوع أو الجواز؟

عبر جملة من الفقهاء بالجواز كالسيدين الإمام الخميني رض والسيد السيستاني ره، ويستدلّ لها بأنّ غاية ما دلت عليه الرواية من خلال إقرار الإمام علیہ السلام على ترك القراءة هو الجواز، إذ لا يوجد لفظ حتى نستفيد منه الوجوب، بل غاية ما يدلّ عليه تقرير الإمام علیہ السلام هو الجواز.

ولكن هناك من الفقهاء - وهو المرحوم السيد الفيروزبادي رحمه الله - ظاهر عبارته في التعليقة في العروة هو لزوم القطع، ولعله عملاً بظاهر ما دلّ على وجوب المتابعة.

أما القول بالتخير بين قطع الحمد أو إكمالها أو قصد الانفراد، فوجهه واضح بعد تعارض دليل القراءة مع دليل وجوب المتابعة، وعدم إمكان الجمع بينهما، وعدم وجه ترجيح أحد هما على الآخر فيتخيّر بين ذلك، وفيه أنّه مع ملاحظة صريحة معاوية بن وهب على قطع الحمد واللحوق بالإمام في الركوع، فلا وجه لذلك.

(١) قال رض: "بل الأقوى قطع الحمد، والركوع معه، أو قصد الانفراد ولا يجب في الأول إعادة الصلاة". العروة الوثقى، ج ٣، ص ١٦٥.

اللهم  
حاجي  
محتاج  
أو حاج

# اعتبار الفصل بين العُمرتين ومقداره وعده

الشيخ علي فاضل الصدقي

## الملاخلص:

بحث الكاتب في مسألة الفصل بين العمرتين من جهة اشتراط الفصل بينهما من عدمه فكانت الروايات الدالة على ذلك على ثلاث طوائف:

أولاها: ما يظهر منها كون العمرة لكل عام لكنّها محمولة على عمرة التمتع وغير ذلك.

ثانيتها: ما يستفاد منها على أنّ لكل شهر عمرة.

وثالثلتها: ما يدل على كفاية الفصل بعشرة أيام حتى لو لم يتغير الشهر. وبعد عرض طوائف الروايات ذكر ما يمكن أن يكون جماعاً بينها ليتبيّهي إلى نتيجة مفادها اعتبار الفصل بين العمرتين بتغيير الشهر لا غير ذلك.

**المقدمة:**

لا شبهة في أصل مشروعية واستحباب تكرار العمرة -كما الحجّ-، والروایات في الدلالة على ذلك بال المباشرة وبغيرها كثيرة جدًا<sup>(١)</sup>.

وإنما الكلام في اعتبار الفصل بين العمرتين وعدمه، وفي مقدار الفصل على تقدير اعتبار أصل الفصل، ومنشأ الاختلاف في مقدار الفصل -وكذا في أصل الفصل- هو اختلاف الروایات، وبكل رواية قائل، وهي على طائفـ ثلات:  
**الطائفة الأولى:** ما ظاهره عدم مشروعـ العمرة الثانية في السنة الواحدة، وهي روایات ثلات:

إحداها: صحيحـ الحلبـي عن أبي عبد الله عـلـيـهـ قال: «العمرة في كل سنة مرّة»<sup>(٢)</sup>. والثانية والثالثة: صحيحـ حرـيزـ وزـرـارةـ بنـ أـعـينـ عنـ أبيـ عبدـ اللهـ عـلـيـهـ، وـعنـ أبيـ جـعـفرـ عـلـيـهـ قالـ: «لـاـ يـكـونـ عـمـرـتـانـ فـيـ سـنـةـ»<sup>(٣)</sup>.

وهذه الروایات وإن كانت صحيحـ السـنـدـ، إـلـاـ أـمـهـاـ مـنـ مـتـفـرـدـاتـ الشـيـخـ عـلـيـهـ فيـ التـهـذـيـبـينـ<sup>(٤)</sup>، وـقـدـ حـلـهـاـ عـلـىـ عـمـرـةـ التـمـتـعـ.

وقد نسبـ العـلـامـ يـتـيـبـ فيـ المـخـلـفـ القـولـ باـعـتـبارـ تـغـيـرـ السـنـةـ إـلـىـ الـعـمـانـيـ عـلـيـهـ<sup>(٥)</sup>،

(١) انظر: وسائل الشيعة ١٤: ٣٠٨، ٣٠٩ ب٦ من أبواب العمرة ح٣، ٨، الوسائل ١١: ٢٥١ ب٤ من أبواب أقسام الحجّ ح١٨.

(٢) وسائل الشيعة ١٤: ٣٠٩ ب٦ من أبواب العمرة ح٦.

(٣) وسائل الشيعة ١٤: ٣٠٩ ب٦ من أبواب العمرة ح٧.

(٤) والكلام فيها قد تعرّضـتـ لهـ فيـ رسـالـةـ حـولـ (حـلـيـةـ ماـ مـاتـ مـنـ السـمـكـ فـيـ مـصـيـدـتـهـ) المـنشـورةـ فـيـ العـدـدـ ٩٠ـ مـنـ مجلـةـ فـقـهـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـ.

(٥) انظر: مختلفـ الشـيـعـةـ ٤: ٣٥٩.

وحكى عنه قوله: "قد تأول بعض الشيعة هذا الخبر على معنى الخصوص، فزعمت أنها في الممتنع خاصة، فأماماً غيره فله أن يعتمر في أيّ الشهور شاء وكم شاء من العمرة، فإن يكن ما تأولوه موجوداً في التوقف عن السادة آل الرسول ﷺ فما مأخوذ به، وإن كان غير ذلك من جهة الاجتهاد والظن فذلك مردود عليهم، وراجع في ذلك كله إلى ما قاله الأئمة علية السلام<sup>(١)</sup>"، وهذا النقل بمحرّده غير صريح فيها نسب إليه.

وعلى كلّ تقدير فهذه الروايات من غير تأويل مما يقطع ببطلان مضمونها بالروايات المتضافة والمستفيضة الآتية النّاصحة على أنّ لكلّ شهر عمرة، بل قد ادعى تواترها إجمالاً<sup>(٢)</sup>، وكذا بالسيرة العملية القطعية من المسلمين على تكرارها في السنة الواحدة، وفي رواية ابن أبي حمزة الآتية: "لقد كان في عامي هذه السنة ستّ عمر، قلت: ولم ذاك؟ قال: كنت مع محمد بن إبراهيم بالطائف، وكان كلما دخل دخلت معه".

**الطائفة الثانية:** ما استفاض من أنّ لكلّ شهر عمرة، وهي جملة وافرة من الروايات، وأكثرها صحيح.

**أولاً:** صحيح عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله علية السلام قال: «في كتاب علي علية السلام في كلّ شهر عمرة»<sup>(٣)</sup>.

**والثانية:** صحيح معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله علية السلام قال: «كان علي علية السلام يقول: لكلّ شهر عمرة»<sup>(٤)</sup>.

(١) مختلف الشيعة ٤: ٣٥٩.

(٢) انظر: مستمسك العروة الوثقى ١١: ١٤٦، تعليق مبسوطة على العروة الوثقى ٩: ٥٦.

(٣) وسائل الشيعة ١٤: ٣٠٧ بـ٦ من أبواب العمرة ح ١.

(٤) وسائل الشيعة ١٤: ٣٠٨ بـ٦ من أبواب العمرة ح ٤.

والثالثة: صحيحة يونس بن يعقوب وموثقته قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان علي عليه السلام يقول: لكل (في كل) شهر عمرة»<sup>(١)</sup>.

والرابعة: صحيحة إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «السنة اثنا عشر شهراً، يعتمر بكل شهر عمرة»<sup>(٢)</sup>.

وقد نقلها في الجوادر مذيلة بذيل رواية ابن أبي حمزة - المرويّة في الفقيه<sup>(٣)</sup>، ولكن لا وجود لرواية بهذه الصورة فيما بأيدينا من مصادر، ولعلّ منشأ الاشتباه تواري الروايتين في الوسائل، فتم التلفيق بين صحيحة إسحاق وبين ذيل رواية البطائني، والعصمة لأهلها.

ومن روایات هذه الطائفۃ صحيحة إسحاق بن عمار الآتیة.

ويؤیید هذه الصحاحت رواية قُرب الإسناد للحمیری بسنده الصحيح عن أَحْمَد بْنُ حَمْدَ بْنِ أَبِي نَصْرِ عَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ الْأَنْعَامُ قال: «لكل شهر عمرة»<sup>(٤)، (٥)</sup>.

وقد يناقش في دلالة هذه الطائفۃ على اعتبار الفصل بين العمرتين بشهر بأنّ المراد من قوله تعالى: «لكل شهر عمرة» - بعد إرادة الشهر الهلالي من الشهر - كما يحتمل أن يكون عدم مشروعیة عمرتين فيها بين الهلالين، وأنّ لكل شهر هلالي

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٣٠٨، ٣٠٧ بـ ٦ من أبواب العمرة ح ٥، ٢.

(٢) وسائل الشيعة ١٤: ٣٠٩ بـ ٦ من أبواب العمرة ح ٨.

(٣) جواهر الكلام ٢٠: ٤٦٣.

(٤) وسائل الشيعة ١٤: ٣٠٩ بـ ٦ من أبواب العمرة ح ١١.

(٥) وإنّا جعلتها مؤيّدة لمشكّل يرتبط باعتبار كتاب (قرب الإسناد) تعرّضت له في رسالة (المسوخ وأحكامها) المنصورة في العدد ٢٣ من مجلة رسالة القلم.

عمره واحدة على ما فهمه سيد الأعظم قطن<sup>(١)</sup>، فيكون الفاصل بين العمرتين هو رؤية الهلال الذي قد ينطبق على ثلثين يوماً، وقد ينطبق على الأقل منه بكثير، بل ربما ينطبق على يوم واحد، كما لو اعتمد في اليوم الأخير من رجب ثم اعتمد في اليوم الأول من شعبان، فالاعتبار بصدق تعدد الشهر حتى لو اعتمد في اليوم الأخير من رجب ثم اعتمد في ليلة اليوم الأول من شعبان.

(نعم كما يحتمل ذلك) يحتمل أن المراد من قوله عليه السلام: «لكل شهر عمرة» أن العمرة مشروعة في كل شهر، فينافي الإitan بها في كل شهر، وقد يستفاد ذلك من قوله عليه السلام في صحيح إسحاق: «يُعتمَر لكل شهر عمرة»، ومن صحيحه ابن عمار الآتية، ولا نظر له إلى الأقل من الشهر، فهو في مقابل ما عليه بعض العامة من عدم مشروعيتها لأكثر من مرّة في السنة، قال الشيخ رحمه الله في الخلاف: "يجوز أن يعتمد في كل شهر، بل في كل عشرة أيام، وقال أبو حنيفة والشافعي: له أن يعتمد ما شاء، وقال مالك: لا يجوز إلا مرّة، وبه قال سعيد بن جبير والبنّخي وابن سيرين"<sup>(٢)</sup>.

ولكن يدفع هذا الاحتمال بعض ما يشهد لاعتبار تغاير الشهر رغم أن مورده فرض فصل عشرة أيام، وهو صحيحه زراراة الآتية.

**الطائفة الثالثة:** ما دل على كفاية الفصل بعشرة أيام، وهم روایتان، الأولى: ما رواه في الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن إسماعيل بن مرار عن يونس عن علي بن أبي حمزة قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الرجل يدخل مكة في السنة المرة والمرتين والأربعة كيف يصنع؟ قال: «إذا دخل فليدخل مليباً، وإذا خرج فليخرج

(١) انظر: مستند العروة الوثقى (الحج) ٢: ١٧٩.

(٢) الخلاف: ٢٦١.



مَحْلًا، قَالَ: وَلِكُلِّ شَهْرٍ عُمْرَةُ، فَقُلْتَ: يَكُونُ أَقْلَى؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ (لِكُلِّ) عَشْرَةِ أَيَّامٍ عُمْرَةُ، ثُمَّ قَالَ: وَحَقًّكَ لَقَدْ كَانَ فِي عَامِي هَذَا السَّنَةِ سَتُّ عُمَرَ، قَلْتَ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: كُنْتُ مَعَ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بِالْطَّائِفِ، وَكَانَ كُلُّمَا دَخَلْتُ دُخْلَتْ مَعَهُ»<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ الحرس الله بعد أن أوردها، ورواه الصدوق بإسناده عن القاسم بن محمد عن علي بن أبي حمزة مثله. إلا أنّ الذي رواه الصدوق الله منها هو صدرها خاصة<sup>(٢)</sup>.

كما أنّ الشيخ الله رواها في التهذيبين بإسناده عن محمد بن يعقوب، ولكنّها في الاستبصار-المطبوع - بسنته عن محمد بن يعقوب عن رجل عن عليٍّ عن أبيه<sup>(٣)</sup>، وقد رواها التهذيب بسنته عن محمد بن يعقوب عن عليٍّ بن إبراهيم بلا توسط أحد<sup>(٤)</sup>، كما هي في الكافي، بل كُلَّ روایات الكافی عن عليٍّ بن إبراهيم إنما هي بال المباشرة، إذن فما في الاستبصار غلط.

ثُمَّ في سند الكافي ابن مرّار، ولم يوثق، وابن أبي حمزة، وهو البطائني المعاند المفترى الفاجر، ولكن يمكن تجاوز كلتا المشكتين، أمّا ابن مرّار فملخص الكلام في وثاقته أنه من رجال نوادر الحكمة، ولم يستثن روایته القميون - ابن الوليد وابن بابويه وابن نوح -، وبيان الصغرى، وجملة ما يتعلّق بوثاقته ابن مرّار قد تعرّضت لها في أحدى الرسائل<sup>(٥)</sup>، كما أنّ تمامية كبرى الوثاقة قد تعرّضت

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٣٠٨ ب٦ من أبواب العمرة ح٣.

(٢) انظر: من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٣٩ (١١٤١).

(٣) انظر: الاستبصار ٢: ٣٢٦ (١١٥٨).

(٤) انظر: تهذيب الأحكام ٥: ٤٣٤ (١٥٠٨).

(٥) انظر: رسالة في (أدنى الحلّ ميقات أيّ نسك)? المنشورة في العدد ٥٠ من مجلّة (ميقات الحجّ).

لها في ملحق لرسالة أخرى<sup>(١)</sup>، ولا طائل في الإعادة.

وأماماً البطائني فإنه كان ثقة قبل الوقف، وروايته قبله معتبرة، ولكن بافتراضه الوقف وإصراره عليها عاد كاذباً فاجراً، فما علينا إلا تمييز روايته قبل الوقف عن روايته بعده، وروایة أحد أجلاء الطائفة عنه شاهدٌ على كون الروایة سابقةً على الوقف؛ إذ قد اعتزلت الواقفة سيئاً فجّارها، والبطائني أحدهم، من قبل أجلاء الطائفة ورجالاتها، وروایة المقام قد رواها عنه يونس، فهي قبل الوقف لا محالة، فهي معتبرة.

وقد نوقشت دلالتها في بعض الكلمات بوجود مثل التهافت فيها، فإن المراد من قوله عليه السلام: «لكل شهر عمرة» إن كان أهمية العمرة واستحبابها، وأنها بمثابة ينبغي أن يؤتى بها في كل شهر - فلا مجال للسؤال بنـ: يكون أقل؟؛ إذ لا منافاة بين ما قاله الإمام عليه السلام وبين الأقل من الشهر أصلاً؛ فإن التحضيض على عدم ترك العمرة في الشهر لا ينافي استحبابها في كل يوم، وفي اليوم الواحد متعددة، وإن كان المراد من قوله عليه السلام: «لكل شهر عمرة» بيان الضابطة، وأن مشروعية العمرة منحصرة بصورة فصل الشهر - لزم التهافت؛ لأن الحكم باعتبار الفصل بالشهر لا يجتمع مع تجويز الفصل بالأقل وبنحو الضابطة، وإلا لزم لغوية الضابطة الأولى<sup>(٢)</sup>.

وفيه: أنه على التقدير الأول لما لم يكن ثمة تنافٍ بين مطلوبية العمرة في كل شهر ومطلوبيتها في الأقل دواعي السؤال مفتوحة، ولو عن رتبة من المطلوبية أدنى من الأولى. وأنه على التقدير الثاني قد كشف جواب الإمام عليه السلام عن كون ما ذكره أولاً ليس ضابطةً لازمة، ليكون فصل شهر واجباً شرطياً لصحة العمرة

(١) انظر: الملحق لرسالة (إجزاء الوقف مع العامة وعدمه) المنشورة في العدد ٣٦ من مجلة (رسالة القلم).

(٢) انظر: تفصيل الشريعة (ك الحج) ١٢: ٢٨٤.

الثانية، بل هو -لو صَحَّ التعبير- ضابطة لرتبة عالية من استحباب العمرة، نعم ما ذكره عليه أولاً ضابطةً بمعنى الأول لو خلّينا وإياه، وبقطع النّظر عن جواب السؤال. فلا يوجد على التقديرين مثل التهافت فضلاً عن نفس التهافت بين قوله عليه: «لكلّ شهر عمرة» وبين السؤال عن الأقلّ.

**الرواية الثانية:** ما رواه في الفقيه بإسناده عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي الحسن موسى عليه قال: «لكلّ شهر عمرة»، قال: وقلت له: أيكون أقلّ من ذلك؟ قال: «لكلّ عشرة أيام عمرة»<sup>(١)</sup>.

ولكنّها ضعيفة؛ فإنّ طريق الصدوق عليه إلى ابن أبي حمزة وإن كان فيه محمد بن عليّ ماجيلويه، ولا توثيق له بالخصوص، إلا أنه مِن أكثر الصدوق عليه من الترمي عنه، بل قلّما يذكره في كتبه من دون ترجمة أو ترّضي عنه، والترمي ليس مغضّ دعاء بل هو تحليل واحترام للمترمي عنه، فهو على نسق قوله في حقّ بعض الأموات من العلماء: قدس سره؛ فإنه للتجليل<sup>(٢)</sup>، ولا حاجة لتوثيق الراوي بعد ثبوت جلالته.

نعم الرواية ضعيفة من جهة أنه لم يثبت كون رواية البطائني قبل الوقف؛ فإنّ الراوي لكتابه ولروايته هذه هو أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، وهو وإن كان أحد أجيال الطائفة ورجالاتها إلا أنه قد دخل في الوقف، وإن خرج عنه، فلا

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٣٠٩ ب٦ من أبواب العمرة ح ٩.

(٢) وقد حدّثنا الأستاذ السيد منير الحباز (دامت بركاته) عن أستاذ الميرزا جواد التبريزي عليه عن أستاذ الميرزا عبد الهادي الشيرازي عليه أنه رأى أستاذ الميرزا النائيني عليه في المنام، وقد استنكر عليه قوله: قدس سره عند ذكره له، فأعتذر الميرزا الشيرازي عليه لذلك بأني أردت احترامك، فعارضه الميرزا النائيني عليه بأنّ النافع لي هو الترجمة عليّ لا قوله: قدس سره، وبعدها أخذ السيد عليه يترحم على الميرزا عليه كلّما ذكره، ويشفعه بقوله: قدس سره.

طريق لنا لتمييز ما رواه وقف عّن رواه عنه بعده؛ إذ لعله تلقى كتابه وروايته عنه حين كان هو الآخر واقفياً.

### الجمع العرفي بين الطائفتين:

[الجمع الأول]: وبعد تمايم إحدى روایتی الطائفة الثالثة فالكلام في التوفيق بين الطائفتين الأخيرتين، فقد جمع بينهما في الجواهر بأنّ ما دلّ على أنّ لكل شهر عمرة لا يدلّ على عدم ذلك في الأقلّ، بل سؤال البطائني عن الأقل كالصریح في عدم فهمه من العبارة المزبورة المنع عن غيره، خصوصاً بعد أن أقرّه الإمام علیه السلام على ذلك، وقال: «لكل عشرة عمرة»<sup>(١)</sup>.

وفي أنه لو لم يفهم من قوله علیه السلام: «لكل شهر عمرة» المنع عن غيره لكان ما فهمه هو مجرد استحبابها في كل شهر، ولا وجه معه للسؤال عن الأقل من ذلك، فكان السائل فهم من قوله علیه السلام عدم جواز العمرة في أقل من شهر، ورغم ذلك سأله عن الأقل منه.

[الجمع الثاني]: وقد جمع بينهما<sup>(٢)</sup> بأن قوله علیه السلام: «لكل شهر عمرة» -بعد إرادة الشهر الهلالي من لفظ الشهر؛ لتباخره، ولقوله علیه السلام في صدر صحیحة إسحاق: «السنة اثنا عشر شهراً» - وإن كان يدلّ على عدم مشروعية أكثر من عمرة في الشهر الواحد، ولكن دلالته على ذلك بالإطلاق الناشئ من السکوت في مقام البيان، وهذه الدلالة من أضعف مراتب الدلالات العرفية، فتتقىّد إليها سائر المراتب، ولما كانت معتبرة البطائني نصاً في مشروعية أكثر من عمرة في الشهر

(١) انظر: جواهر الكلام: ٢٠، ٤٦٤.

(٢) انظر: تعليق مبوسطة على العروة الوثقى: ٩، ٥٧.



الواحد، فهي بيانٌ ورافق للإطلاق الناشئ من السكوت، فتتقدّم عليه عرفاً، ولا يصل الدور إلى المعارضة بينهما.

وهذا الجمع صحيح -لو بنينا على أنّ الشهر في معتبرة البطائني هو الهلالي-.

[الجمع الثالث]: ولكن يمكن القول: أولاً: إنّ ما دلّ على أنّ لكلّ شهر عمرة وإن فهم منه عدم مشروعية العمرتين في الشهر الهلالي لا العددي، وهو الثلاثون يوماً، إلا أنّ الشهر في معتبرة البطائني وروايته هو العددي؛ لظهوره فيه -بعد توسيط إمضاء الإمام عليه السلام لفهم البطائني-؛ فإنّ السؤال عن مشروعية العمرة في الأقلّ من شهر لا يلتئم مع فهم اعتبار تغایر الشهر من «الكلّ شهر عمرة»، وإنما يتّسق مع فهم اعتبار فصل الشهر العددي بين العمرتين، وعليه فيعتبر الفصل بعشرة أيام، ولا يعتبر الفصل بثلاثين يوماً، وإن كان الفصل بها مستحبّاً.

وثانياً: إنّ ظهور الشهر في روایتي البطائني في العددي لا يوجب التصرّف فيها دلّ على اعتبار تغایر الشهر الهلالي -سيما صحيحة إسحاق بن عمار- بأن يحمل الشهر فيها على العددي، كما أنّ ظهور الشهر فيها دلّ على أنّ «الكلّ شهر عمرة» في الهلالي لا يؤذن بالتصرّف في ظهور الشهر في الروایتين في العددي، بأن يحمل على الهلالي.

وثالثاً: وفي ضوء ما تقدّم -يكون لكلّ من الطائفتين إطلاق، ومقتضى إطلاق الروایتين كفاية فصل عشرة أيام بين العمرتين لتشريع الثانية وإن لم يتغایر شهراًهما، ومقتضى إطلاق ما دلّ على أنّ «الكلّ شهر عمرة» كفاية تغایر شهري العمرتين وإن لم يفصل بين العمرتين عشرة أيام.

فنجمع بين الطائفتين بتقييد إطلاق كلّ منها بالآخر، فكما يعتبر الفصل بعشرة أيام يعتبر تغایر الشهر، ولا يكفي الفصل بين العمرتين بعشرة أيام مع اتحاد

شهرهما، ولا يكفي تغایر شهرهما -بأن تكون أولى العمرتين في آخر الشهر، والثانية في أول الشهر اللاحق- من دون فصل عشرة أيام بينهما، هذا.

وممّا يؤكّد اعتبار تغایر الشهر، بحيث لا يؤذن برفع اليد عن اعتباره والاكتفاء بفصل عشرة أيام عنه -مضافاً إلى ما تقدّم من ظهور الشهر في قوله عليه السلام: «لكلّ شهر عمرة» بحکم التبادر في الشهر الهلالي، وبحکم القرينة الخاصة في صحیحة إسحاق عليه، ولتطبیقه عليه في صحیحته الأخرى قال: سألت أبا الحسن علیه السلام عن المتمتّع بمحیء فیقضی متعة، ثم تبدو له الحاجة فيخرج إلى المدينة وإلى ذات عرق أو إلى بعض المعادن، قال: «يرجع إلى مكّة بعمره إن كان في غير الشهر الذي تمتّع فيه؛ لأنّ لكلّ شهر عمرة، وهو مرتهن بالحجّ...»<sup>(١)</sup> (نعم مما يؤكّد اعتبار تغایر الشهر مضافاً لذلك) - مستفیض من الروایات دالٌّ على ذلك، وبعضها -وهي الطائفة الثانية- موردها فصل عشرة أيام، وتلكم الروایات على مجموعات:

**المجموعة الأولى:** روایات بطلان العمرة المفردة بالجماع قبل السعي فيلزمه قضاء العمرة في الشهر الداخل كصحیحة برید بن معاویة العجلی قال: سألت أبا جعفر علیه السلام عن رجل اعتمد عمرة مفردة فغشی أهله قبل أن يفرغ من طوافه وسعيه، قال: «عليه بذاته؛ لفساد عمرته، وعليه أن يقيم إلى الشهر الآخر فيخرج إلى بعض المواقیت فيحرم بعمره»<sup>(٢)</sup>، ومثلها صحیحة مسموع<sup>(٣)</sup>، ومعترضة أحمد بن أبي علي<sup>(٤)</sup>. وأحمد هذا -وإن لم يوثق بالخصوص بل لم يترجم له- إلا أنه ممن روی عنه

(١) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٣ ب ٢٢ من أبواب أقسام الحجّ ح .٨

(٢) وسائل الشيعة ١٣: ١٢٨ ب ١٢ من أبواب كفارات الاستمتناع ح .١

(٣) وسائل الشيعة ١٣: ١٢٨ ب ١٢ من أبواب كفارات الاستمتناع ح .٢

(٤) وسائل الشيعة ١٣: ١٢٩ ب ١٢ من أبواب كفارات الاستمتناع ح .٤

ابن أبي عمير هذه الرواية، وكبرى وثاقة من روى عنه ابن أبي عمير أو صفوان أو البزنطي تامة على المختار.

ومسترجعي للالتفات اعتبار تغایر الشهور في مورد هذه الروايات رغم التصريح بفساد العمرة، فيعتبر التغایر وإن كانت السابقة فاسدة، فكيف حيث تكون صحيحة؟!

**المجموعة الثانية:** روایات العدول بعمرۃ التمتع إلى حجّ الإفراد، فيلزم بعده الإیتیان بعمرۃ مفردة في غير شهر المتعة كصحیحة زرارة قال: سألت أبا جعفر<sup>عليه السلام</sup> عن الرجل يكون في يوم عرفة، وبينه وبين مكّة ثلاثة أمیال، وهو متعمّت بالعمرۃ إلى الحجّ، فقال: «يقطع التلبية تلبية المتعة، ويهلّ بالحجّ بالتلبية إذا صلّى الفجر، ويمضي إلى عرفات، فيقف مع الناس، ويقضى جميع المناسب، ويقيم بمكّة حتى يعتمر عمرة المحرّم، ولا شيء عليه»<sup>(١)</sup>، ونحوها ما في التهذيب قال: وقالوا [أصحابنا وغيرهم] (وقال): قال أبو عبد الله<sup>عليه السلام</sup>: «المتعمّت إذا فاتته عمرة المتعة أقام إلى هلال المحرّم واعتمر، فأجزأته عنه مكان عمرة المتعة»<sup>(٢)</sup>.

ومسترجعي للالتفات في هذه الروايات -هي الأخرى- أنه رغم العدول بعمرۃ التمتع إلى حجّ الإفراد إلا أنه لا تشريع العمرۃ المفردة إلا في الشهر التالي، وأنّ نفس الإهلال بعمرۃ التمتع وإن عدل بها إلى حجّ الإفراد مانع من إنشاء عمرۃ مفردة في نفس شهراها.

ومورد هذه المجموعة وإن كان هو فصل عشرة أيام، فيؤكّد اعتبار تغایر

(١) وسائل الشيعة ١١: ٢٩٨ ب ٢١ من أبواب أقسام الحجّ ح .٧

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٢٩٧ ب ٢١ من أبواب أقسام الحجّ ح .٥

الشهر وإن فصلت العشرة، إلا أنها لا تلغى اعتبار الفصل بالعشرة ما دام المورد هو ذلك.

**المجموعة الثالثة:** ما دل على أن من جهل فخرج من مكة -بعد عمرة التمتع-

بغير إحرام للحج فلا يشرع له الإحرام للمرتبة إن رجع في شهر الأولى، وهي صحيحة حماد بن عيسى عن أبي عبد الله عليهما السلام قال: «من دخل مكة متعملاً في أشهر الحج لم يكن له أن يخرج حتى يقضى الحج، فإن عرضت له حاجة إلى عسفان أو إلى الطائف أو إلى ذات عرق خرج محراً، ودخل مليباً بالحج، فلا يزال على إحرامه، فإن رجع إلى مكة رجع محراً، ولم يقر بالبيت حتى يخرج مع الناس إلى منى على إحرامه، وإن شاء وجهه ذلك إلى منى»، قلت: «إن جهل فخرج إلى المدينة أو إلى نحوها بغير إحرام، ثم رجع في أيام الحج في أشهر الحج، يريد الحج، فيدخلها محراً أو بغير إحرام؟» قال: «إن رجع في شهره دخل بغير إحرام، وإن دخل في غير الشهر دخل محراً»<sup>(١)</sup>.

فإن قلت: لعل دخوله بغير إحرام فيما لو رجع في شهره؛ لعدم لزوم الإحرام لا لعدم مشروعيته، كما لعل دخوله محراً فيما لو دخل في غير الشهر؛ للزوم الإحرام لمحض مطلوبيته.

قلت: لو كان دخوله بغير إحرام فيما لو رجع في شهره؛ لعدم لزوم الإحرام -لكان المناسب أن يقول: إن رجع في شهره فله أن يدخل بغير إحرام، ولكن عليه السلام قال: «دخل بغير إحرام» وهو ظاهر في تعين ذلك، وتعين الدخول بالإحرام هو الظاهر في فرض ما لو دخل في غير الشهر أيضاً.

(١) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٢ ب ٢٢ من أبواب أقسام الحج ح ٦.

وكمما يستفاد من هذه المجموعات لا سيما المجموعة الثانية اعتبار تغایر الشهرين ب نحو لا يؤذن برفع اليد عن اعتباره والاكتفاء بفصل عشرة أيام عنه، ولكن لا يدفع اعتبار فصل عشرة أيام أيضاً، إلا أنه يستفاد دفعه من المجموعة الثالثة فإنهما تدل على كفاية تغایر الشهرين وإن لم تفصل عشرة أيام؛ فإن قول الصادق علیه السلام في صحيحة حماد: «وإن دخل في غير الشهر دخل محرماً» ظاهر في ذلك بتوسط التفصيل بين هذا الفرض وفرض ما إذا دخل في شهر عمرته، والتفصيل كما هو -من جهة- قاطع للشركة في الحكم وإلا لعاد التفصيل لغوأ، فإنه آب عن التقيد من جهة أخرى؛ ذلك لأنّه مع التفصيل يكون ما أخذ في الموضوع -كتغایر الشهرين فيها نحن فيه- بمثابة العلة التي يدور الحكم مدارها وجوداً وعدماً، فإذا تغایر الشهرين دخل محرماً ولو لم تفصل عشرة أيام.

وهذه الاستفادة تمنع من الجمع بين الطائفتين الأخيرتين بالجمع الثالث.

#### زبدة المخض والمختار:

فتتحقق مما قدّمنا أنه لا مناص من اعتبار تغایر الشهرين للعمرتين، وأماماً اعتبار الزائد عليه وهو فصل عشرة أيام أيضاً فلم يثبت بعد المعارضة بين معتبرة البطائني الدالة على اعتباره وبين ما يستفاد من صحيحة حماد من عدم اعتباره.

#### عدم اعتبار الفصل بشيء وما فيه:

ومن كل ما تقدم تعرف الخدشة فيها في الشرائع من جعله عدم اعتبار الفصل بشيء أشبه<sup>(١)</sup>، وجعله في كشف اللثام أقرب<sup>(٢)</sup>، وجعله في العروة

(١) انظر: شرائع الإسلام - ط. مؤسسة المعارف الإسلامية - ١: ٣٤٧.

(٢) انظر: كشف اللثام ٦: ٢٩٩.

أقوى<sup>(١)</sup>، وإن وافقه جل المعلقين عليها، ومنهم الفقيه الحكيم بنبيك، فقد استظهر في المستمسك من قوله عليه السلام: «لكل شهر عمرة» أن ذلك من وظائف الشهر، ف فهي تتأكد من حيث الزمان، ففي الشهر أكد منها في العشرة، وأن الارتكاز العرفي في باب الطاعات والخيرات يقتضي ذلك؛ فإنها كلما طال العهد بها اشتد تأكدها، فلا مانع من الأخذ بإطلاقات الحث عليها والترغيب إليها الظاهرة في استحبابها مطلقاً، ومقتضاها الاستحباب في كل يوم، وفي اليوم أكثر من مرّة أيضاً<sup>(٢)</sup>.

**اعتبار الفصل بين العمارة المفردة والمتتمتع بها:**

كما أنه مما تقدّم يعرف اعتبار الفصل بين عمرة التمتع وال عمرة المفردة سيما صحيحة زرارة الداللة على اعتبار تغایر شهر عمرة التمتع المعدول بها إلى الإفراد عن شهر العمرة المفردة، فتدل بالاولوية على اعتباره مع إتمامها متعة، وكذا صحيحة معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ وَنَحْنُ بِالْمَدِينَةِ، إِنِّي اعْتَمَرْتُ فِي رَجَبٍ، وَأَنَا أَرِيدُ الْحَجَّ فَأَسْوَقُ الْهَدَى، أَوْ أَفْرَدُ الْحَجَّ، أَوْ أَتَّمْ؟ قَالَ: «فِي كُلِّ فَضْلٍ، وَكُلِّ حَسْنٍ»، قَالَتْ: فَأَيُّ ذَلِكُ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ الْكَلَمُ كَانَ يَقُولُ: لِكُلِّ شَهْرٍ عُمْرَةٌ، تَمْتَعْ فَهُوَ وَاللَّهُ أَفْضَلُ..»<sup>(٢)</sup>. فقد دلت على أن عمرة التمتع مشمولة شهر عمرة، تمتع فهو والله أفضـلـ.. لقولهم عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «لِكُلِّ شَهْرٍ عُمْرَةٌ».

<sup>٣</sup> (١) العروة الوثقى والتعليق عليها- ط. مؤسسة السبطين العاليمية- ١٣: ٢٢٢، فصل في أقسام العمرة م.

(٢) انظر: مستمسك العروة الوثقى ١١: ١٤٦.

(٣) وسائل الشيعة: ١١: ٢٥١ ب٤ من أبواب أقسام الحجّ ح ١٨.



# Resalat Alqalam

## Advisory Board :

Sh. Abdulla Ali Al daqaq

Sh. Ali Fadhel Alsadadi

## General Supervisor :

Sh. Abdulraoof Hasan Alrabeea

## Editor in Chief:

Sh.mohammed ali khatam

## Editor in Director :

Sh.Abbas Ali Alsayegh

## The assistant manager :

Sh.Jaafar Abdulnabi Aljaboori

## Editorial Board :

Sh. Aziz Hasan Salman

Sh. Jasim Bader almutawa

Sh. Ali Aqeel Aljamri

Sh. MAnsoor Ebrahim Hussain

sayed. Jalal Adnan Alawi

# الإمام الرضا عليه السلام

الإمام الرضا عليه السلام هو واحد من الأئمة الأطهار عظماء من سلسلة عظماء كبار، تتمثل هذه السلسلة في أنبياء الله ورسله وأوصياء رسله:

تنظرون إبراهيم عليه السلام وأن النار والتهديد بها لم يلوه عن توجهه بالله [و] عن ثقته بالله... يوسف عليه السلام والسجن والإغراء الجنسي. أيوب عليه السلام والمرض الشديد والبلاء العظيم. نوح عليه السلام وكلنبي وكل رسول له مواقف صعبة تنهار أمامها أصلب الإرادات إذا لم تكن مصنوعة صنعاً تماماً على خط الله سبحانه وتعالى، وما لم تكن تستمد عصمتها من الله سبحانه وتعالى.

هذه المواقف والتي منها موقف الإمام الرضا عليه السلام أريد أن اقتبس منها شيئاً واحداً هو: أن أي موقف صارخ بالتحدي مليء بالضغط ثقيل جداً جداً على النفس لا يمكن أن يضيع في أولياء الله روحانياتهم أصلاً، يمكن أن يحطم فيهم قوتهم الجسدية، يمكن أن يذلهم ذلاً دنيوياً، يمكن أن يهزهم هزيمة مادية، لكن موقفاً أي موقف ومهما تصورت من هذا الموقف من شدة وثقل لا يمكن أبداً أن يهزمنبياً أو يهزم رسولاً أو يهزم إماماً في روحه، وفي ارتباطه بالله سبحانه وتعالى، لا يمكن لأي موقف مهما كانت صعوبته أن يسجل على قائد من القادة اللذين ارتضواهم الله قادة لعباده وعماراً لبلاده... وهناً نفسياً روحياً إيمانياً عند أي نبي وعند أي إمام وعند أي رسول ...

والخط إلى الله سبحانه لا ينقطع، ولا يمكن لأي نفس بشرية أن تقطع كل الخط في سيرها إلى الله سبحانه وتعالى، إنما كل نفس تقطع بما تطيقها قدرتها الإنسانية.  
أما خط الكمال الإلهي والدرب للكمال الإلهي فيبقى مفتوحاً دائماً.

رسال الفيصل



مجلة طلابية فصلية  
تهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية  
تصدر عن طلاب البحرين في الحوزة العلمية  
بمدينة قم المقدسة

[www.ralqalam.com](http://www.ralqalam.com)

[info@ralqalam.com](mailto:info@ralqalam.com)

[f](#) [iagram](#) [t](#) [r alqalam](#)

الجمهورية الإسلامية في إيران - قم المقدسة

شارع جمهوري - شارع قيام - فرع ٨ - مبنى ١٠

+٩٨ ٥٣٢٨٩٨٤٧.